# إيران وأمريكا

## هل الحرب حتمية؟

أسامة عبد الرحمن

# المقدمـة

إن الدارس لتاريخ البشر يجد أن الصراع والخلاف قد لازمه منذ بدأ الخلاف بين ابنى آدم فالحرب والإنسان متلازمان وللحرب أسبابها المتعددة التى تتراوح ما بين عقائديه تتمثل فى العقائد الدينية أو المعتقدات الأيديولوجية يسعى البعض لفرض عقيدته أو أيديولوجيته على الغير وما الحرب إلا فرض إرادة يسعى لها الطرفان وفى النهاية يفرض المنتصر إرادته أو تكون الحرب سعياً لكسب مصالح مادية إضافية كالسعى للسيطرة على منابع الثروات كالتوابل سابقاً والعبيد لاحقاً والنفط حالياً أو حرصاً على مكتسبات موجودة يخشى زوالها أو تكون الحرب لمنع انتشار مد ثقافى معين كما تفعل أمريكا منذ سنوات ما بعد الحرب الكبرى لمنع انتشار المد الإسلامى فى الشرق الأوسط أو المد الشيوعى فى شرق آسيا.

وفى سبيل وقف المد الشيوعى بذلت كل ما فى وسعها لإسقاط رمز الشيوعية الأقوى فى آسيا الاتحاد السوفييتى ودعمت المسلمين فى دول الجنوب السوفييتى التى انشقت عنه فيما بعد السقوط وأمدتها بالمال والمعلومات المخابراتية ولما أن تحقق لها ما أرادت انقلبت أمريكا على صنائعها وصنائعها عليها وصار المجاهدون الأفغان إرهابيين يحاكمون إما عندها وإما فى بلادهم الأصلية حتى ظهر الخطر الأكبر عليها وعلى ربيبتها إسرائيل المتمثل فى إيران ما بعد ثورة عام ١٩٧٩.

نعلم جميعاً أن أمريكا بعد الحرب الكبرى الثانية ورثت مجد الامبراطوريتين الفرنسية والانجليزية وخلفت انجلترا فى تبنى واحتضان الكيان الصهيونى اللقيط على الأرض العربية وبظهور الخطر الايرانى أصبح هم أمريكا بعد إزاحة صدام حسين هوتلجيم كل الحكام العرب ووضعهم فى سلة واحدة سلة التبعية والمهانة والذلة.

وأن تزيح الخطر الذى يهدد مصالحها ونفوذها ووجود ربيبتها وتحديداً الخطر النووى الإيرانى الذى يخرق قاعدة التفوق التكتولوجى الصهيونى على الجيران والذى تسعى إيران من خلاله إلى استعادة المجد والتاريخ الفارسى القديم وفى سبيل ذلك حشدت أمريكا كل طاقاتها وجهودها مرة بالدبيلوماسية ومرة بالجزرة والعصا ومرة بالعقوبات لعل إيران تستجيب وتتخلى عن برنامجها النووى المزعج لها ولربيبتها إلا أن إيران تماطل منذ سنوات لكسب أطول فترة ممكنة حتى تتمكن من استكمال تخصيب اليورانيوم ولتصل إلى نقطة اللاعودة فى انتاج القنبلة النووية الذى يجعل أى قوة مهما كان حجمها تفكر ألف مرة قبل مهاجمة أى هدف إيرانى وتدخل به إيران النادى الدولى النووى.

وعلى مدى السنوات السابقة كثيراً ما لاحت نذر الحرب ما بين أمريكا وإيران وتوقع الكثير من المحللين والخبراء وقوع الحرب فى كل مرة حتى أن البعض كان يحدد لها توقيتاً من خلال تحليل المعلومات التى تفصح عنها كل جهة لكن وإلى الآن لم تقع الحرب التى يعتقد البعض حتمية وقوعها لحماية المصالح الأمريكية الإسرائيلية التوسعية ويرفض البعض احتمال وقوعها بناء على التعاون السرى الأمريكى الإيرانى فهل هى واقعة أم لا؟.

هذا ما ستسفر عنه الأيام.

**المؤلف**

# الباب الأول
# العلاقة بين إيران وأمريكا

## لمحة تاريخية عن العلاقة بين أمريكا وإيران:

إن التاريخ الفارسى قديم جداً يعود إلى ما قبل التاريخ أما الولايات المتحدة فلم يتعدى عمرها المائتى عام بكثير لذلك فان العلاقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية لم تبدأ إلا عندما بعث الشاه الفارسى ناصر الدين شاه أول سفير لفارس ميرزا أبو الحسن شيرازي إلى واشنطن في عام١٨٥٦وفي عام ١٨٨٣ كان صمويل بنيامين أول مبعوث دبلوماسي رسمي للولايات المتحدة في إيران وتم الإعلان عن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين رسمياً عام ١٩٤٤ولم تكن العلاقات بين البلدين على قدر كبير من الأهمية حتى فترة الحرب الباردة فيما بعد الحرب العالمية الثانية وبدء عمليات تصدير البترول من الخليج العربي وقد شهدت العلاقات العديد من التوترات بداية من تعاون الحكومة الأمريكية مع الشاه رضا بهلوي وفي فترة الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

## طبيعة العلاقات الإيرانية الأميركية:

هناك فكرة خادعة تنتشر في واشنطن على الأقل بين أوساط محددة ،وهي أنه عبر الضغط والتخويف يستطيعون أن يدفعوا بسياساتهم قدماً ليس مع إيران فقط ولكن مع بقية دول العالم أيضاً، وما لم يتم تصحيح هذه الرؤية الخاطئة فإن الولايات المتحدة ستلقى المزيد من المتاعب مع باقي دول المنطقة وكذلك مع المجتمع الدولي، لأن الشعوب والدول لن ترد بشكل إيجابي على هذه التهديدات وعلى الأرجح ستقاومها، فعلى الولايات المتحدة أن تسلك سلوكاً أكثر عقلانية وتبدأ التعامل مع بقية الدول بما فيها إيران على أساس الاحترام المتبادل، وعندما تتوقف هذه السياسة ستكون هناك إمكانية لمناقشة القضايا المشتركة، أما إذا بقيت هذه السياسية فسنرى المزيد من التوتر فالسلوك المنطقي يعتمد على الحقائق في المنطقة أكثر من اعتماده على خلق كبش فداء لأسباب مختلفة

تقف وراء أغلبها سلوكيات ومواقف الولايات المتحدة في المنطقة، كما أن السلوك المنطقي يتطلب الالتزام بالاحترام المتبادل والاعتراف بهذه الحقائق واحترامها والتعامل معها بما تستحق، بدلاً من النظر فقط إلى أصوات الناخبين داخل الولايات المتحدة وأتمنى أن يتم تجنُّب التصادم بين الطرفين، وإيران بالتأكيد لا تريد المواجهة أو انتهاج سياسة تقود إلى المواجهة، في الوقت نفسه هى غير مستعدة للخضوع لهذه الضغوط وستظل نقاومها، وإذا رأينا أن هناك نيَّة لانتهاج طريق الاحترام المتبادل فإنها سنتجاوب على هذا الأساس.

وهناك مشاعر قلق من سلوكيات إيرانية محددة،والإيرانيون أيضاً قلقون من سلوكيات كثيرة تنتهجها الولايات المتحدة سواءٌ حيال إيران أو دول أخرى في المنطقة ويجب مناقشتها على الملأ، مرةً أخرى فإن إشاعة جو من الاحترام المتبادل أفضل من انتهاج سياسة تستخف بالحقائق، سياسة تحاول أن تتوجه إلى الناخب الداخلي بدلاً من أن تستند إلى الحقائق الموضوعية المجرَّدة فالاتهامات الموجَّهة لإيران ليست جديدة، هذه الاتهامات قائمة منذ زمن طويل وقد ردت إيران عليها، في الوقت نفسه فهى على يقين من أن هناك أقلية في الولايات المتحدة لديها أجندات خاصة بها، واحدة داخلية وأخرى عالمية، وأجندة إقليمية وهي أجندة خطيرة جداً، ولا يمكن أن تقود سوى إلى المزيد من التطرف في المنطقة والمزيد من عدم الاستقرار،وهذان الأمران كلاهما ليس مصلحة دول المنطقة،يجب أن يسود المنطقة تسويات تقوم على التعاون بين دول المنطقة والتشارك واحترام دور القانون واحترام مخاوف وهواجس مختلف الشركاء في المنطقة،وهكذا نستطيع التوصل إلى نوع من التسوية في المنطقة لتجنُّب الأحقاد والاعتداءات التي شاهدناها طوال العقدين الماضيين تأتي من العراق.

وبشكل عام فإن عدم قدرة الولايات المتحدة على تمييز الحقائق في المنطقة، وإدراك حقيقة أن دول المنطقة لها مخاوفها تجاه سياسة الولايات المتحدة في تقديرها لأهمية المشاكل كمشكلة فلسطين ومشكلة الاحتلال سواء كان في فلسطين أو في العراق، كل ذلك يوفِّر التربة الخصبة لنمو العناصر المتطرفة ونجاحها في كسب المزيد من المؤيدين والأتباع الجدد، هذه مشاكل جادة بالنسبة لنا، وهناك مشكلة أخرى، وهي أن الولايات المتحدة تحمي منظمة إرهابية معترفاً بها من قِبل الولايات المتحدة نفسها، وهي سياسة تُضعف الجهود الدولية لمحاربة الإرهاب ومن المثير للاهتمام أن ترى كيف أن حكومة تدَّعي قيادة حملة عالمية ضد الإرهاب تتعامل في الوقت نفسه مع منظمات إرهابية، فهذا الواقع يجعلنا نطرح تساؤلات حول هذه المزاعم ونوضح حقيقة أن الولايات المتحدة كانت تتبنى دائماً معايير مزدوجة، فهي تستخدم هذه المعايير في مسألة أسلحة الدمار الشامل، إذ أن إسرائيل تمتلك أكبر ترسانة لأسلحة الدمار الشامل وتدرك دول المنطقة أن إسرائيل من أهم أسباب عدم الاستقرار وتهديد أمن هذه الدول، والحقيقة أن قدرات إسرائيل النووية لم تتحقق إلا بفضل الدعم الأمريكي المؤثر لكن عندما تتحدث عن قضية الإرهاب فالولايات المتحدة بنفس المعايير توجِّه إلى إيران سيلاً من الاتهامات بشأن القضية عينها، تقول أن إيران توفر الملاذ لأعضاء القاعدة،وآخر تلك الاتهامات يتعلق بالزرقاوي الذي وصفه وزير الخارجية كولن باول في مجلس الأمن بأنه حلقة وصل بين العراق والإرهاب الدولي، وتقول الولايات المتحدة إنه موجود حالياً في إيران.

قامت إيران في الماضي بتسليم عناصر مشتبه فيهم إما إلى دولهم الأصلية أو إلى الدول الأوروبية التي يقيمون فيها،وهذه السياسة ستستمر في ظل الظروف العادية، والحقيقة ان ضغوط الولايات المتحدة تعوق هذه السياسة بدل أن تساعدها، فإذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تتعامل مع هذه القضايا بما تستحقه من جدية فعليها أن تزيل المعوِّقات من طريق سياسة التعاون في مناطق معينة بمحاربة الإرهاب

فإيران حافظت على التزاماتها بخصوص محاربة الإرهاب، والإرهابيون الذين تسللوا إلى أراضيها تم أسرهم وسجنهم ويجري استجوابهم، وأحياناً يتم تسليمهم مع المعلومات التى أقروا بها إلى حكومات صديقة، وستستمر في ذلك، إذن هذه هي حدود التزامات في ظل القانون الدولي وقرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣، وحقيقة أن الولايات المتحدة قد أساءت التصرُّف بتعاملها مع منظمات إرهابية لم تمنع من الاستمرار في الالتزام بتعهدات إيران ولقد كانت إيران ضحية لاستخدام العراق أسلحة الدمار الشامل، ولسوء الحظ فإنهم عندما استعملوا هذه الأسلحة كانوا يتمتعون بدعم الولايات المتحدة.

ولا يمكن أن يكون هناك التقاء مصالح مع حكومة تساعد مرة بلداً يستخدم أسلحة دمار شامل ومرة أخرى تذهب على عكس إرادة المجتمع الدولي لشن حرب على البلد نفسه، وكان هناك يقين من أن القلق من وجود أسلحة دمار شامل في العراق يمكن أن يُحلَّ عن طريق لجنة أنموفيك، خاصةً أن الأمم المتحدة قد سمحت لها باستئناف عملها، وقد كان عملاً فعَّالاً، فعلى الرغم من القلق من استخدام أسلحة كيميائية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل فإنها لم تُستخدم في الحرب الأخيرة.

## تاريخ الخلاف الأمريكى الإيرانى:

بدأت أمريكا تتدخل فى الشأن الداخلى الإيرانى وظل هذا التدخل حتى أطاح بحكومة مصدق عام ١٩٥٣، ويعتبر أحد المكونات الرئيسية للذاكرة السياسية للنظام الإيراني ،الذي لم يستبعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية في أية لحظة بتكرار ذلك الدور نفسه، وقد كان ذلك في الواقع أحد الأسباب المهمة وراء إجراءات القمع التي اتخذها النظام في تلك الفترة من أجل إحكام السيطرة على البلاد بما لا يسمح بتكرار وقائع ١٩٥٣، وهو ما ذكره الرئيس خاتمي نفسه في معرض تقويمه لأداء الثورة الإيرانية منذ قيامها

وقدّساعد على ترسيخ هذا التوجس الإيراني إزاء الولايات المتحدة قيام الأخيرة بدعم العراق عندما اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، ثم قيامها بالتدخل في ١٩٨٨، الذي أسفر عن ضرب عدد من منشآت البترول الإيرانية، ثم إسقاط طائرة مدنية إيرانية راح ضحيتها ٢٩٠ شخصًا وكان هذا الموقف الأمريكي هو أحد الأسباب المباشرة وراء قرار الخميني الصعب بإنهاء الحرب مع العراق ؛ حيث اعتبر الموقف الأمريكي بمثابة إنذار لإيران بمزيد من التدخل القوي بجانب العراق وعلى الجانب الأمريكي، فقد جاء غياب الشاه ليكشف ظهر الولايات المتحدة في منطقة الخليج، الأمر الذي جعلها تغير سياستها تجاه العراق نحو مزيد من دعم نظام البعث، كما تجلى في الحرب مع إيران، ومثلما حملت الذاكرة الإيرانية واقعة ١٩٥٣ظلت واقعة احتجاز الرهائن الأمريكيين التي أنهت حكم الرئيس كارتر ماثلة في الذاكرة الأمريكية، التي كرس منها دعم إيران لعدد من التنظيمات الإسلامية؛ سواء في لبنان أو فلسطين ومن المفارقات الجديرة بالتأمل، أن ضلوع إدارة ريجان في صفقة سلاح مع إيران التي عرفت لاحقاً بفضيحة إيران كونترا قد أضافت إلى مخزون الذاكرة الأمريكي عنصراً إضافيًا ؛ حيث صارت إيران مسئولة عن طرد رئيس من البيت الأبيض جيمي كارتر، وتشويه آخر بفضيحة سياسية كبيرة لرونالد ريجان، وكأنه انتقام إيراني لطرد مصدق من الحكم عام ١٩٥٣وزاد انهيار الإتحاد السوفيتي من التوجس الأمريكي؛ حيث صارت إيران رمزًا للأصولية الإسلامية التي رشحتها أمريكا وقتها لتكون العدو الجديد وفي ١٩٩٣ أعلنت الولايات المتحدة سياسة الاحتواء المزدوج، التي لم تكن في الواقع تأتي بجديد في جوهر سياسة الولايات المتحدة التي طالما سعت تاريخيًا إلى الموازنة بين قوة كل من إيران والعراق في المنطقة، كل ما في الأمر أن هذه السياسة انهارت بقيام الثورة الإيرانية، فركّزت أمريكا على دعم العراق بعد أن كانت تدعم إيران، ثم انتهت حرب الخليج الثانية

فصار الجديد في تلك السياسة هو السعي لإضعاف الطرفين معًا وفي أوج حملة انتخابية رئاسية وتشريعية في أمريكا، صدر قانون داماتو ١٩٩٦الذي سبقه أمر تنفيذي لا يقل خطورة كان الرئيس كلينتون قد أصدره عام ١٩٩٥واختلفت صورة العلاقات الإيرانية الأمريكية في ١٩٩٧؛ فقد فاز محمد خاتمي بأغلبية ٧٠% في انتخابات حرة أحرجت الولايات المتحدة التي ظل خطابها الرسمي يستخدم مفردات تتهم إيران بكل شر، وتتناولها بدرجة عالية من الاستهانة والامتهان أيضًا، ومن ثَمّ لم يعد من الممكن لأمريكا الرسمية أن تظل تستخدم مثل تلك المفردات، خصوصًا أن الجالية الإيرانية كانت قد بدأت تنظم نفسها بشكل أفضل، وتستقطب عددًا من رموز النخبة السياسية الأمريكية؛ سعيًا لإحداث انفراج في السياسية الإيرانية فبدأت بعض الأصوات الرشيدة تعلو داخل المجتمع الأمريكي نفسه، تطالب بإعادة النظر في مجمل السياسة الأمريكية تجاه إيران، خصوصًا بعد دعوة الرئيس خاتمي عبر شبكة سي إن إن للحوار الحضاري بين الشعبيين، وقد تبع ذلك تصريح لأولبرايت يحمل شبه اعتراف بدور أمريكا ضد حكومة مصدق، وإن لم يرق إلى الاعتذار الرسمي وقد تزامن ذلك مع تصاعد نبرة التذمر لدى حلفاء أمريكا الأوروبيين إزاء العقوبات التي يفرضها قانون داماتو على الشركات الأوروبية، فضلا عن مطالبة منظمات رجال الأعمال الأمريكية برفع الحظر الذي أضر بمصالحها بالدرجة الأولى وقد ظلت كل هذه العوامل تتفاعل بين شد وجذب، خصوصًا مع الضغوط القوية التي مارسها اللوبي الصهيوني في واشنطن على إدارة كلينتون والكونجرس ؛لوقف أية محاولة لتحسين العلاقات مع إيران وتتمثل الإيجابية الرئيسية في بدء تحسين العلاقات الإيرانية الأمريكية، في أن الساحة الأمريكية صارت تحفل بقوى مختلفة لها مصلحة في تحسين العلاقات مع إيران، بعد أن كان اللوبي اليهودي هو وحده المهيمن على صناعة هذا القرار وقد بدت نتائج ذلك التحول فعلاً في رفع الحظر على استيراد بعض السلع الإيرانية، مثل الفستق والسجاد، وتبعه قرار إيراني باستيراد الأدوية الأمريكية.

فضلاً عن إعفاء عدد من الشركات ماليزية وفرنسية وروسية من عقوبات قانون داماتو وفي قمة الخلافات السياسية الظاهرية بين الولايات المتحدة وإيران بشأن ملف إيران النووي خلال ٢٠٠٨ اشترت إيران مليون طن قمح من الولايات المتحدة في العام نفسه وشكل وصول الرئيس الأمريكي بوش للسلطة نقطة تحول مهمة في العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وإيران ؛ تنبع من رؤية الإدارة الجديدة لدور أمريكا في العالم وأهدافها الإستراتيجية معًا.

ومع وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة أظهرت بعض الأصوات الإيرانية قلقاً بالغاً من التصريحات الأمريكية التي وردت على لسان بوش وعدد من أركان إدارته التي رأت أن العالم قد غدا الآن منقسماً بين معسكرين مع التحالف ضد الإرهاب، أو مع الإرهاب وبعبارة أخرى من ليس مع أمريكا والتحالف فإنه مع الإرهاب ومن هنا عمدت إيران إلى التعبير الواضح على أكثر من مستوى عن إدانتها للهجمات على الولايات المتحدة، ورفضها للإرهاب بكل صورة وأشكاله، ففي كلمة لمرشد الثورة خامنئي أمام أهالي أصفهان في ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١ قال إننا نشجب الإرهاب بكل أشكاله ولعل الملاحظة التي لابد من ذكرها أن الساحة السياسية الإيرانية لم تشهد انقساماً في الرأي بين الإصلاحيين والمحافظين كالعادة حيث أدركت طهران أن الولايات المتحدة جادة في تهديداتها خاصة بالنظر إلى أنها تضع إيران على قائمة الدول المتهمة برعاية الإرهاب الدولي وفي حرب الولايات المتحدة في أفغانستان في إطار ما تسمية بحربها على الإرهاب، كانت واشنطن في حاجة إلى مساعدة إيران في المراحل الأولى في حربها في أفغانستان، لذلك سعت إلى حوار معها بكل الطرق خاصة على مستوى الأمن، ولقد لعبت بريطانيا دور الوسيط في ذلك من خلال زيارة وزير خارجيتها جاك سترو لطهران وبالرغم من الإدانة الإيرانية للغزو الأمريكي لأفغانستان على لسان المرشد الأعلى خامنئي أننا نشجب الإرهاب بكل أشكاله

ونعارض الحملة الأمريكية على أفغانستان ونرفض الدخول في أي تحالف تقوده أمريكا منتقداً أولئك الذين يدعون إلى محادثات معها قائلاً وإن كانوا غير سيئي النية فإنهم غافلون عن أن هذه المحادثات تفيد القبول بتحقيق المصالح الأمريكية وقامت إيران بتقديم دعم ميداني للولايات المتحدة في حربها ضد طالبان والقاعدة، حيث وافقت في أكتوبر ٢٠٠١ على المساهمة في إنقاذ أي قوات أمريكية تتعرض لمشاكل في المنطقة، كما سمحت للولايات المتحدة باستخدام أحد موانيها لشحن القمح إلى مناطق الحرب في أفغانستان، وشاركت في الدعم لقوات التحالف الشمالي حتى سيطرت على كابول.

لكن هذا التقارب سرعان ما تلاشى، في ضوء كثرة الخلافات الأمريكية الإيرانية سواء ماتعلق باستمرار الحظر الاقتصادي الأمريكي الشامل أو الخلافات الإقليمية نتيجة تواجد القوات الأمريكية في الخليج وتواجدها الحالي في أفغانستان وبعض دول آسيا الوسطى إضافة إلى عداء إيران لإسرائيل ودعمها حركات المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي في مقابل الانحياز الأمريكي لإسرائيل من جهة أخرى ومما عمق هذه الخلافات، تصنيف جورج بوش في ٢٩ يناير ٢٠٠٢ كل من إيران والعراق وكوريا الشمالية دولاً إرهابية تهدد السلام العالمي وأنها تسعى لامتلاك أسلحة دمار شامل وتشكل خطراً تزداد حدته ووصف الدول الثلاث بأنها محور للشر يسلح نفسه لتهديد سلام العالم وفي الأول من فبراير قال بوش أن تصريحاته المتشددة ضد كوريا الشمالية وإيران لا تعني الإشارة إلى التخلي عن الحوار السلمي مع البلدين لكن قال إن كل الخيارات على المائدة في شأن كيفية جعل أمريكا وحلفائها أكثر أمناً وفي ٥ فبراير ٢٠٠٢، أعلن وزير الخارجية الأمريكي أن وصف دول بأنها تشكل محور الشر لا يعني أن الولايات المتحدة تنوي اجتياحها وأوضح أمام لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ أننا على استعداد لبدء حوار ونريد العمل مع أصدقائنا وحلفائنا في العالم للتعامل مع هذا النوع من الأنظمة

وفرق باول بين إيران وكوريا الشمالية اللتين تريد واشنطن مواصلة السعي إلى الحوار معهما والعراق الذي تؤيد واشنطن مواصلة سياسة العقوبات حياله مع الأمم المتحدة كما تعرضت إيران لضغوط أمريكية لقمع أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي حيث سلمت الإدارة الأمريكية، عبر وسطاء لائحة بأسماء عدد من الشخصيات الإسلامية المعروفة بمقاومتها للاحتلال الإسرائيلي في لبنان وفلسطين، لكن إيران رفضت عبر أعلى سلطات القرار فيها تقديم أي مساعدة كما استمرت هذه الضغوط من خلال إدراج حزب الله اللبناني على لائحة الإرهاب الثالثة التي أصدرتها الإدارة الأمريكية نظراً للصلة الوثيقة المعروفة بين هذا الحزب وبين إيران.

وفي الحقيقة لا تمثل قضية المشروع النووي الإيراني لب الصراع الإقليمي بين أمريكا وإيران,فهذه القضية ثانوية نسبياً من وجهة نظر المصالح الأمريكية بينما تحتل المرتبة الأولى من جانب إسرائيل , فعلى الضد من القيمة الإعلامية أساساً لاستهداف إسرائيل بالصواريخ الإيرانية بعيدة المدى مثل شهاب – ٣ فإن تطور المقدرة الإيرانية على استهداف آبار النفط وأنابيب نقله ومصافي تكريره هي الأكثر خطورة من الناحية الإستراتيجية فتوسع صناعة الصواريخ الإيرانية بمساعدة كورية شمالية وصينية وربما روسية أو أوكرانية قد منح إيران قدرة هائلة على استهداف هذه المواقع الهامة استراتيجيا بأعداد كبيرة نسبياً من الصواريخ التي لا تحتاج إلى زمن طويل لبلوغ هدفها مما يجعل اعتراضها أصعب من اعتراض تلك الصواريخ المصوبة نحو إسرائيل حيث أن أداء منظومات اعتراض الصواريخ أرض – أرض قد تحسن بشكل ملحوظ كما أن جدوى هذه المنظومات في مواجهة هجمات بأعداد كبيرة من هذه الصواريخ قد تتراجع مع امتلاك إيران لأعداد كبيرة من تلك الصواريخ ولقد عجزت منظومات الدفاع ضد الصواريخ الإسرائيلية في حرب ٢٠٠٦ عن اعتراض صواريخ الكاتيوشا التي أطلقها مقاتلو حزب الله والتي تعود تكنولوجياً إلى ستينيات القرن العشرين وهي نسخ روسية وإيرانية وسورية من الصواريخ التي تملكها وطورتها إيران

ومن المؤكد أن المسافة بين قواعد صواريخ إيران وأهدافها المحتملة أبعد من صواريخ حزب الله لكن من المؤكد أيضاً أن المخزون الإيراني من صواريخ فجر – ٣ و ٥ و زلزال -١ و ٢ المصنعة محلياً أكبر بكثير من ترسانة حزب الله إضافة إلى مخزون هام من صواريخ متطورة مضادة للسفن , كانت إحداها تلك التي أصابت البارجة الإسرائيلية في حرب مايو عدا أن احتمال مشاركة المدفعية الثقيلة الإيرانية بعيدة المدى ضد هذه الأهداف سيجعل الدفاع عنها فاشلاً بالكامل يضاف إلى ذلك التأثير الهائل لرد إيراني ولو محدود على أهداف نفطية خليجية أو على السفن أو ناقلات النفط التي تجتاز الخليج اقتصاديا و سياسيا في المواجهة الإيرانية الإسرائيلية يبقى حزب الله , كما كان في المواجهة السورية الإسرائيلية في الماضي , قوة مؤثرة وقادرة , ومن هنا يأتي تزويده إيرانيا وسوريا بمعدات متطورة قادرة على إيقاع خسائر هامة بالجيش والعمق الإسرائيلي كما اتضح في حرب تموز لكن من المؤكد أن المواجهة الأمريكية الإيرانية لم تصل بعد حد القرار الإستراتيجي بتدمير الخصم وتحييد قوته بما يعنيه من استعداد لتحمل تبعات مواجهة مفتوحة لخصوم أمريكا في لبنان وفلسطين وإلى حد ما في العراق لا يصل إلى درجة الحرب الكاملة,فقد أمكن عقد مصالحة بين الخصمين المتصارعين في لبنان تقوم على دور رئيسي لحزب الله حليف إيران اللبناني في تحديد سياسات الحكومة,وعراقيا شهد الواقع تراجعا متواصلا اختياريا لقوى الشيعة التي ترفض الوجود والمشروع الأمريكي في العراق واستمرار التعاون المبدئي بين المجلس الأعلى وحزب الدعوة المقربين من إيران مع الاحتلال الأمريكي فإن السيطرة شبه المطلقة على المنطقة ثابتة إلى حد كبير وآمنة من أي تحد جاد,ولا يبدو أن رغبة إيران فى تعزيز نفوذها الإقليمي يسير في اتجاه مواجهة مصيرية مع النفوذ الأمريكي المطلق , لا يوجد تصدير للثورة اليوم خلافاً لما كان عليه الحال بعد نشوب الثورة الإيرانية وقبل اندلاع الحرب العراقية الإيرانية

ولا توجد حركة ثورية ناشطة تستهدف الأنظمة الموالية لأمريكا في المنطقة,على العكس تماما فالأحداث كلها تدور اليوم حول توترات طائفية تستخدمها إيران وحكومات الخليج ومصر لصالحها , هذا الشكل من الصراع لا يتناقض مع مصالح الولايات المتحدة ما دام لم يبلغ حد الحرب الأهلية المفتوحة , كما كان الوضع في العراق من قبل وحتى اليوم بدرجة مخففة , فهذه التوترات توفر للولايات المتحدة إمكانيات كبيرة للتحكم فى الوضع وهي تناسب أيضا الأنظمة القائمة على ضفتي الخليج إذ يجعلها تبدو كممثلة حقيقية لشعوبها على الرغم من كل الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها وهي كلها أزمات جاد , من إيران إلى السعودية إلى اليمن , تتناول شرعية النظام وتحالفاته الداخلية والإقليمية وخطابه عندما نتحدث عن الصراع أو المواجهة بين إيران وإسرائيل يجب أن لا نفصل أمريكا عن حليفتها إسرائيل، إذ أن إسرائيل بمفردها عاجزة عن المواجهة أو توجيه ضربة قوية ومؤثرة إلى إيران ، لكن هذا التحالف الاستراتيجي لن يتم هذه المرة إلا بشكل غير مباشر، من خلال دعم سياسي وإسناد عسكري لوجستي واستخباري وتشويش إلكتروني وقواعد انطلاق بحرية وبرية من القواعد الأمريكية في المنطقة، إضافة إلى استمرار المد العسكري والمادي المتواصل، حيث تضع إسرائيل نفسها هذه المرة في مواجهة مباشرة مع إيران على غير عادتها في كل مرة عندما كانت أمريكا تشن حروب مباشرة من أجل عيون إسرائيل وبقائها كما حدث في العراق وأفغانستان وغيرها.

**التعاملات السرية بين طهران وتل أبيب وواشنطن:**

يعالج كتاب التحالف الغادر لمؤلفه تريتا بارسي العلاقة الثلاثية بين كل من إسرائيل، إيران وأمريكا لينفذ من خلالها إلى شرح الآلية التي تتواصل من خلالها حكومات الدول الثلاث وتصل من خلال الصفقات السريّة والتعاملات غير العلنية إلى تحقيق مصالحها

على الرغم من الخطاب الإعلامي الاستهلاكي للعداء الظاهر فيما بينها ووفقا لبارسي فانّ إدراك طبيعة العلاقة بين هذه المحاور الثلاث يستلزم فهماً صحيحاً لما يحمله نزاع الكلام الشفوي الإعلامي، وقد نجح الكاتب الكتاب في تفسير هذا النزاع الكلامي ضمن إطار اللعبة السياسية التي تتّبعها هذه الأطراف الثلاث، ويعرض بارسي في تفسير العلاقة الثلاثية لوجهتي نظر متداخلتين في فحصه للموقف بينهم أولاً الاختلاف بين خطاب الاستهلاك العام والشعبي وبين المحادثات والاتفاقات السريّة التي يجريها الأطراف الثلاث مع بعضهم البعض وثانيا: يشير إلى الاختلاف في التصورات والتوجهات استنادا إلى المعطيات الجيو-استراتيجية التي تعود إلى زمن معين ووقت معين ليكون الناتج في النهاية محصلة لوجهات النظر المتعارضة بين الأيديولوجية والجيو-استراتيجية، مع الأخذ فى الاعتبار أنّ المحرّك الأساسي للأحداث يكمن في العامل الجيو-استراتيجي وليس الأيديولوجي الذي يعتبر مجرّد وسيلة وبمعنى أبسط، يعتقد بارسي أنّ العلاقة بين المثلث الإسرائيلي- الإيراني – الأمريكي تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي والجيو-استراتيجي وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات الحماسية...الخ ، وعلى عكس التفكير السائد، فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل يشرح الكتاب هذه المقولة ويكشف الكثير من التعاملات الإيرانية – الإسرائيلية السريّة التي تجري خلف الكواليس والتي لم يتم كشفها من قبل كما يؤّكد أنّ أحداً من الطرفين إسرائيل وإيران لم يستخدم أو يطبّق خطاباته النارية، فالخطابات في واد والتصرفات في واد آخر معاكس ووفقا لبارسي، فإنّ إيران الثيوقراطية ليست خصما لا عقلانيا للولايات المتّحدة وإسرائيل كما كان الحال بالنسبة للعراق بقيادة صدّام وأفغانستان بقيادة طالبان فطهران تعمد إلى تقليد اللاعقلانيين من خلال الشعارات والخطابات الاستهلاكية فهي تستخدم تصريحات استفزازية لكنها لا تتصرف بناءاً عليها بأسلوب متهور من شأنه أن يزعزع نظامها

وعليه فيمكن توقع تحركات إيران وهي ضمن هذا المنظور لاتشكّل خطرا لا يمكن احتواؤه عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية فكلتا الدولتين تميلان إلى تقديم نفسها على أنّها متفوقة على جيرانها العرب إذ ينظر العديد من الإيرانيين إلى أنّ جيرانهم العرب في الغرب والجنوب أقل منهم شأناً من الناحية الثقافية والتاريخية وفي مستوى دوني ويعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد في تحضّرهم وتمدّنهم ولولاه لما كان لهم شأن يذكر وفي المقابل، يرى الإسرائيليون أنّهم متفوقين على العرب بدليل أنّهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة،ويقول أحد المسئولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شي .

إننا إذا أمعنّا النظر في الوضع الجيو-سياسي الذي تعيشه كل من إيران وإسرائيل ضمن المحيط العربي، سنلاحظ أنهما يلتقيان أيضاً حالياً في نظرية لا حرب، لا سلم الإسرائيليون لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم أقل منهم شأناً ولايريدون أيضاً خوض حروب طالما أنّ الوضع لصالحهم، لذلك فان نظرية لا حرب، لا سلم هي السائدة في المنظور الإسرائيلي وفي المقابل، فقد توصّل الإيرانيون إلى هذا المفهوم من قبل، واعتبروا أنّ العرب يريدون النيل منّهم والأهم من هذا كلّه، أنّ الطرفين يعتقدان أنّهما منفصلان عن المنطقة ثقافياً وسياسياً، فالإسرائيليين محاطين ببحر من العرب ودينياً محاطين بالمسلمين السنّة أما بالنسبة لإيران، فالأمر مشابه نسبياً عرقياً هم محاطين بمجموعة من الأعراق غالبها عربي خاصة إلى الجنوب والغرب، وطائفياً محاطين ببحر من المسلمين السنّة .

إيران وإسرائيل تتنافسان ضمن دائرة نفوذهما في العالم العربي وهذا التنافس طبيعي وليس وليد الثورة الإسلامية في إيران، بل كان موجوداً حتى إبان حقبة الشاه حليف إسرائيل

فإيران تخشى أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها إقليمياً بحيث تصبح معزولة، وفي المقابل فإنّ إسرائيل تخشى من الورقة الإسلامية التي تلعب بها إيران على الساحة العربية ضد إسرائيل.

إن السلام بين إسرائيل والعرب يضرب مصالح إيران الإستراتيجية في العمق في هذه المنطقة ويبعد الأطراف العربية عنها ولاسيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجيا ليس هذا فقط، بل إنّ التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي والقوات العسكرية وهو أمر لا تحبّذه طهران وأحد أسباب انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠ هو أنّ إسرائيل أرادت تقويض التأثير الإيراني في عملية السلام من خلال تجريد حزب الله من شرعيته كمنظمة مقاومة بعد أن يكون الانسحاب الإسرائيلي قد تمّ من لبنان.

وهناك اجتماعات سرية كثيرة عقدت بين إيران واسرائيل في عواصم أوروبية اقترح فيها الإيرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة والمسئولون الرسميون الإيرانيون وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق عام ٢٠٠٣ عبر الاستجابة لما تحتاجه, مقابل ما ستطلبه إيران منها, على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين وتنتهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق عام ٢٠٠٣, كانت إيران تعمل على إعداد اقتراح جريء ومتكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساساً لعقد صفقة كبيرة مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي-الإيراني وتمّ إرسال العرض الإيراني أو الوثيقة السريّة إلى واشنطن وعرض الاقتراح الإيراني السرّي مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على الصفقة الكبرى

وهو يتناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي, سياستها تجاه إسرائيل, ومحاربة القاعدة كما عرضت الوثيقة إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية-إيرانية بالتوازي للتفاوض على ثلاث مواضيع: أسلحة الدمار الشامل، الإرهاب والأمن الإقليمي, التعاون الاقتصادي وهذه الورقة مجرّد ملخّص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلاً كان قد ذاع عام ٢٠٠٣ عبر وسيط سويسري هو تيم جولدمان نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقّيه من السفارة السويسرية وتضمّنت الوثيقة السريّة الإيرانية لعام ٢٠٠٣

١- عرض إيران استخدام نفوذها في العراق لتحقيق الأمن والاستقرار, إنشاء مؤسسات ديمقراطية, وحكومة غير دينية٠

٢- الوضوح الكامل لتوفير الاطمئنان والتأكيد على أنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل, والالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل ودون قيود٠

٣-إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل عام ١٩٦٧

٤- التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني

٥- قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢, أو ما يسمى حل الدولتين التي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود ١٩٦٧والمفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل فى استعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل كدولة شرعية ولقد سبّب ذلك إحراجاً كبيراً لجماعة المحافظين الجدد والصقور الذين كانوا يناورون على مسألة تدمير إيران لإسرائيل ومحوها عن الخريطة

وينقل بارسي في كتابه أنّ الإدارة الأمريكية المتمثلة فى نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الاقتراح ورفضه على اعتبار أن الإدارة الأمريكية ترفض التحدّث إلى محور الشر بل إن هذه الإدارة قامت بتوبيخ الوسيط السويسري الذي قام بنقل الرسالة ويشير الكتاب أيضاً إلى أنّ إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتّحدة لكن إسرائيل كانت تعطّل هذه المساعي دوماً خوفاً من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة ومن المفارقات الذي يذكرها الكاتب أيضاً أنّ اللوبي الإسرائيلي في أمريكا كان من أوائل الذي نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينيات بأن لا تأخذ التصريحات والشعارات الإيرانية المرفوعة فى الاعتبار لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها في السياسة الإيرانية.

## تحالف إيراني أمريكي .. أين العداء الحقيقي؟

في ظل الأحداث السياسية والتصعيد الإيراني والأمريكي والصهيوني حول التسلح النووي الإيراني والتصعيد الشيعي لا شك أن هذه الأحداث المتلاحقة تضعنا أمام سؤال بديهي وأساسي هل هناك حرب أمريكية إيرانية معلنة وتواطؤ في الخفاء لتحقيق مصالح مشتركة ؟ إذا كان كذلك إذاً فمن هو العدو ؟.

في العلاقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية شيء من عدم الوضوح يمارس بهمة في حين تبدو للناس إنها عداوات شديدة وقطيعة نهائية ففي ذروة أزمة رهائن السفارة الأمريكية في طهران، بدا الأمر وكأنه صدام حتمي بين الطرفين، فى حين ان مفاوضات على مستوى عال كانت تجرى بينهما بقيادة علي رافسنجاني وجورج بوش الأب وأبرمت صفقة عجيبة مثيرة سرية مفادها الاتفاق على عدم إطلاق الرهائن في عهد الرئيس الأمريكي كارتر،حتى لا يفوز فريقه في الانتخابات

التي كانت على وشك أن تجرى وبالفعل، حرم الرهائن الأمريكيون من الحرية حتى سقط كارتر وفريقه، وفاز رونالد ريجان وفريقه، وعلى رأس هذا الفريق جورج بوش الأب الذي أصبح نائباً لريجان ويعلم الكثير من الناس تاريخ الفرس ونهجها تجاه الأمة العربية فتاريخ الفرس يبين تحالفاتهم مع الغرب لتحقيق مصالحهم السياسية منها تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية والذي يغيب عن الكثير مدى هذا التحالف الذي يبين ظاهر إيران وباطنها تجاه الإدارة الأمريكية التي صنعت الثورة في إيران بقيادة الخميني لتتخذ هذه الدولة غطاء ديني لتصل إلى أهداف سياسية تخدم المصالح الأمريكية والكيان الصهيوني ويظهر هذا التحالف واضحاً جلياً في خطابات حسن نصر الله خصوصاً خطابه الذي تجاهل فيه الشراكة الإيرانية مع المشروع الأمريكي في العراق وأفغانستان ، فتحدث لساعات دون أن يذكر في خطابه كلمة واحدة عن أفغانستان ، رغم أنها تقاوم المشروع الأمريكي ، ولأنها أيضا تقاوم الشريك الخفي للأمريكيين وهم الإيرانيون ، لذلك تجاهلها في خطاباته مع العلم إنها دولة إسلامية ملاصقة لإيران وشعبها مقاوم للأمريكيين.

يظهر ذلك في خطب نصر الله لأن أجندته تفرض عليه هذا المنطق تجاه المقاومة الإسلامية في أفغانستان ، ليس لأنها تقاوم الأمريكان ، لكن لأنها مقاومة سنية رافضة للتمدد الشيعي الإيراني ويلاحظ أن إيران تمارس سياسة مبطنة بكل معانيها سواء في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية أو مع الدول العربية خاصة الخليجية منها، ففي الوقت الذي يهاجم فيه أحمدي نجاد إسرائيل والولايات المتحدة يتوجه بزيارة للعراق وهو يعلم كل العلم إن السفير الأمريكي كروكر والقائد العسكري بتريوس هما اللذان يحكمان العراق ألا يدل ذلك على أن تنسيقاً واتفاقاً جرى مع الطرفين قبل تحقيق تلك الزيارة؟، إذن كل ما يقال عن صراع أمريكي إيراني لم يحدث خلال السنوات الماضية

بل على العكس سهلت الولايات المتحدة خلال احتلالها العراق التواجد الإيراني وأصبغت عليه شرعية والدليل على ذلك المباحثات التي تجريها الولايات المتحدة مع إيران بشأن العراق، فمن الذي أعطى إيران الحق في تقرير مصير العراق؟

إذن هناك لعبة أمريكية إسرائيلية إيرانية لتحقيق مصالح مشتركة في المنطقة تنشر من خلالها إيران تشيعها في العالم العربي وتحقق منها الولايات المتحدة وإسرائيل أجندتها السياسية والمادية.(١)

**ماذا تريد أمريكا من إيران ؟**

أمريكا تريد من إيران عدة أمور، وإيران توافقها وتسايرها فيها لأنها توافق عندها رغبات وأحقاد دفينة، علي رأسها إضعاف العالم الإسلامي السني، وإفشال أسباب وحدة أبنائه وحتى حكوماته، فأمريكا أفسحت المجال لإيران حتى تنشر الطائفية الدموية التي تنخر في كل بلد أفسحت أمريكا فيه المجال لإيران حتى تعبث فيه، مثل العراق وأفغانستان وباكستان ولبنان واليمن، فإيران لم تتدخل بنشر الطائفية التي تفرق الصف وتزكي الصراعات وتحرك الأحقاد إلا بمساعدة أمريكا التي تولت تحييد كل القوي القادرة علي التصدي للطائفية الإيرانية إما حرباً كما هي الحالة في العراق وأفغانستان، وإما ضغطاً كما هي الحالة في باقي الأمثلة المذكورة .

أمريكا أيضاً تريد من إيران تفتيت العالم الإسلامي بتزكية الصراعات الدينية والمذهبية فيه، وتحريك الأقلية الشيعية في كل مكان بالثورة والاضطرابات والمناداة بالانفصال، كما حدث مع الحوثيين في اليمن وشيعة الجنوب العراقي،وشيعة القطيف والإحساء، وشيعة الهزارا الأفغانية، وشيعة لبنان.

وهكذا نري أن أصابع إيران تعبث فى استقرار ووحدة البلاد الإسلامية، وتساهم بأقصى جهد في تمرير مشروع أمريكا الخاص بتفتيت العالم الإسلامي خاصة الكيانات الكبرى فيه مثل السعودية ومصر والسودان واليمن والبقية تأتي .

أمريكا أيضاً تريد من إيران أن تقوم بدور عفريت الدول العربية والإسلامية خاصة في منطقة الخليج، لتبقي دول المنطقة أسيرة لدي الوجود الأمريكي في المنطقة، ويكون لدي حكومات هذه الدول مبرر لائق لتواجد القوات الأمريكية بأحدث واقوي الأسلحة التي ترهق ميزانيات دول المنطقة، التي تدفع فاتورة الضيافة الأمريكية بأبهظ ما يكون وبالتالي يكون عفريت إيران وتهديداته المتواصلة للبحرين والإمارات وغيرها من دول المنطقة سبباً لنكبتين، الوجود الأمريكي بكل ما فيه من مفاسد ومنكرات، وإضعاف ماليات واقتصاديات الدول الإسلامية ولنضرب مثالاً نهديه إلي من يقولون أن أمريكا وإيران أعداء ،وإلي المطبلين للبطولات الإيرانية في التصدي للشيطان الأكبر، وإلي جوقة التطبيع الإيراني من مثقفينا من ذوي الأصوات المسموعة والأقلام المقروءة، فقد استضافت واشنطن مؤتمراً ترعاه منظمة شيعية مشبوهة مدعومة مباشرة من إيران، تسمي مركز الديمقراطية وحقوق الإنسان في السعودية تحت رياسة مطرود شيعي اسمه علي اليامي حضره العديد الشخصيات المشبوهة أحمد صبحي منصور زعيم فرقة القرآنيين المنحرفة والفار إلي أمريكا منذ سنوات، والصحفي لي سميث صاحب كتاب الحصان القوي : السلطة والسياسة صراع الحضارات العربية، وجاك بيرس المسئول السابق في وزارة العدل،فرزانة حسن مديرة الاتصالات في منظمة الكونجرس الكندي الإسلامي، وهي منظمة مشبوهة لا تضم في عضويتها سوي ٣٠٠ مسلم من أصل ثلاثة أرباع مليون مسلم بكندا، وتنادي بحظر الحجاب بين المسلمين بكندا .

هذه الزمرة المشبوهة اجتمعت لمناقشة موضوع خطر الفكر الوهابي الذي تتبناه المؤسسة الدينية الرسمية في السعودية علي العالم الحديث، وعقدت فيه عدة حلقات بحث كان محورها الخطط العملية لإضعاف التطرف الديني السعودي، وفي بيان أصدره المؤتمر ندد فيه بالمملكة السعودية في تصدير أيديولوجيتها الوهابية المفزعة والقاتلة إلي كل ركن من أركان هذا الكوكب علي حد زعم واضعي البيان، مع توصيات خاصة لصانع القرار الأمريكي بخصوص التصدي للتطرف الديني السعودي، وكيفية التعامل مع المملكة السعودية بهذا الشأن .

وبعد نقول هل يحق لأحد أن يزعم أن إيران وأمريكا عدوان، وكلاهما يتحالف ويتعاون ويستضيف وينسق من أجل محاربة الإسلام ممثلاً في الفكر السلفي الذي يمثل تحديا للمشاريع الأمريكية والإيرانية في المنطقة،وهل أمريكا تنعي علي السعودية ما يسمي بتصدير الفكر المتطرف، تغض الطرف تماماً أمام الممارسات الإيرانية التي لا تنقطع نحو تصدير مبادئ ثورة الخوميني، بل تدعمها وتؤيدها وتفسح لها الطريق، لما فيها من خراب عاجل للأمة الإسلامية، بل تغض الطرف عن العربدة الإيرانية والتدخل السافر في شئون البلاد العربية بلا أدني اعتراض أو حتى شجب من الطراز العربي .

هذه المؤتمرات وغيرها كثير ما هي إلا صورة من صور التعاون الوثيق بين أمريكا وإيران ضد العالم الإسلامي عامة والسعودية خاصة، (١)خصم إيران التاريخي والديني والسياسي والعقبة الكؤود أمام إقامة دولة إيران الكبرى في المنطقة .

# الباب الثانى
# الصراع والحرب الباردة

# الفصل الأول :الصراع

## شبهات حول العلاقة الأمريكية الإيرانية:

في السنوات الست الماضية لم تتوقف وسائل الإعلام عن الحديث عن الملف النووي الإيراني،ولم تنته المشاحنات بين الدبلوماسيين الإيرانيين من جهة وبين الدبلوماسيين الغربيين لاسيما الأمريكيين منهم من جهة ثانية، لدرجة أن كثيراً من المراقبين والمحللين السياسيين اعتبروا أن الصراع بين إيران وأمريكا صراعاً حقيقياً، وأن نهاية الصراع لا بد آتية، وأن الضربة الأمريكية أو الإسرائيلية المدعومة أمريكياً قد اقترب أوانها لكن المدقق في واقع العلاقات الأمريكية بإيران يجد أن الأمور كلما وصلت إلى حافة الهاوية عادت من جديد إلى حلبة الصراع الآمنة، وفُتح النقاش مع إيران من جديد، وطُرحت ملفات جديدة للحوار، وأدخل العالم في حالة من الغموض السياسي بشأن تلك العلاقات المضطربة بين الطرفين.

والظاهر من سلوك قادة إيران أنهم واثقون من عدم وقوع ضربة أمريكية ضد قدراتهم العسكرية والنووية، وأنهم مطمئنون إلى أن سجالاتهم مع أمريكا والغرب لن تُفضي إلى الانفجار حتماً، ولن يخسروا من الاستمرار فى دبلوماسية حافة الهاوية التي يتبعونها.

ويغلب على الظن أن إيران تُنسق سياستها الخارجية مع أمريكا تنسيقاً تاماً، وبمعنى آخر فهي تلتزم بالتعليمات الأمريكية في كل ما يتعلق بسياستها الخارجية، فهذه السياسة متطابقة مع السياسة الأمريكية في العراق وأفغانستان كلياً، وهي سياسة خادمة للأهداف الأمريكية في الخليج وفي الشرق الأوسط ولهذه الأسباب مجتمعة

فالعلاقة الإيرانية الأمريكية تشوبها شبهات كثيرة، خاصة وأن التنسيق الأمني والسياسي بينهما بلغ على الأرض مداه خاصة في العراق وأفغانستان.أما مسألة الملف النووي وما يُثار حولها من لغط، فما هي سوى أداة تستخدمها إيران لتصير دولة إقليمية عظمى في المنطقة، وهو الأمر الذي وافقت عليه أمريكا فعلاً، بدليل أنها وافقت على مبدأ بيع إيران لليورانيوم المخصب وهو ما لم يحدث قط مع أي دولة أخرى غير نووية ولعل ما ينتاب الإعلاميين والسياسيين من حيرة واضطراب بسبب تصعيد الكلام بين إيران وأمريكا، بينما يجري تنسيق فعلي بينهما على الأرض ممكن إزالته بكل بساطة ويسر وذلك بعد أن كشف الضابط الأمريكي السابق لاري فرانكلين الذي كان مسئولاً عن الملف الإيراني في وزارة الدفاع الأمريكية في فترة الغزو الأمريكي للعراق في إدارة بوش السابقة عن حقيقة العلاقات الأمريكية الإيرانية آنذاك، حيث ظنَّ فرانكلين مثل الكثيرين غيره أن إيران هي أشرس عدو لأمريكا فقال: قرَّرت واشنطن غزو العراق دون وجود سياسة حاسمة إزاء أشرس عدو لها وهو إيران وبعد أن شعر فرانكلين أن الإدارة الأمريكية لم تكن جادة في سياستها ضد إيران أثناء الغزو قام بتسريب معلومات خاصة عن إيران أخذها من البنتاجون وسلَّمها إلى دولة يهود من خلال دبلوماسي إسرائيلي سابق لدى واشنطن، كما قام بتسريب معلومات مماثلة إلى الإيباك ظاناً أن ذلك سيقنع مجلس الأمن القومي بآرائه، لكن النتيجة جاءت معاكسة لما أراد فاتهموه بالتجسس ضد الدولة لصالح دولة أجنبية وألقي به في السجن وبعد خروجه من السجن كشف لاري فرانكلين عن مناقشاته داخل أروقة وزارة الدفاع الأمريكية فقال جادلت كثيراً داخل البنتاجون بشأن تغيير نظام إيران، وطالبت بتغيير النظام وليس بالتكيف مع الواقع، لكن كان هناك مسئولين في الخارجية وجهاز الاستخبارات (سي آي إيه) يعارضونني وأوضح فرانكلين أن هذا أدّى إلى فوضى وارتباك، أما المتشددون الذين يحكمون إيران فاعتقدوا أننا نعلن سعينا لتغييرهم، لكن عملياً نحن لا نريد ذلك.

إن مثل هذا الكشف من قبل مسئول أمريكي سابق عن واقع العلاقة المشبوهة بين أمريكا وإيران قد يُزيل شيئاً من الحيرة لدى الكثير من المراقبين السياسيين بشكل عام عن طبيعة العلاقات الأمريكية الإيرانية، ويؤكد من جهة أخرى أن هناك تنسيق واضح بين واشنطن وطهران في السياسة الخارجية، وأن ما تطنطن به وسائل الإعلام عن حالة من العداء والصراع بينهما إن هو إلا جعجعة إعلامية الغرض منها تقوية مكانة إيران إقليمياً في المنطقة.

**حقيقة الصراع الأمريكي الإيراني:**

الأحداث السياسية الكبرى تحتوي على حقائق تتفق عليها الأطراف المؤثرة والمحللون والمراقبون كما أن فيها سيناريوهات تختلف حولها التوقعات والتحليلات وصراع أمريكا وإيران الحالي فيه حقائق وأكاذيب وتمويهات وتوقعات وهذا رصد لأهم الحقائق الجديرة بالتأمل .

١-التصعيد الإعلامي أو التهدئة ليست مؤشراً حقيقياً علي الصراع الأمريكي الإيراني فالثورة الشيعية قد تزوجت الشيطان الأكبر زواج متعة مرتين الأولى في بداية ثورة إيران زمن قمة الصفاء الثوري أثناء الحرب الإيرانية العراقية فكانت الثمرة ولادة صفقة أسلحة عبر إسرائيل عرفت بفضيحة إيران جيت والثانية عبر عملاء إيران من الشيعة في تمكين أمريكا من احتلال العراق فهذا زواج قديم ومودة رغم كل الضجة الإعلامية .
٢-الصراع الإيراني الأمريكي الإسرائيلي صراع سياسي على مصالح لا على مبادئ وعقائد والاختلاف هو اختلاف اقتسام الغنيمة ، والغنيمة هنا هي المنطقة العربية السنية والشواهد كثيرة وما تغني ثوار إيران بالمبادئ إلا لخداع البسطاء من المسلمين والدليل صفقة إيران جيت وسماح الخميني بنقل آلاف من يهود إيران بالحافلات سراً إلى باكستان ومنها إلى إسرائيل

وعندما سئل الخميني عن مدى شرعية التعامل مع إسرائيل كان جوابه طالما لم يكن التعامل مباشراً فإنني لا أبالي وفي موضوع الهجوم على المفاعل النووي العراقي فقد تم التباحث بشأنه بين إسرائيل وإيران وقد وفرت إيران لإسرائيل صور فوتوغرافية وخرائط مفصلة وقد تم الاجتماع بين موفد إسرائيل وممثل الخميني في فرنسا قبل شهرين من ضرب المفاعل، وشرح الإيرانيون تفاصيل هجومهم غير الناجح على المفاعل العراقي في ١٩٨٠/٩/٣٠ وسمحوا للطائرات الإسرائيلية بالهبوط في مطار تبريز في حال الضرورة،ومساعدة إيران لأمريكا في احتلال العراق وأفغانستان لا تحتاج لأدلة .

٣- إيران تريد دوراً إقليمياً في العراق وغيره ورغم ما قدمته لإسقاط العراق إلا أن أمريكا لم تمنحها إلا القليل وبصورة غير رسمية وقد تسحبه فكان السلاح النووي وسيلة لترسيم نفوذها في المنطقة وتحقيق حلم مجدها الفارسي التليد أما عملاؤها الشيعة في العراق فلا تأمن انقلابهم عليها كما حاول محمد باقر الحكيم .

٤- معمل ليفرمور النووي الأمريكي الذي يعد المركز الرئيسي للأبحاث النووية الأمريكية وضع تقريراً لم يكشف النقاب عن محتوياته حول قدرات إيران النووية ورفعه إلى الرئيس بوش وتقديرات الاستخبارات المركزية الأمريكية أن إيران لن تستطيع بناء أسلحة نووية قبل عام ٢٠١٧ إلى ٢٠٢٠ .

٥- ساعدت إيران الولايات المتحدة على القدوم إلى المنطقة لإسقاط نظامين كانا لدى إيران قبل أمريكا عائق رئيس لاجتياح الأمة الإسلامية، ونجح الطرفان بفضل التعاون المشترك في بلوغ هذا الهدف لكن هذا الحلف كان يحمل عوامل انهياره منذ البداية أولى هذه العوامل رغبة كل طرف أن يكون له الكلمة في شئون هذه المنطقة، كما أن أحد الأطراف هو الذي كان يدفع الثمن دائمًا ونقصد به أمريكا، بينما الطرف الثاني يجني الأرباح دونما أي خسائر تقريبًا، وهي بالطبع إيران .

٦- إيران تسيطر على أكبر تشكيلين للمليشيا الشيعية فى العراق، هما فيلق بدر وجيش المهدي وتتحكم فى أكبر حزبين شيعيين، هما المجلس الأعلى وحزب الدعوة بأجنحته الثلاثة كما فتحت مكاتب للمخابرات الإيرانية استقطبت أكثر من ٧٠,٠٠٠ شاب من الجنوب وتجاوز عدد المنظمات الإيرانية التي تعمل في العراق ثلاثين منظمة تتخذ لها أسماء ومقرات وعناوين معروفة وجميع من يعمل فيها ويدير أنشطتها إيرانيون وثمانية عشر نائباً في مجلس النواب إيرانيون ولا يفوتنا أن القيادة الدينية لشيعة العراق،هو الإيراني علي السيستاني وقد بلغ السيستاني في انتمائه لأصله الإيراني،واستنكافه من الانتماء للعراق حداً جعله يرفض التجنس بالجنسية العراقية، حين أراد ما سمي بمجلس الحكم الشيعي منحه إياها ولإيران خمس قنصليات في العراق غير السفارة في بغداد؟ ورئيس إيران يمشى في بغداد وفى المنطقة الخضراء بحماية أمريكية وعلى البساط الأحمر وباستقبال رسمي وبوش وتشيني ورايس يأتون خفيه وتحت جنح الظلام.!

٧- إسرائيل لا تعتبر الشيعة وإيران خطراً على وجودها إنما خطر على نفوذها فقط بدليل تأييد شارون لشيعة لبنان حيث قال في مذكراته اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل ولو كبادرة رمزية إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضاً مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية,ودون الدخول في أي تفاصيل,لم أرَ يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد[١]وللعلم فالشيعة اللبنانيين في جيش لحد العميل لإسرائيل كانوا أكثر من النصارى وبعضهم انضم لحزب الله بعد انسحاب اليهود،لأن هدف الشيعة أن يكون لهم نفوذ في لبنان مقابل حمايتهم لإسرائيل من فلسطيني لبنان الذين كانوا يشكلون خطراً على إسرائيل لأنهم يهدفون لتحرير فلسطين وقد نجح حزب الله في منع الفلسطينيين من تنفيذ عمليات من لبنان.

٨- أمريكا ليس من مصلحتها تدمير إيران على النحو الذي تم في العراق وإسرائيل تشاركها هذه الرؤية، بصفتهما أكبر المستفيدين من وجود خطر إيراني على العرب فبقاء إيران كقوة عسكرية في هذه المنطقة مصلحة أمريكية وإسرائيلية في المقام الأول والخلاف ليس على بقاء هذه القوة أو عدمه، إنما على حجمها ودورها فالمحافظة على القوة الإيرانية يعني في الإستراتيجية الأمريكية تشتيت وإضعاف ما يسمى الخطر الإسلامي .

٩- إسرائيل حثت أمريكا على ضرب العراق لأنه كان يشكل تهديداً لوجودها وهي تحث الآن على ضرب إيران لأنها تنافسها النفوذ والقوة في المنطقة وتسعى لاقتسام الكعكة معها.

١٠- أمريكا ليست على رأي واحد حيال إيران ٠

١١- في رأي الخبراء الغربيين، فإن إمكانية نشوب حرب في هذه الفترة لا تزيد ولا تقل عن ٥٠%، ولكن قد تميل الكفة من أحد الجانبين لصالح الآخر.

١٢- الصراع ليس بين أمريكا وإيران فقط بل هي معركة مع الصين وروسيا أما إيران فهي مخلب القط فقط وإن اقتصر دور الروس والصين على الجانب السياسي والدبلوماسي.

١٣- الشيعة يحققون للغرب انقسام المسلمين إلى شيعة وسنة.

١٤- إيران تتفوق على أمريكا في الدهاء السياسي فهذه إيران تحكم العراق بدون إطلاق رصاصة أو قذيفة بفضل الحمق الأمريكي وهي تنتهج المماطلة وسياسة كسب الوقت والتسويف والمراوغة كي تصل إلى الحد النووي الذي يصعب معه تعرضها لأي عمل عسكري لكن مشكلة إيران أن عدوها الأمريكي أحمق والأحمق لا ينفع معه الدهاء والسياسة لأنه لا يمكن التنبؤ بما يصنع ومشكلة إيران الثانية مع أمريكا هي غطرسة إيران وتكبرها الذي سيتسبب في دهس الفيل الأمريكي لها.

١٥- النفوذ الإيراني يتزايد في المنطقة ويشكل خطراً استراتيجياً على المسلمين من الجهتين العقدية والسياسية لاسيما مع تفرق أهل السنة وابتعاد حكوماتهم عن الدين .

١٦- قوة إيران العسكرية مبالغ فيها فطهران تبالغ في تصوير قوتها العسكرية لإخافة من قد يفكر في عمل عسكري ضدها وأمريكا تبالغ في تصوير القوة العسكرية الإيرانية لإخافة جيران إيران.

١٧- منذ ثلاث أعوام تقريباً اتسعت دائرة التقشف في إيران فما عادت المواد المقننة تقتصر على الكهرباء وحدها إنما طالت المياه والغاز وحصص الوقود التي تعطى لأصحاب السيارات ومشاهد طوابير السيارات تقف ساعات طوال أمام محطات البنزين والغاز، وهي من أكبر دول العالم المصدّرة للطاقة،إيران بلد ينتفخ كبالون يبحث عن الانفجار، بلد شعبه يعاني من مصاعب وتحديات داخلية، وحكومته تبدّد الأموال خارجه، فيما الفقر والقهر تتنامى نسبتهما داخلياً .

١٨- الضربة الأمريكية لإيران لن تقتصر على المنشآت النووية بل ستشمل مابين ألفين إلى أربعة آلاف هدف عسكري واقتصادي لتشغل إيران بإعادة بناء بنيتها الأساسية ولتفجر صراعاتها الداخلية العرقية والسياسية .

١٩- الدول العربية تمارس دور المتفرج ، فيما الشعوب تقف على حافة براكين الغلاء والأزمات الاقتصادية وأوضاع المعيشة الصعبة فالعرب بين مستعمرين أمريكي وإيرني بلا استراتيجية للمواجهة إلا أماني وتمنيات بألا تحدث معركة بساحتهم وكأنهم ينتظرون حتى يستولي الرافضة على بلاد المسلمين كما فعل أسلافهم في القرن الرابع الهجري باستيلاء العبيديين على مصر والمغرب .

٢٠- أمريكا بحاجة لضربة عسكرية كبرى تمحو بها عار هزيمتها العسكرية في العراق وأفغانستان حتى باتت توصف بأنها نمر من ورق يتجرأ على التحرش بها الصغير والكبير وكان آخر ذلك هجوم الروس على حليفتها المدللة جورجيا وهي تتفرج عاجزة عن نصرتها.

٢١- الرد الاستراتيجي الأكبر من جهة السنة العرب على الخطر الشيعي الإيراني يجب أن يرتكز على تحطيم الفكرة الأساسية التي يستغلها الإيرانيون بتنفيذ حلمهم الإمبراطوري الفارسي وهي التشيع عبر تكثيف وتطوير دعوة الشيعة خاصة العرب منهم لأنهم قنطرة الفرس كما حدث في العراق فيجب التركيز على دعوتهم وتطويرها وتنظيمها في مؤسسات مدعومة رسمياً وشعبياً وإنشاء قنوات مواجهة للشيعة ليكون الرد فعال على سلاح إيران النووي بسلاح السنة العقدي والتركيز على اضطهاد إيران لشيعتها العرب في الأحواز .

٢٢- أمريكا وإيران ظلمتا المسلمين ظلماً عظيماً واشتركتا في قتل مليون ونصف مليون في العراق وهو ما يقارب جريمة التتار وتهجير خمسة ملايين عراقي وتيتيم أربعة ملايين طفل وترميل مليون امرأة وهذا ظلم عظيم لا يرضاه رب العالمين وقد توعد الله الظالمين بالعقاب في الدنيا والآخرة قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾.

## الصراع الأمريكي الإيراني إلى أين ؟

رغم أن هناك تعاوناً بين أمريكا وإيران إلا أن تحليل المواقف الأخيرة لكلا البلدين يبدو فى ظاهرها كما لو أن هناك بوادر حرب قادمة فعلاً وذلك حيث يبدو أن الصراع الأمريكي – الإيراني دخل الآن في مرحلة حساسة لا يمكن التنبؤ بأن يفسح المجال للحوار والتفاوض حتى وإن دعت نظرياً، مصلحة واشنطن أن تلجأ إليه في ملفات وقضايا لا تحسمها بنفسها

وتحتاج إلى مساعدة طهران أو – على الأقل - تحييدها كما طالبت بذلك لجنة بيكر- هاملتن في توصياتها المُقَدَمة إلى الكونجرس بشأن سبل احتواء الوضع المتدهور في العراق أمنياً وسياسياً وضرورة الدخول في حوار مع الدول المجاورة له خاصة طهران التي تتهمها واشنطن بالاستمرار فى دعمها لبعض الميليشيات المسلحة الشيعة والسنة لزعزعة الأمن في العراق وقتل الجنود الأمريكيين . (١)

المواجهة متوقفة فقط على من يبادر بإشعالها، وهذا ما نجده فى تصويت الكونجرس الأمريكي بمجلسيه بشبه إجماع على تصنيف الحرس الثوري الإيراني مجموعة إرهابية وزيادة العزلة الدولية على قطاع النفط الإيراني وقد جاء هذا التصويت قبل ساعات فقط من كلمة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢٥ /٩، مما يشير إلى أن الصراع لم يعد مُراهناً على طبيعة الخطب والتصريحات السياسية التي يمكن أن تحمل في طياتها، أحياناً، إيحاءات ومستجدات تؤثر على مسار المواقف والسياسات المتبعة لدى الأطراف المتنازعة وقد يكون هذا الموقف للكونجرس الأمريكي هو نفسه إشارة واضحة لتأييد سياسة الإدارة الأمريكية المتشددة تجاه إيران ولضغوطها في أكثر من جبهة على طهران لتغيير لغتها لكل ما تواجهها من ضغوط سياسية وعقوبات اقتصادية أو إجراءات مخابراتية أمريكية .

## صراع أم توافق خفي في العراق:

لم تكن الاتهامات الصريحة التي أطلقها الملك الأردني عبد الله الثاني لإيران بالتدخل في شئون العراق من خلال تمويلها العديد من المنظمات فيه وتشجيعها لمليون إيراني على اجتياز الحدود مع العراق ليدلوا بأصواتهم هناك في الانتخابات قد جاءت عبثاً وبدون أدلة مادية بل وأخطر ما قاله ملك الأردن عن هذا الموضوع

عند حديثه لصحيفة واشنطن بوست هو تأكيده لوجود طموحات تراود إيران بقيام ما أسماه بالهلال الشيعي، الذي يضم إلى جانب إيران كلاً من العراق ولبنان وسورية وبنظرة فاحصة لعمق التاريخ نجد أن طموحات إيران الصفوية فى أرض العراق لم تقف عند حدها وخصوصاً منذ بدء الخلافات الإسلامية الأولى وحتى يومنا هذا التي توجتها في أواخر ثمانينات القرن الماضي بمحاولة استيلاءها على أراضى عراقية بالقوة الأمر الذي أدى إلى اشتعال حرب دامت ثمان أعوام بينها وبين العراق، خسرتها إيران جميعاً في النهاية ومن هنا فإن حقيقة ما صرح به ملك الأردن هو فعل واقع بوضوح على الأرض في العراق ، حيث نجد تدخل إيراني سافر بأعتى صوره في الوضع المتردي أصلاً هناك نتيجة الاحتلال وما جلبه من مآسي على العراق وشعبه،وقد تمثل تدخل إيران من خلال آليات تعاونها الوثيق مع أحزاب وتنظيمات مرتبطة بها ارتباطاً تاريخياً واستراتيجياً ومنفذة لمآربها الخبيثة في العراق كحزب الدعوة والمجلس الأعلى وأخيراً مجموعة التنظيمات الشيعية العلمانية التي شكلها أحمد الجلبي(١) إلا أن الغريب في الأمر هو لماذا صرح الملك عبد الله بهذا الموضوع وبهذه الصراحة وفي هذا الوقت بالذات خصوصاً والأردن يعلم قبل غيره من الحكومات العربية أن مطامع إيران وتدخلها في العراق ليس بالشئ الجديد بل كان على مدى التاريخ القديم والحديث؟ والإجابة على ذلك تكمن في أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة قد صنفت إيران كدولة مارقة من دول محور الشر،وبالرغم من مواقفها من مسائل عديدة تخص الشأن الإيراني وعلى رأسها موضوع القدرة النووية الإيرانية المحتملة،إلا أن الولايات المتحدة لا تستطيع الاستغناء عن الدعم الإيراني لها في احتلالها للعراق سواء كان منه مباشر أو غير مباشر والذي نراه على أرض الواقع بأشكال مختلفة كما أنها لا تستطيع الاستغناء عن الموقف الإيجابي للقيادات الإيرانية الشيعية التي يقودها علي السيستاني المؤيدة لاحتلال العراق، أو على الأقل غير رافضة له.

إضافة للدعم العسكري واللوجستي الذي تقدمه لقوات الاحتلال الأحزاب والحركات السياسية المرتبطة بشكل مباشر بإيران لهذا فقد كانت استراتيجية الولايات المتحدة آنذاك هي الإبقاء،ربما مكرهة،على هذا الجانب الإيجابي فى علاقتها مع إيران، إذ بعكسه تعلم الولايات المتحدة جيداً أنه في ظل الوضع المتردي لقواتها في العراق نتيجة ضربات المقاومة الباسلة ورفض الشعب العراقي للوجود الأمريكي في العراق فإن أي حساسية علنية مع إيران حول هذا الموضوع قد تؤدي لفقدان الولايات المتحدة الدعم الذي تقدمه لها إيران وممثليها من الأحزاب العميلة أو انحساره على الأقل وبذلك قد تتفاقم الورطة التي تعاني منها الولايات المتحدة نتيجة احتلالها للعراق والتي تعمل جاهدة من أجل التغلب عليها لهذا اعتقدت الإدارة الأمريكية أن أفضل صيغة تستخدمها أولاً وبشكل غير مباشر هي توجيه تحذير إلى إيران من خلال إطلاقها العنان لعميلها وزير الدفاع حازم الشعلان ليتهم إيران علناً بالتدخل في الشأن العراقي وقيامها بأعمال إرهابية ومن خلال تصريحات نارية لم تلق أي صدىً من الجانب الإيراني وبعد أن ذهبت تصريحات الشعلان تلك أدراج الرياح، وجدت الإدارة الأمريكية في مسألة تدويل الضرب على الوتر الطائفي، والإيراني الشيعي منه بشكل خاص، خطوة ثانية ربما تستطيع من خلالها إرسال رسالة أوضح إلى الإيرانيين مفادها أننا نعلم جيداً بتدخلكم المباشر في الوضع الراهن في العراق وأننا لا يمكننا السكوت على ذلك ولهذا توجه الملك عبد الله بتحذيره الذي سمعناه والذي عبر بشكل غير مباشر عن رأي الإدارة الأمريكية حول الموضوع.

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو لماذا يقوم الأردن بهذا التحذير نيابة عن الولايات المتحدة؟ أليست الولايات المتحدة قادرة بنفسها على توجيه مثل هذا التحذير لإيران؟ والجواب على ذلك هو أنه بالإضافة إلى الورطة العسكرية التي وقعت فيها الولايات المتحدة جراء احتلالها للعراق والخسائر البشرية التي ألمت بقواتها

نتيجة المقاومة العراقية البطولية التي تزداد اتساعاً وتأثيراً، وجدت الولايات المتحدة أنها ستعاني من نكسة سياسية بعيدة المدى في حال إجراء مهزلة الانتخابات، بالرغم من أنها تجد نفسها مجبرة على إجرائها، لما سيكون لنتائجها من انعكاسات ترى الإدارة الأمريكية أنها قد تكون سلبية على تحقيق مشروعها الاستعماري في المنطقة على المدى البعيد والنكسة السياسية التي تراها الإدارة الأمريكية قادمة هو الاحتمال القوي لفوز القوى المرتبطة بإيران والمدعومة من القيادات الدينية الشيعية الإيرانية بمسرحية الانتخابات مما يعني بالتالي تشكيلة حاكمة للعراق مرتبطة استراتيجياً بالأطماع الإيرانية.

كما أن السبب الذي دفع الإدارة الأمريكية لعدم التصريح علانية عن مخاوفها من التغلغل الإيراني الواسع في العراق هو:

١. إن هدوء الشيعة المرتبطين بإيران وعدم مقاومتهم للاحتلال ما كان ليكون لولا التعهد الذي قطعه علي السيستاني للأمريكان بعدم مقاومتهم عندما التقى به ضباط كبار من المخابرات المركزية الأمريكية في أول يوم دخلت فيه القوات الأمريكية للنجف وبهذا فالإدارة الأمريكية لا ترغب فى خلق حساسية هم في غنى عنها مع السيستاني بتوجيه أصابع الاتهام علانية لإيران حول تدخلها المحموم في الوضع العراقي الراهن، إذ كفاهم ما رأوه من السيستاني عندما طالب بإجراء الانتخابات فى أقرب وقت ممكن.

٢. إن التعاون الوثيق بين مليشيات المجلس الأعلى والدعوة والجلبي والتنظيمات الأخرى المرتبطة استراتيجياً بإيران مع قوات الإحتلال كان ولا يزال عاملاً مهماً بالنسبة للإدارة الأمريكية نظراً لمشاركة تلك المليشيات في العمليات العسكرية التي تقوم بها قواتهم ضد المدن العراقية العديدة المقاومة للاحتلال هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضمان الإدارة الأمريكية استمرار دعم تلك التنظيمات لتقسيم العراق من خلال دعوتها لفدراليته الثلاثية تنفيذاً لحلم الصهيونية العالمية بتفتيت العراق

والقضاء على مقومات وجوده كدولة عربية وبهذا فإن الاتهام الأمريكي المباشر لإيران بتدخلها في الشأن العراقي قد يؤدي إلى انحسار التعاون بين تلك المليشيات وقوات الاحتلال مما قد يفاقم لحد كبير من المشاكل المتزايدة التي يواجهونها في احتلالهم للعراق الأمر الذي قد يؤدي إلى إفشال المخطط المرسوم للمنطقة عموماً.

٣. والأهم من السببين أعلاه، فإن أعضاء مهمين في الإدارة الأمريكية من الممثلين لشركات احتكار النفط، ومن بينهم ديك تشيني، وضعوا خططهم مسبقاً للسيطرة على نفط العراق، خصوصاً على النفط غير المستخرج حتى الآن.

اللعبة الآن انتقلت من المواجهة المباشرة بين الولايات المتحدة وطهران إلي مواجهة من نوع آخر أصبحت طهران تواجه الوكالة الدولية, أي أن طهران تتحدي المجتمع الدولي والقوانين الدولية وليست مجرد ضحية ضد الولايات المتحدة ومن ناحية أخري أصبح عليها مواجهة المعارضة الإيرانية التي بدأت تنشط في الآونه الأخيرة مستغلة الأوضاع الاقتصادية الصعبة بالإضافة إلي السياسات المتشددة والتعتيمية التي تنتهجها الحكومة ضد المعارضة وضد الشعب الإيراني وهو ما قد يحدث بعض الانقسامات داخل النظام الإيراني وهي الفرصة التي تنتظرها الولايات المتحدة وإسرائيل منذ فترة ليست قصيرة معتمدة علي النظرية البريطانية الشهيرة التي مازالت سارية المفعول حتي الآن وهي نظرية فرق تسد وإن كانت الولايات المتحدة تحاول الاستفادة من الثورات العربية في صراعها مع إيران بأن تدعي أنها الراعي الأول للديمقراطية والتغيير في الشرق الأوسط وأن جميع الدول عليها السماح لشعوبها بالتعبير عن مطالبها, فإنها تقصد فى المقام الأول إيران التي رأت في المعارضة الإيرانية محاولة للتخلص من النظام المتشدد بقيادة أحمدي نجاد دون أن تدخل في مواجهه عسكرية مع إيران في خطوة غير واضحة المعالم

أو أن تظهر في صورة أنها تحارب تقدم الشعوب بحجة الأمن والسلامة لشعوب المنطقة وما تواجهه من انتقادات لسياستها الموالية لإسرائيل وأنها تخشي فقط علي إسرائيل من الخطر الإيراني وليس خوفها علي المنطقة العربية كما تحاول أن تظهر دائماً.

إلا أن ذلك لم يمنع الولايات المتحدة ومعها إسرائيل من محاولة محاربة البرنامج النووي الإيراني بطرق أخري مثل الفيروس الالكتروني الشهير ستاكس نت الذي اعترفت به طهران مؤخراً وأنه كان السبب الرئيسي في تعطيل بعض أجهزة الطرد المركزي في محطة بوشهر وبين الحين والآخر تخرج روسيا لتؤكد سلمية البرنامج الإيراني والتي تعتبرها إيران من الدول الصديقة التي تعتمد عليها مع الصين في مواجهة الولايات المتحدة وتشيد روسيا بالتعاون الإيراني مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وعدم وجود ما يثبت نية إيران في امتلاك سلاح نووي حتي في الزيارات المفاجئة لمفتشي الوكالة وان المزاعم التي تطلقها الولايات المتحدة ضد الأنشطة النووية الإيرانية يؤكد الطابع السياسي لها وأن وراءها أهدافا خفية.

وبين الإصرار الإيراني علي المضي قدماً في برنامجها النووي وتحدي جميع العقوبات المفروضة عليها سواء الدولية منها الصادرة من مجلس الأمن الدولي أو الأحادية من جانب الولايات المتحدة وشركائها من دول الاتحاد الأوروبي وبين الموقف الأمريكي المتشدد من الصعود المتتالي للقوة الإقليمية لإيران سيظل العالم شاهداً علي الأحداث دون التأثير فيها إلا من بعض الدول ذات التأثير علي إيران وتتمتع بالحياد مثل تركيا والبرازيل ويبدوا أن الأطراف المتصارعة في العراق طرحت أوراقها بشكل علني بعد أن كانت تنكر ارتباطاتها وتحاول التنصل منها،فقد أنكرت الأحزاب الإيرانية ما تقوم به الحكومة الإيرانية من دعم للعصابات الإجرامية،وتدريبها المقاتلين من جيش مقتدى أو جماعة بدر،وتنكر الدعم المالي والعسكري المفضوح،أو تدخلها في الكثير من القرارات المهمة

فالحكومة العراقية لا تنسب شخصاً لوزارة إلا إذا حصل على تزكية من الحكومة الإيرانية،بل إن بعض هؤلاء الوزراء وأعضاء البرلمان من أصول إيرانية معروفة،وقد أعلنت إيران بشكل واضح عن تدخلها وتأثيرها في الشأن العراقي بعد معارك البصرة،وظهر للعيان الدور الإيراني الخطير في الأحداث الجارية في العراق،وجاءت المعركة بسبب الرفض الأمريكي استقبال الوفد الإيراني في المفاوضات الثلاثية التي كانت تجري بين الحكومات الثلاث،فقامت إيران بتحريك الأطراف المرتبطة بها لخوض صراع في البصرة،بين جماعات ترتبط بشكل مباشر بها،فالمجلس الإسلامي الأعلى وحزب الدعوة والتيار الصدري،يرتبطون بشكل مباشر بإيران،وتدار عملياتهم من قبل جهات إيرانية متعددة الولاءت ترتبط بهذا الزعيم الإيراني أو ذاك،حيث يرتبط المجلس الأعلى بتطلعات إيرانية،فيما يرتبط تيار الصدر بقوات القدس والحرس الثوري الإيراني،ولحزب الدعوة ارتباطه المباشر بالسيد علي الخامنئي ولي أمرهم كما يصرح بذاك كوادرهم في العراق،وقد يتساءل البعض عن أسباب هذا الصراع بين أطراف تدين بالولاء لجهة واحدة،وللإجابة على هذا السؤال علينا دراسة الوضع العراقي،حيث يسعى كل طرف من هذه الأطراف إلى أثبات وجوده الفاعل على الأرض،وأن يكون القوة الفعالة في الداخل ليحضا بالمباركة الكاملة وإنهاء الآخر،لأسباب لا تعدوا نزعة التحكم والسيطرة وقوة النفوذ ،كالشركة التي تتعامل مع وكلاء عدة ،حيث تمنح ثقتها لأكثر هؤلاء قدرة على تصريف بضاعتها وإيجاد السوق الملائم لها،ناهيك عن أن السيطرة على العراق تعني الهيمنة على النفط ،فبدلاً من توزيعه بين شركاء عديدين يحاول كل طرف بسط هيمنته عليه وإنهاء الآخر،لأن الأحزاب الدينية ،لا تؤمن بوجود الآخر وكل منها يدعي امتلاكه الحقيقة المطلقة،وأنه الممثل الحقيقي لطائفته ولا مكان لغيره في تولي أمرها.

إن المتابع يلمس حقيقة التدخل الإيراني وحجمه، إذا أخذنا في الاعتبار التصعيد في البصرة،الذي رافقه إيقاف كامل لأي عمليات،في المناطق التي تهيمن عليها الأحزاب الدينية وجماعات القاعدة ،مما يعني أن إيران توجه رسالة واضحة للقيادة الأمريكية عن قوة تأثيرها على اللاعبين الأساسيين في العراق،وأنها قادرة على تحريك الأوضاع في أي منطقة تريد،وقادرة أيضاً على إثارة المعارك والاضطرابات في غرب العراق وشرقه وجنوبه،أو أي مكان آخر بما تمتلك على الأرض من قوى مؤثرة،وما يربطها بالتنظيمات المسلحة من علاقات،كما أنها قادرة على إيقاف المعركة في الساعة التي تريد،فبعد اشتداد المعارك في وسط وجنوب العراق،والفوضى التي خلقتها ،أرسلت إيران ،لاجتماع طارئ للوصول إلى اتفاقات لم يعلن عن الكثير من بنودها،فشارك حزب الدعوة،ومنظمة بدر،ومقتدى الصدر في مفاوضات باشراف ورعاية إيرانية ، فاصدر مقتدى بيانه بإيقاف القتال وانسحاب المالكي من البصرة فوراً،وفعلاً أنسحب المالكي وأوقفت الاعتقالات والمداهمات والعمليات العسكرية،وهذه رسالة قوية لأمريكا عن قدرة إيران وتأثيرها في الشأن العراقي ،وأنه لابد لأمريكا من التفاوض معها،وفعلاً طلبت القيادة الأمريكية من الحكومة العراقية البدء فى جلسة مفاوضات ثلاثية،تزامنت مع إعلان أحمدي نجاد عن قيام إيران بتشغيل ٦٠٠٠ جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم،والوجه الثاني من هذه الرسالة الإيرانية إلى البيت الأبيض أنهم قادرون على التأثير فى انتخابات الرئاسة بإشاعة الفوضى وإثارة الاضطرابات في العراق،مما يجعل بقاء الجمهوريين بالبيت الأبيض من المحال ولنا أن نتساءل من هو المنتصر الوحيد في هذه لمعركة،إذا عرفنا أن الخاسر الوحيد هو الشعب العراقي،الذي يدفع أبنائه لمعركة الموت،فيما تسيطر الأحزاب على موارده الاقتصادية،وتهيمن بشكل كامل على مفاصل الدولة العراقية،والمنتصر الوحيد في هذه المعركة هو الجانب الإيراني،الذي أعلن عن وجوده بشكل واضح،بعد أن كان هو ومن يلوذ به يؤكدون على عدم وجود أي دور لهم فيما يجري في العراق،ويكيلون الاتهامات لجهات أخرى ليس لها تأثير يذكر .

## الصراع الإيراني الأمريكي والمصلحة الإسلامية:

المتابع للتحليلات السياسية التي تتناول العلاقات الإيرانية الأمريكية يقف حائراً أمام التناقضات التي يجدها من تحليلات سطحية تروج أن إيران عميلة لأمريكا وأن هذا الصراع ما هو إلا مسرحية وتحليلات ترى أن هناك صراعاً حقيقياً بين النظامين بسبب المواقف المبدئية للنظام الإيراني تجاه إسرائيل والقضايا الإسلامية وتحليلات أخري ترى أن دوافع هذا الصراع هى تعارض مصالح السياسية لهذين النظامين فقط وهذه التحليلات تجانب الصواب لافتقادها لبعض الأدوات والمفاهيم اللازمة للفهم السليم.

بداية نقرر سذاجة القول بالعمالة لأمريكا لأنها عدوة حقيقية لإيران لكن هذا العداء من إيران لا يشمل اليهود وإسرائيل ، حيث أن هناك تبايناً كبيراً بين سياسة أمريكا وإسرائيل تجاه إيران لسبب عقائدي هو أن الفكر الشيعي من نسل الفكر اليهودي،وإيران لا تشكل خطراً على مصالح إسرائيل في المنطقة بعكس أمريكا .

وعليه فإن هناك صراعاً حقيقياً بين النظامين الإيراني والأمريكي بسبب اختلاف المنطلقات الفكرية السياسية فأمريكا الديمقراطية لا تقترب فكرياً من إيران ولاية الفقيه ذات الطابع الشمولي ثم إن النظام الإيراني الحالي قام على أنقاض نظام الشاه الموالي لأمريكا والسياسات التي مارسها النظام الإيراني تجاه أمريكا كانت عدوانية بدءًا من احتجاز موظفي السفارة الأمريكية في طهران والاغتيالات والتفجيرات في بيروت تجاه الأمريكيين بواسطة أتباعها وبعد ذلك التحرش بدول الخليج الموالية لأمريكا وموقف أمريكا الداعم للعراق في حربه ضد إيران وغيرها من المواقف كل هذا يدل على العداء الحقيقي بينهما

ولهذا العداء عدة أسباب :

الأول الخلاف الفكري بين نظام يدعو للحرية والانتخابات النزيهة وبين نظام شمولي قمعي كما أن النظام الشيعي الإيراني يحسب على الفكر الشيوعي في النواحي السياسية والاقتصادية كما بين ذلك الدكتور موسي الموسوي في كتابه سراب في إيران والجمهورية الثالثة.

الثاني : عقد إيران تحالفات مع أعداء أمريكا روسيا، الصين، كوريا، سوريا، ليبيا.

الثالث : سعي إيران لتخريب عملية السلام بين العرب وإسرائيل – وذلك طبعاً لمصلحة إسرائيل - مما يفسد على أمريكا خططها في المنطقة .

الرابع : دعمها للحركات التي تعمل في الدول الحليفة لأمريكا .

الخامس : السعي لامتلاك القوة النووية التي تسيطر بها على جيرانها .

هذه أهم الأسباب للعداء الحقيقي بينهما لكن هل هذا العداء سيكون للمصلحة الإسلامية العامة ؟.

الإجابة ستكون من خلال التأمل في مسيرة النظام الإيراني طيلة ربع القرن الماضي.

- لقد غاب الفعل الإيراني المطلوب إسلامياً عن كل القضايا الإسلامية التي مرت على الأمة (أفغانستان ، الشيشان ، البوسنة ، أرتيريا ...)

- فى المقابل كان العنف الإيراني دائماً موجهاً نحو المسلمين السنة ( العراق أمل والمخيمات ، تفجيرات الكويت ، تفجيرات مكة ...)

- أيضاً لم يتخل نظام الآيات عن سياسة الشاه في احتلال الجزر العربية بل تبنوا سياسة لا تفريط في مكتسبات حصلها الشاه.

- في الصراع مع إسرائيل لم تقدم إيران إلا الوعود والتحريض على تصعيد العمليات في الوقت الذي كان يجب فيه الانتظار لإعطاء مبرر لإسرائيل بالتنصل من التزاماتها .

- كانت إيران تتحالف مع أمريكا دوما لمصلحتها الخاصة وعلى حساب بقية المسلمين بل ضدهم (طالبان ، حرب العراق الثانية ، حرب العراق الثالثة.

- سعت إيران دوماً لتشويه علاقة المسلمين بالغرب من خلال سياسة كلام صاخبة لبعض القضايا .

## الحوار الإيراني-الأميركي؟

فى نهاية مايو ٢٠٠٩ أمهل الرئيس الأمريكي أوباما الإيرانيين حتى نهاية عام ٢٠٠٩للبت في جديتهم حول محادثات الملف النووي، أي ٦ أشهر، مؤكداً أن الحديث مع إيران لن يكون إلى ما لا نهاية، ولوح بتشديد العقوبات ضد طهران وظهر آنذاك مؤشرات على ليونة إيرانية تجاه واشنطن مثل إطلاق سراح الصحفية الأمريكية، كما كان هناك حراكاً إيرانياً لتعزيز القدرة على التفاوض، مثل محاولة الجمع الفاشلة بين قادة أفغانستان وباكستان لكن تظل القضية الجوهرية هي الملف النووي، وما بوسع إيران تقديمه من تنازلات، مقابل ما ستحصل عليه من أمريكا، خصوصاً أن واشنطن أكدت مراراً أن لا تفاوض على حساب المنطقة.

وهنا يجب أن لا نغفل عاملاً مهماً في معرفة مصير الحوار الأميركي ـ الإيراني قبل أن يبدأ،وهو العامل الإسرائيلي، فتل أبيب ترى المشروع النووي الإيراني تهديداً لوجودها، وتتعامل معه كخط أحمر لذا فلا غرابة أن أوباما حدد للمرة الأولى سقفاً زمنياً مع الإيرانيين بعد لقائه بنتنياهو، ويبدو أننا فعلاً كنا أمام معادلة وقف الاستيطان مقابل وقف إيران، فواشنطن مشغولة بعملية السلام، وإسرائيل مشغولة بإيران والأهم أن أوباما قال علناً إنه يعتقد أن النجاح في عملية السلام سيحد من خطورة مشروع إيران النووي، وهذا حديث له دلالات بالغة الأهمية، والسؤال هنا هل وقعت طهران في الفخ ؟فإيران خططت لأن تستغل القضية الفلسطينية فى التفاوض مع أمريكا، وبالتالي أصبح حبل القضية ملتفاً على رقبة الإيرانيين، لأن التنازل يكشفها عربياً، مثل ما حدث في قضية الصحفية الأمريكية.

ورغم ذلك فإن عناوين التفاوض التي يقترحها الرئيس باراك أوباما على إيران واضحة كما أن تلك التي تقترحها طهران واضحة أيضاً فكل من الطرفين يريد من الطرف الآخر إعلان التراجع عن سياسته الراهنة، في الوقت الذي يرغب فيه فى المساعدة في القضايا الضاغطة عليه وتشمل هذه العناوين كل مشكلات الشرق الأوسط الكبير، من باكستان إلى البحر المتوسط، مروراً بأفغانستان والخليج والعراق وصولاً إلى لبنان والنزاع مع إسرائيل، إضافة إلى العلاقات الثنائية المجمدة

والموقف الأمريكي من النظام في طهران وتعكس هذه العناوين قضايا وأزمات شائكة ومعقدة وفي الوقت نفسه تعني أن قوى في المنطقة لا تزال قادرة على الاعتراض في حال كان الحوار الامريكي - الايراني المحتمل يذهب في اتجاه يتعارض مع مصالحها مما يزيد تعقيدات إضافية على آليات الحوار وبدا من الكلمة التي وجهها أوباما، بمناسبة عيد النيروز، أن التنازل الأمريكي الوحيد هو التلميح باحتمال الاعتراف بالنظام الحالي في إيران والامتناع عن معاداته لصفاته الذاتية وسياسته الداخلية، والاستعداد للتعامل معه على هذا الأساس في العلاقات الثنائية مقابل أن تساعد إيران الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، على أن تدخل تغييراً على سياستها في الملفات الأخرى، خصوصاً التخلي عن برنامج نووي عسكري.

**الحرب النفسية:**

وصف الايرانى الدكتور رضائي ظروف البلاد الحالية بأنها حساسة ومعقدة للغاية مضيفاً أن الصمود والمقاومة في مواجهة الاستكبار العالمي لن يكون سهلاً بدون رد فعل مناسب.

وأشار أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام إلى التهديدات الأمريكية ضد إيران مؤكداً ضرورة توقع الأحداث على أساس ظروف المنطقة.

وأوضح أن تهديدات أعداء الإسلام تختلف عن السابق ويجب على مسئولي البلاد أن يكونوا أكثر حذراً ويقظة من السابق لأن أول شرط لاجتياز أزمة المنطقة هو التحلي باليقظة التامة.

وتابع قائلاً : في السابق كنا نواجه تهديدا ضد الثورة وعندما كان الأعداء ينوون الهجوم على إيران فان هدفهم كان سلب استقلال إيران ولكن في الوقت الحاضر فعلاوة على تلك التهديدات فان أمريكا تريد القضاء على الجمهورية الإيرانية.

والإدارة الأمريكية بعد أن أصابها اليأس من المساس بوحدة الأراضي الإيرانية فإنها تحاول احتواء الجمهورية الإيرانية في المنطقة لأنها تدرك أن إيران ليست مستعدة للتفاوض في الظروف الحالية وهم يعرفون أنهم غير قادرين على الإطاحة بإيران , فالظروف ليست كالسابق , وفي الوقت الحاضر فان الحرب بين إيران أمريكا هي حرب نفسية وقال أن على الدول الغربية ومن بينها أمريكا أن تدرك أن إيران تغيرت وأن تهديداتهم لن تجدي نفعاً لان إيران تسعى ليكون لها الكلمة الفصل في المنطقة خلافاً لرغبات القوى العظمى.

وأوضح أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام انه ان لم يتحقق اقتدار إيران بمعناه الحقيقي وتغلغل العدو إلى المنطقة فعندها سنواجه مشكلة , مؤكداً أن حصول إيران على التكنولوجيا النووية السلمية سيعزز من إمكانيات إيران العلمية وهذا ما تخشاه الدول الغربية فهم يدركون أن إيران ليست على استعداد مطلقاً في الظروف الحالية أن تجلس إلى طاولة المفاوضات معهم, لأن إيران ترفض خططهم في أفغانستان والعراق ولبنان.

وأمريكا تعلم أنه إذا تحولت إيران إلى القوة الأولى في المنطقة فان العديد من دول الشرق الأوسط ستلتف حولها وهذا الأمر لا يروق لأمريكا وسر النجاح الذي حققته إيران هو امتلاكه روح الاستشهاد(كما يرى ويعتقد) ويجب ترسيخ هذه الروح لبلوغ قمم النصر.

والمسئولون الإيرانيون جميعهم مصممون عن الدفاع عن حقوق ومصالح البلاد النووية بما فيها حق تخصيب اليورانيوم الذي يمكنها من توليد الوقود لمحطاتها النووية وحول المفاوضات النووية أعرب عن أمله في أن يبادر كلا الجانبين إلى القيام بمبادرة استراتيجية لتسوية الملف النووي تحفظ لإيران حقوقها النووية وتعطي التطمينات الدولية وفي نفس الوقت لا تفسح المجال لأمريكا أن تستغل القضية.

إن التحدي الأساسي للنظام الإيراني على أية حال، لا يتمثل فقط في المشكلات الاقتصادية لكن الأكثر من هذا أن ثلثي عدد السكان في إيران دون الـ ٣٢ سنة، وبالتالي فهم لم يعيشوا عصر القمع والفساد في عهد الشاه، لذلك فليس لهم ولاء قوي للثورة ، في بداية الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ شجع الخميني أفراد الشعب على زيادة النسل من أجل إيجاد مجتمع متين، وهو الأمر الذي أرهق النظام بشكل كبير في الفترة الحالية فأطفال الثورة يكافحون الآن من أجل دخول الجامعة والحصول على وظيفة مناسبة، كما أدت وسائل الاتصال الحديثة مثل الأقمار الصناعية والإنترنت إلى إطلاعهم على نظرائهم في باقي دول العالم وأصبحت لديهم رغبة في الحصول على نفس الفرص والحريات.

ورغم أن كافة الشواهد تؤكد أن حالة السخط الشعبي في إيران أصبحت واسعة الانتشار وأن أغلبية الإيرانيين يتطلعون إلى إصلاحات سياسية واقتصادية شاملة، إلا أنك عندما تسأل كيف ومتى يحدث هذا التغيير تجد مجموعة من الأفكار الخراسانية الجامدة المصحوبة بتمنيات بألا يصاحب هذا التغيير أي عنف أو إراقة دماء.

بعد القضاء على نظام طالبان في أفغانستان تعاطف بعض الإيرانيين مع فكرة التدخل الأمريكي في طهران لكن بعد ثلاث سنوات من الاضطرابات وعدم الاستقرار في العراق المجاور، انخفضت وتيرة الحديث عن تغيير النظام في إيران وزادت الشكوك حول المخططات الأمريكية في المنطقة وبالرغم من أن السكان الإيرانيين يبقون جدليًّا أقل عداء للأمريكيين في منطقة الشرق الأوسط إلا أن الولايات المتحدة باحتلالها للعراق فقدت ميزة سياسية هامة في الشارع الإيراني.

العديد من الإيرانيين نظروا إلى المشروع الأمريكي في العراق على أنه لم يهدف إلى تحقيق الديمقراطية بقدر ما هو مشروع يسعى إلى السيطرة على النفط العراقي، لهذا لا أحد في إيران الآن ينظر إلى العراق كنموذج للتغيير وكما يقول أحد سكان العاصمة طهران عندما ننظر إلى الوضع في العراق لا ننظر إليه على أنه خيار بين الديمقراطية والتسلط بقدر ما هو خيار بين الاستقرار والاضطراب، والإيرانيون سعداء لكنهم لا يريدون أن يحدث هذا الأمر في بلدهم ، فقبل حرب العراق كان هناك أمل كبير لدى الإيرانيين في تغيير سريع وغير عنيف للنظام ولكن ما حدث في منطقة الشرق الأوسط من فوضى جعل معظم الإيرانيين حتى المعارضين للنظام يفضلون استمراره بدلاً من العيش في جو من عدم الاستقرار والاضطراب فهم يفضلون التعامل مع شيطان يعرفونه بدلاً من آخر لا يعرفوه.

بالرغم من حالة السخط الشعبي إلا أن الحقائق الموجودة على الأرض تؤكد أن فرص التغيير ليست كبيرة وذلك لعدة أسباب أهمها أنه لا توجد قناة منظمة للتعبير عن حالة السخط الشعبي، كما لا توجد حركة معارضة موحدة يمكن الوثوق بها، وداخلياً، حركة الإصلاح الموجودة في الداخل غير قادرة على اتخاذ إجراءات حاسمة، فهم لا يريدون مثلاً السير في طريق المعارض أكبر كنجي الذي طالب بإجراء استفتاء على النظام.

أضف إلى هذا أن هناك عدد قليل جدًّا من الناس قد تكون لديهم رغبة في الخروج للشارع للاحتجاج على الأوضاع الاقتصادية ما دام لديهم الحد الأدنى الذي يمكنهم من المعيشة، كما أن الدعم يأتي للنظام الإيراني من خلال ٢٠ % من السكان هم قوات الجيش وبعض الفئات الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها في التصويت لصالح التيار المحافظ وهم طبقة رجال الأعمال أو التجار ورجال الدين الذين يستثمرون بشكل جيد في ظل الوضع الراهن.

المشكلة هنا أنه ليس من الواضح هل ستظل الصلة مقطوعة بين الرأي العام في الداخل وبين السياسة الخارجية الإيرانية على المدى البعيد؟ ففي الوقت الذي يسعى فيه الشباب الإيراني إلى تحقيق التكامل مع المجتمع الدولي يقوم أحمدي نجاد بمزيد من التصرفات التي تزيد من العزلة الدولية على إيران، فمسألة السياسة الخارجية الإيرانية ليست مسألة الخبز ولكن المشكلة أنه في ظل حاجة الداخل للأموال الإيرانية توجه هذه الأموال إلى دعم حزب الله وحركة حماس، أو توجه إلى البرنامج النووي الذي ما زالت فوائده مجهولة حتى الآن، ورغم كل هذا فإن مسألة العزلة المفروضة على الإيرانيين لم تدفع الشعب الإيراني للثورة ومؤخراً تم الكشف عن وثيقة للخميني تعود إلى عام ١٩٨٨ ، يعترف فيها بمواصلة الحرب العراقية – الإيرانية لإزالة صدام حسين بالقوة، ولكن إرهاق الحرب للشعب الإيراني دفعته إلى تجرع كأس السم والموافقة على وقف إطلاق النار، بعد ثماني سنوات من الحرب بلغت فيها خسائر إيران حوالي ٥٠٠٠٠٠ إيراني بين قتيل وجريح واليوم تواجه القيادة الإيرانية مجتمع ثوري مرهق وتدرك أنه لا يمكنها أن تطلب من الشعب تقديم مزيد من التضحيات للإبقاء على السياسة الخارجية المتحدية لإيران.

**إسرائيل تبتز أمريكا والدول الأوروبية:**

في تصريحات لصحيفة الشرق السعودية ورد أن إسرائيل يئست من قيام الولايات المتحدة بحملة عسكرية، لكنها تأمل أن تكون العقوبات أكثر صرامة ضد إيران، لذلك هي تسخِّن الوضع وتريد أن يقلق العالم على اعتبار أنها تريد أن تقوم بحرب، وهذا يتم على سبيل الضغط على أمريكا وغيرها من الدول الأوروبية حتى تشدد العقوبات على إيران كما أن زيارة رئيس الأركان الأمريكي مارتن دمبسي إلى إسرائيل والإعلان عنها عبر وسائل الإعلام هي لاستعراض العضلات وكأن شيئاً ما يحدث، وذلك في سبيل حث المجتمع الدولي لفرض عقوبات جدية ضد إيران وخيار الحرب ضد إيران حاضر بشكل دائم في السياسة العسكرية لإسرائيل، لكنه في هذه المرحلة يستخدم فقط لإيجاد حالة من التوتر والتأهب وتخويف العالم من خطر الحرب حتى يتحرك العالم للضغط وفرض عقوبات شديدة على إيران حتى يأتي الوقت المناسب لشن الهجوم عليها ويبرر هذا الموقف بوجود صعوبات تقنية تمنع إسرائيل من الهجوم على إيران في الوقت الحالي، فهي بحاجة إلى أسلحة أكثر قدرة، ومعلومات أكثر عن قدرات إيران النووية وقدرات الأسلحة التقليدية التي تملكها، لذلك فإن إسرائيل لاتستطيع أن تقوم بذلك بمفردها وكشفت دراسة عن سيناريو شن هجوم عسكري محدود ضد إيران، حتى يتدخل العالم ليوقف تطوره إلى حرب شاملة، عن طريق حل يشمل وقف البرنامج النووي الإيراني.

# الباب الثالث
# العرب بين إيران وأمريكا

## العرب وإيران و أمريكا:

على الرغم من أهمية الدور المصري النشط في كافة المحافل الدولية المتعلقة بالعراق إلا أنه يمكن القول بأن الدور العربي لم يكن له تأثير فيما يجرى في العراق أوتأثير فيما يؤول إليه مستقبل العراق في ضوء غياب خطة أو مشروع عربي من أجل المساهمة في حل الأزمة العراقية التي لا يجب أن يتركها العرب بالكامل لكل من إيران وأمريكا وعدم ترك الفرصة للولايات المتحدة في إذكاء روح العداوة والاستعداء بين العرب وإيران وتكريس الانشقاق في المنطقة من خلال خلق محاور وإيجاد فرقة لصالح إسرائيل وتفردها في المنطقة، مع عدم جدية مشروعات السلام المطروحة واليأس من التوصل إلى نتائج ملموسة من الاجتماع الأمريكي لمناقشة مشكلة الشرق الأوسط في ظل عدم استطاعة حكومة إسرائيل الحالية تحقيق السلام العادل في المنطقة.

لقد حان الوقت لصياغة استراتيجية عربية ومبادرة لتحقيق الأمن والاستقرار في العراق ومنطقة الخليج التي تعتبر البوابة الشرقية الاستراتيجية للعالم العربي، وأن يتم الترتيب لعقد مؤتمر خاص بالأمن والتعاون في الشرق الأوسط على أن يتم طرح كافة القضايا الملحة بمشاركة دولية والتركيز على المشكلات الراهنة في العراق ولبنان والسودان وغيرهم وصولاً لمشكلة الشرق الأوسط وكذلك الطاقة النووية السلمية التي تسعى دول العالم للاستفادة منها حتى دول البترول تحسبًا لنفاذه كما هو الحال مع نيجيريا التي شرعت في بناء مشروع نووي سلمي ينتج أربعة آلاف ميجاوات من الكهرباء النووية خلال العشرة سنوات القادمة وقد احتضنت الجزائر مؤتمرًا دوليًا لعدم استخدام المفاعلات النووية السلمية، فضلاً عن بناء إيران مفاعل بوشهر وعرضت مؤخرًا على شركات غربية وأمريكية مناقصة لبناء مفاعلين آخرين للاستخدام السلمي في منطقة خوزستان وجنوب إيران ولا يجب إغفال مشروع إسرائيل العملاق لبناء مفاعل جديد في صحراء النقب

والمرحلة الحالية تعد حاسمة ومناسبة للدخول في حوار عربي مع إيران وهي في أمس الحاجة إليه قبل مرحلة التقارب مع أمريكا وتزيد أهمية ذلك وقبل فوات الأوان وقبل أن يسفر اللقاء بين إيران وأمريكا عن عودة التوافق بينهما وهو ما ستسعى إليه إيران في المرحلة القادمة لحل مشاكلها المتشعبة في الداخل والخارج وسيكون ذلك على حساب العرب ولصالح المشروع الأمريكي.

## الخليج العربي في الصراع الأمريكي ـ الإيراني:

اقتضت الخصوصية الجيواستراتيجية للصراع الأمريكي ـ الإيراني أن يكون الخليج العربي والدول العربية المطلة عليه طرفاً رئيسياً في ذلك الصراع ومسرحاً لقسط لا بأس به من تفاعلاته ولعل في مساعي كل من واشنطن وطهران لاستقطاب دول مجلس التعاون الخليجي واستمالتها لتكون ركناً أساسياً في استراتيجية كل منهما لإدارة صراعها مع الأخري علي نحو ما تجلي خلال قمة الخليج الأخيرة ثم مؤتمر حوار المنامة, ما يعزز ذلك.

ففي قطر, وأثناء قمة دول مجلس التعاون الخليجي,فاجأ الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الجميع بسابقة لا قبل للقمم الخليجية بها حينما شارك في أحداث تلك القمة بكلمة في افتتاحها عرض خلالها علي دول مجلس التعاون مزيداً من التلاحم بينها وبين بلاده علي جميع الأصعدة من خلال اثني عشر إقتراحاً كان أبرزها ما يتعلق بإنشاء منظمة للتعاون الأمني فيما بينها, وإلغاء التأشيرات بهدف تسهيل تنقل المواطنين, فضلاً عن توثيق عري التعاون الاقتصادي وذلك في محاولة من نجاد لاستمالة تلك الدول في مواجهة الولايات المتحدة ضمن استراتيجيات إيران لإدارة أزمتها الراهنة مع الغرب بجريرة برنامجها النووي ودورها في العراق ولبنان,

فضلاً عن استخدام دول مجلس التعاون أيضاً كدرع استراتيجية وحائط صد في مواجهة أي تصعيد عسكري أمريكي محتمل ضد إيران   ولعل النظام الإيراني يحاول بذلك التأسي بنظيره فى كوريا الشمالية, الذي يعتمد في إجهاضه لنيات واشنطن النيل منه عبر عمل عسكري, علي رفض دول الجوار الحليفة لواشنطن كاليابان وكوريا الجنوبية, لأي عمل من هذا القبيل ضد بلاده تلافياً للتداعيات السلبية الخطيرة التي يمكن أن تطال تلك الدول جراء ردود الفعل المتوقعة من قبل بيونج يانج كرد انتقامي منها علي أي عمل عسكري أمريكي ضدها وإذا كان النظام الشيوعى في بيونج يانج يعتمد علي سياسة الابتزاز الاستراتيجي المستند علي أسلحة الدمار الشامل فإن نظام طهران يتبني استراتيجية مزدوجة تقوم علي الترغيب والترهيب ففي حين يعمد شقها الأول إلي ترغيب دول مجلس التعاون الخليجي عبر تطمينها وتهدئة مخاوفها من طموحات بلاده النووية وتطلعاتها الاقليمية من خلال طرح بعض مبادرات التقارب مع تلك الدول, يجنح الشق الآخر منها لاتجاه ترهيب الولايات المتحدة عن طريق التهديد باتخاذ طهران من الخليج العربي مرمي لردها الانتقامي علي أي اعتداء عليها من أي اتجاه,لحمل واشنطن وحلفائها في المنطقة علي التفكير ملياً قبل الإقدام علي أي خيار عسكري ضد إيران.

وفي البحرين, حرص وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس علي توجيه رد أمريكي صارم علي المقترحات التي طرحها الرئيس الإيراني خلال قمة الدوحة الأخيرة من أجل التعاون الاقتصادي والأمني مع دول مجلس التعاون,عسى أن يجهض أي خطوات تقارب من هذا القبيل بين الأخيرة وإيران وفي سبيل ذلك, برع جيتس في تذكير الحضور بما تمثله إيران من تهديد للأمن والاستقرار في منطقة الخليج والعالم أجمع, وهو التهديد الذي يستوجب من وجهة نظره إنشاء درع صاروخية خليجية مضادة للصواريخ في المنطقة بغرض التصدي له.

ووسط هذا السباق الأمريكي الإيراني للاستئثار بثقة وتأييد دول مجلس التعاون الخليجي خلال الفترة الماضية التي بدت حينها حبلي بالعديد من الأحداث الجسام والتطورات المثيرة,بدا جلياً أن دول المجلس لم تبد ارتياحاً لنيات الطرفين المتصارعين فمن جهة, لم يتورع القادة الخليجيون في البيان الختامي لقمة الدوحة عن إبراز اللامبالاة إزاء المبادرة الإيرانية, التي جاءت واهنة يعوزها الصدق بعد أن كاد يفخخها نجاد بوصف الخليج أثناء كلمته في افتتاح القمة بالفارسي رغم علمه بمدي ما يثيره هذا الوصف من حساسيات ودلالات مقلقة لدي الجانب العربي منه, كما اتبع النهج الإسرائيلي في عرض مقترحات التعاون الاقليمي,إذ دعا لتدشين علاقات تعاون بين الفرقاء دون علاج جراحهم وتسوية خلافاتهم, حينما بشر بخليج ينعم بالاستقرار الأمني ويرفل في الانتعاش الاقتصادي, معتمداً على تجاهل الهواجس الأمنية لدول مجلس التعاون, وقاصداً القفز فوق ملفات الخلاف العالقة بين إيران وتلك الدول وفي صدارتها ملف جزر الإمارات الثلاث والطموحات النووية الإيرانية.

لذا جاء الترحيب من قبل قادة دول مجلس التعاون بالمبادرة الإيرانية عبر بيان رئاسي منفصل عن البيان الختامي للقمة, متبوعاً بتأكيد أولئك القادة علي عزمهم بلورة آلية تنسيق مشتركة تعني بوضع ضوابط صارمة لأية مشاركة محتملة لمسئولين من خارج دول مجلس التعاون خلال القمم الخليج المقبلة وفي منتدي المنامة, استقبلت دول مجلس التعاون الاقتراح الأمريكي بشأن إقامة نظام دفاع صاروخي خليجي ضد إيران بحذر بالغ بعد أن شمت فيه رائحة سباق تسلح استراتيجي محموم, غالباً ما تتكبد هي نصيب الأسد من أعبائه الاقتصادية والأمنية في حين يجني آخرون ثماره الاستراتيجية.

كذلك لم يتردد قادة تلك الدول في انتقاد سياسة واشنطن التمييزية حيال البرامج النووية بالمنطقة, حيث تمعن في التحامل علي إيران, التي اتهمها وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس بزعزعة استقرار المنطقة وتهديد أمن ومصالح الولايات المتحدة ودول الخليج, في الوقت الذي تغض بلاده الطرف عن إسرائيل مبررة ازدواجها ذلك بادعاءات واهية مفادها أن تل أبيب لا تريد تدمير جيرانها أو تهديد استقرار دول المنطقة كما لا تدعم الإرهاب وربما يشي ذلك المنطق من قبل قادة دول مجلس التعاون الخليجي في التعامل مع الاستراتيجيات الأمريكية والإيرانية حيالها, بعزوف واضح من قبل تلك الدول عن التورط في أي صراعات اقليمية, غالباً ما لا تكون طرفاً مباشراً فيها لكنها كثيراً ما تضطر لتحمل القسط الأكبر من تكلفتها غير أن تصاعد وتيرة الصراع الراهن بين واشنطن وطهران من شأنه أن يحاصر ذلك المطمح الخليجي من جهتين: أولاهما, أن أي رفض صريح من جانب دول مجلس التعاون للأفكار الإيرانية أو الأمريكية حيالهم ربما يؤثر سلباً علي العلاقات بين دول المجلس وكل من طهران وواشنطن وثانيتهما, أن إصغاء دول المجلس للمبادرة الإيرانية قد يصورها أمام الولايات المتحدة والغرب كمن يؤازر نظام طهران في تحديه إياهم, في حين يزج بها تجاوبها مع الفكر الأمريكي إلي غياهب (١)سباق تسلح استراتيجي يستنزف مواردها دون أن يفلح بالضرورة فى تلبية احتياجاتها الأمنية كما أن رغبة العراق في بناء علاقة استراتيجية مع إيران على أساس الصداقة والاحترام المتبادل، فالجانب الأمريكي شريك استراتيجي للعراق، والعراق ليس ساحة لتصفية الحسابات،ولن يكون منطلقاً للهجوم على إيران، والعراقيون يريدون بناء دولة ديمقراطية لا دولة طائفية هذه البنود حملها رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي خلال زيارته إلى إيران التي كانت نقطة ارتكاز جديدة في العلاقات بين البلدين الجارين وكذلك وضوحاً في الرؤية التي يجب أن تكون مشتركة لإرساء الأمن والسلام في المنطقة لكن كل ذلك يصطدم بالصراع الأمريكي الإيراني الحاد على الأراضي العراقية واتفاقية الأمن المفترضة ستكون لب الصراع القادم

انتهز رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي فرصة زيارته لطهران لتهدئة مخاوف الإيرانيين من أن تؤدي المفاوضات بين بغداد وواشنطن بشأن اتفاقية عسكرية جديدة إلى وجود قواعد أمريكية دائمة عبر حدودها وقال المالكي في خطاب أدلى به في السفارة العراقية في طهران إنه لا يوجد في عراق اليوم ما يمكن أن يهدد استقرار الدول المجاورة بحسب رويترز وفي العراق حيث يضمر الكثير من العراقيين شكوكاً مماثلة تجاه النوايا الأمريكية رفض ريان كروكر سفير الولايات المتحدة التقارير ووصفها بأنها غير حقيقية بالمرة وتعارض إيران التي أثار برنامجها النووي توترات مع الولايات المتحدة وجود القوات الأمريكية في العراق وتلقي باللوم على هذه القوات في موجة العنف التي أعقبت الغزو الذي قادته واشنطن عام ٢٠٠٣ونسبت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية إلى برويز داودي النائب الأول لرئيس الجمهورية قوله إيران ستظل دائماً بجانب حكومة العراق الشعبية ولطالما كانت المساعدة في إرساء الأمن بالعراق من سياسات إيران الأساسية واتهم بعض المسئولين العراقيين والولايات المتحدة إيران بالسعي لزعزعة استقرار العراق بتمويل الميليشيات العراقية وتدريبها ومدها بالسلاح وهو اتهام دأبت إيران على نفيه .

وقال المتحدث باسم الحكومة العراقية إن قضية التدخل الإيراني في الشئون الداخلية للعراق ستثار خلال المحادثات وعين المالكي لجنة للتحقيق في مزاعم تدخل إيران في شئون العراق وإعداد ملف يحتوي على أدلة ولم يتضح إن كانت القضية نوقشت خلال اجتماع المالكي مع المسئولين الإيرانيين أم لا .

ونقلت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية عن الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد قوله خلال محادثات مع المالكي إن جيران العراق عليهم مسئولية أكبر في مساعدة البلاد على تحقيق السلام والأمن.

وذكر بيان صدر عن مكتب المالكي بعد محادثاته مع داودي أن الرجلين ناقشا إجراءات لتحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية إلى جانب خطوات لدعم قطاعي الكهرباء والخدمات في العراق ونسب البيان إلى المالكي قوله العراق يتطلع لمساهمة الشركات الإيرانية إلى جانب شركات دول الجوار والعالم في تطوير البنى التحتية وقال المالكي لنجاد، وفق بيان صادر عن مكتبه عراق اليوم لا يمثل أي تهديد كما كان الحال إبان النظام السابق العراق اليوم دولة دستورية تستند إلى حكم القانون،وتسعى لترسيخ علاقاتها الإقليمية على أسس التعاون والاحترام المتبادل ونقل في وقت سابق عن المالكي قوله إن: بغداد لن تسمح باستخدام أراضيها كقاعدة للإضرار بأمن دول الجوار، ومن بينهم إيران وتتصدر اتفاقية الأمن الدائمة بين العراق والولايات المتحدة جدول اجتماعات المالكي في زيارته الثالثة لإيران، التي تعارض بشكل قاطع هذا الاتفاق وأشعل الاتفاق الأمني المقترح، موجة احتجاجات شعبية في العراق،حيث يتخوف العديد أن تؤدي لإقامة قواعد عسكرية أمريكية دائمة، وتواجد عسكري أمريكي طويل الأمد وكان الزعيم الشيعي مقتدى الصدر قد دعا إلى تنظيم احتجاجات شعبية وقال علي الهادي، مستشار المالكي، إن مفاوضات الاتفاق الأمني مازالت في مراحلها الأولية، وأردف الاتفاقية عراقية-أمريكية محضة، وليس للإيرانيين دخل في هذا الشأن، ولن نناقش مدى التقدم المحرز أو عناصر الاتفاق أو الخلاف المحورية معهم فهذا شأن عراقي ودعا النائب السني، عدنان الباجه جي خلال حديث لـ CNN المالكي لمطالبة إيران بوقف دعم الفصائل المسلحة في العراق .

وقال آمل أن يوضح المالكي جلياً أن كافة الأطياف العراقية، تعارض وبشدة محاولات إيران التدخل في شئون العراق وقال وزير الخارجية السابق إن رئيس الوزراء العراقي السابق، إبراهيم الجعفري، سمح بسيطرة المليشيات الطائفية والعرقية على قوات الأمن العراقي، وطالب ببقاء القوات الأمريكية وحتى تطهير تلك القوات .

وتناولت صحف أمريكية، زيارة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي لطهران، محاولة التركيز على أن هدف الزيارة يتمحور على محاولة تهدئة المخاوف الإيرانية من غاية إقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق، إلا أن تلك المحاولة ربما لن تنجح في تغيير الموقف الإيراني إزاء الاتفاقية الأمنية العراقية الأميركية ونشرت صحيفة لوس أنجلس تايمز تقريراً حمل عنوان العراق يتعهد بإقامة علاقات متينة مع إيران اعتبرت فيه أن المالكي التقى بالرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد ساعياً لتهدئة القلق الإيراني من الاتفاقية الأمنية طويلة الأمد المقترحة بين العراق والولايات المتحدة وقالت الصحيفة إن المالكي التقى بأحمدي نجاد وتعهد بإقامة علاقات متينة بين الجارين في وقت تتفاوض فيه بغداد لإبرام اتفاقية أمنية طويلة الأمد مع الولايات المتحدة.

أما صحيفة واشنطن بوست فضمت صفحاتها تقريراً يكاد يضم مفردات عنوان تقرير لوس أنجلس تايمز السابق، إلاHانه هذه المرة يركز على ما تريده إيران، بعد لقاء المالكي ـ احمدي نجاد أمس في طهران ومع واشنطن بوست نقرأ إيران تحث على إقامة علاقات دفاع متينة مع العراق،مع التركيز أيضاً على تزايد قلق إيران من المعاهدة الأمنية المقترحة بين بغداد والولايات المتحدة وقالت الصحيفة إن مسئولين إيرانيين كانوا يدافعون في لقاءاتهم مع المالكي ومساعديه عن ضرورة إقامة علاقة دفاع متينة مع العراق ونقلت الصحيفة عن وزير الدفاع الإيراني،قوله إن هناك إمكانيات كثيرة لإقامة تعاون امني ودفاعي بين العراق وإيران، مشدداً على ما اسماه الخزين الاستراتيجي الضخم لدى البلدين الغنيين بالنفط وقال في اجتماع مع نظيره العراقي، عبد القادر محمد جاسم، نحن نعتقد أن التعاون الدفاعي الإيراني ـ العراقي، الذي يمكن أن يتواصل، سيلعب دوراً ايجابياً في إرساء سلام طويل الأمد وأمن واستقرار في منطقة الشرق الأوسط وبحسب الصحيفة، فإن العراق يطمح إلى بناء تعاون عسكري قوي مع طهران، داعياً بغداد إلى التفتح على جهد الدفاع لدى الجوار.

وأشارت الصحيفة إلى أن تطمينات المالكي للإيرانيين عن أن العراق لن يكون منطلقاً لأعمال عدوانية ضد الجيران لا يُتوقع أنها ستغير من موقف إيران حيال اتفاقية الأمن، بحسب ما ذكر محللون إيرانيون ونقلت الصحيفة عن أحمد زيد آبادي، وهو صحفي في جريدة شهرفند ايمروز (المواطن اليوم) الصادرة في طهران، قوله إن إيران تحاول تقويض الاتفاقية الأمريكية- العراقية، وقال إن السلطات الإيرانية لا تريد التوصل إلى إبرام هذه المعاهدة وتريد إفشالها كي تمنع تحول العراق إلى قلعة لضرب القوات الإيرانية وقال المحلل الإيراني رحمن جاهر مانبور، من مركز الدراسات الإستراتيجية في طهران إن المسئولين الإيرانيين يشعرون بالقلق مما ستتضمنه هذه المعاهدة،مضيفاً لدينا مخاوف حقيقية حول مستقبل العراق، فهذه المعاهدة ربما تضر العلاقة العراقية - الإيرانية وقال زيد آبادي أن الأهداف الإيرانية في العراق تنقسم إلى شطرين فعلي المستوى الرسمي، تريد الحكومة تعايشاً سلمياً بل حتى شراكة مع العراق، لكن بعض الجماعات السياسية الإيرانية تنظر إلى العراق كحليف ينبغي، بسبب غالبيته الشيعية، أن يكون في صف إيران ليتغير بذلك توازن القوى في المنطقة لصالح إيران ضد الولايات المتحدة .

وقال المالكي، إن الفصل السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق يكبل أيدي القيادة العراقية، واصفاً العراق أنه كان عنصر استفزاز وقلق بسبب سياسات النظام السابق، لكنه أصبح الآن دولة دستورية لا تعتدي على دول الجوار .

وقال المالكي خلال اللقاء الذي نظمته السفارة العراقية في طهران، إن الفصل السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق، والذي فرض على العراق بسبب سياسات النظام السابق، يكبل أيدينا .

والبند السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق، والذي صدر في أعقاب غزو الكويت في عام ١٩٩٠، يجيز استخدام القوة ضد العراق لأنه يمثل مصدر تهديد والعراق كان عنصر استفزاز وقلق لدول الجوار، وكان سلطة بلا قانون، لكنه الآن، دولة دستورية لا تنتهج سياسة عدوانية، ولا تثير القلق تجاه الدول المجاورة وخاض مفاوضات صعبة مع الجانب الإيراني وقالت مصادر مطلعة لـ الحياة إن وزير الخارجية منوشهر متقي أبلغه معارضة طهران توقيع معاهدة أمنية بين بغداد وواشنطن، إذا لم تحصل على ضمانات تتيح لها المشاركة في نظام أمني اقليمي وأنه شدد على أن نتائج محادثات المالكي في طهران التى ستشكل نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، على رغم طمأنة المالكي مضيفيه إلا أنه لن يسمح بتحويل العراق إلى قاعدة للهجوم على أي دولة وقالت هذه المصادر إن المالكي أبدى الكثير من التصلب في مواجهة المطالب الإيرانية، وقدم إلى المسئولين الذين التقى بهم أدلة على تدخلهم في الشئون العراقية وأشارت إلى توقيت الزيارة، معتبرة أنها تحمل دلالات خاصة، في وقت تخوض الحكومة العراقية مفاوضات لإبرام معاهدة أمنية مع واشنطن، بعد إدخال تعديلات على النص المتداول، تأخذ مخاوف الدول المجاورة في الاعتبار وكان المالكي قد التقى بنجاد بعدما أجرى محادثات مع متقي، وناقش معه نقاطاً صيغت على شكل مسودة اتفاق، وأبرز هذه النقاط :

١-رغبة العراق في بناء علاقة استراتيجية مع إيران على أساس الصداقة والاحترام المتبادل .

٢-الجانب الأمريكي شريك استراتيجي للعراق وإيران صديق حميم .

٣- العراق ليس ساحة لتصفية الحسابات بين واشنطن وإيران .

٤- العراق لن يكون منطلقاً للهجوم على إيران

ان بغداد تسعى إلى توسيع نطاق اتفاقات أمنية وسياسية سابقة بين البلدين أو إبرام اتفاق جديد لطمأنة إيران أن أي معاهدة مع الولايات المتحدة لن تكون موجهة ضدها لكن سامي العسكري، النائب المقرب من المالكي نفى نيّة المالكي توقيع اتفاق استراتيجي مع طهران، خلال هذه الزيارة، وقال إنه طرح على الجانب الإيراني ما يتداوله العراقيون حول التدخل الإيراني في الشأن العراقي من خلال دعم الميليشيات وأنه سيبحث مجمل العلاقة مع طهران وأوجه التعاون في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب والعلاقات الاقتصادية، نافياً إمكان توقيع اتفاق أمني معها، والتعاون موجود لكن الظروف الحالية لا تسمح بإبرام مثل هذا الاتفاق .

ونقلت المصادر عن متقي قوله إن نتائج زيارة رئيس الوزراء العراقي ستكون نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، وأن المالكي شرح الظروف الحساسة للعراق، وقال إن المشاورات بين بغداد وطهران مؤشر على عمق الأواصر بينهما، وأضاف أن الجماعات والتنظيمات الشيعية والسنّية والكردية يهمها ترسيخ هذه العلاقات وحذر ضمناً من أن استقرار أوضاع الأمن في العراق أو عدم تحسنها يمكن أن يؤثر في دول المنطقة وأن الأمن من أهداف البلدين .

ونقلت الإذاعة الإيرانية عن الزعيم الإيراني الأعلى آية الله علي خامنئي قوله لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي أن المشكلة الرئيسية التي تواجه العراق تتمثل في وجود القوات الأمريكية وغيرها من القوات الأجنبية حسب ما أعلنته وكالة رويترز ونسب إلى خامنئي قوله خلال اجتماعه مع المالكي في طهران أن وجود المحتلين بالعراق خاصة القوات المسلحة الأمريكية هو العقبة الرئيسية أمام الوحدة في العراق .(١)

**محاولات إيرانية مع لبنان وسوريا ومصر واليمن:**

يرى الساسة الإيرانيون أنه بعد السيطرة على لبنان يكون الشيعة في منطقة الخليج تحت رهن الإشارة ، ولكن ما هي الإشارة ؟قال بوش في كلمة له إذا خرجت أمريكا من العراق فهذا سوف يجعل دول الخليج في خطر، فهذه إشارة فهمها الجميع، ولكن ما هي الإشارة الثانية ؟

الإشارة الثانية تلويح أمريكا بجدية بضرب إيران وبذا تكون الإشارة الثانية قد أعطيت للرافضة لبدء الفوضى في مناطق دول الخليج وعدم الاستقرار لماذا ؟ لاعتماد أمريكا على دول الخليج اعتماداً لا يمكن الاستغناء عنه ومعنى ذلك ،أن عدم الاستقرار في هذه المناطق يحرم حلفاء الحرب من الأمن في منطقتهم والانشغال بأنفسهم، قبل أن ينشغلوا بغيرهم وهذه الحرب تختلف اختلافاً جذرياً عن سابقتها من الحروب ,وسوف يكون الاعتماد على حلف الناتو في هذه الحرب أكثر من الاعتماد على أمريكا لأسباب اقتصادية وسيادية مستقبلية وسياسية ومعنى الكلام أن هذه الحرب حرب قوى وليست حربا عادية.

وحسب تقارير أمريكية نشرتها الشرق الأوسط في عدد ٣- يونيو-٢٠١١م فان إيران تقوم بإرسال أعداد متزايدة من المستشارين وأعضاء في فيلق القدس إلى سوريا للمساعدة على قمع الثورة السورية المتصاعدة، وقد أشارت هذه التقارير، التي تدعمها معلومات استخبارية لبعض دول الاتحاد الأوروبي، إلى دور عسكري إيراني متنامٍ في الإجراءات القمعية الوحشية التي يتبعها النظام السوري، أو بعض أطرافه، ضد شعبه وعندما تتلاقى هذه المعلومات مع معلومات أخرى تكررت أكثر من مرة عن أن حزب الله اللبناني قد دخل معركة كسر شوكة انتفاضة الشعب السوري منذ الأيام الأولى، وأن مجموعات الملثمين باللباس الأسود الذين ارتكبوا مجازر وحشية

والحقيقة أنه لا غرابة في أن تدخل إيران هذه المعركة على هذا النحو المكشوف فهي تعتبر النظام السوري نظامها، وكانت قد نسجت علاقات مع نظام الرئيس حافظ الأسد ترتقي إلى المعاهدات العسكرية والاقتصادية، كما لا يهم إيران أن تعود الطائفة العلوية إلى أحضان المذهب الجعفري الاثني عشري لولا اقتناعها بأن حكم سوريا هو حكم هذه الطائفة، وبالتالي فإن دعمها تعزيز للدور الإيراني في هذا البلد العربي الهام جدا وتجدر الإشارة إلى أن طهران بقيت تحاول،من خلال سياسة الترغيب والترهيب التي لا تزال تمارسها على قيادة كردستان العراق،والمقصود هنا هو الزعيم مسعود بارزاني، لمنحها ممراً برياً عبر المناطق الكردية في شمال العراق ليكون هناك ربط أرضي مباشر بين الأراضي الإيرانية والأراضي السورية، وبالطبع فإن الرئيس السوري السابق حافظ الأسد الذي كان يعتبر تطويق العراق وإضعافه مسألة استراتيجية وأساسية، كان مع هذا الربط، ومع أن يتعزز التحالف الإيراني - السوري ليصبح بإمكانه تحويل منطقة بلاد الشام، ومعها العراق، منطقة مجال نفوذ حيوي له لاستعادة الكثير من الاعتبارات التاريخية.

إن المشكلة في حقيقة الأمر ليست مشكلة الطائفة العلوية، التي مثلها مثل كل مكونات الشعب السوري فيها اتجاهات متعددة وليست على قلب رجل واحد، بل المشكلة أن حافظ الأسد، الذي جاء إلى الحكم بانقلاب عسكري عام ١٩٧٠،قد حكم سوريا باسم هذه الطائفة، والآن فإن ابنه ومعه هذه المجموعة يحكمون باسم هذه الطائفة،وهذا كله قد جعل منه مدخلاً لإيران،التي تحكم باسم المذهب الجعفري الإيراني، نحو سوريا، وجعل من سوريا من وجهة نظر دولة الولي الفقيه نقطة الارتكاز الضرورية لتحقيق مشروع مجالها الحيوي فيما يسمى بهيئة الهلال الشيعي، الذي أحد طرفيه في اليمن وطرفه الآخر في القرداحة، التي هي عنوان نفوذ حافظ الأسد ومن جاء بعده

كان محمد حسن أختري سفيراً لإيران في دمشق بداية مطلع عقد ثمانينات القرن الماضي ولعدة أعوام، وكان في حقيقة الأمر واسع النفوذ وسفيراً فوق العادة، مهمته التي كان قد كلف بها من قبل الخميني أن يعزز النفوذ الإيراني في سوريا على أسس طائفية، وأن يقيم لهذا النفوذ جسراً في لبنان من خلال تحويله إلى قوة عسكرية لا تقهر ومسيطرة على هذا البلد كله، وجسراً في غزة من خلال حركة حماس التي تصرف رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل تجاه إيران كتصرف حسن نصر الله وحقيقة أن أختري قد حقق نجاح هائل، وتمكن من إيجاد حركة تشيع في بعض المناطق السورية الشرقية والشمالية من خلال مؤسسة الإمام الرضا ومن غير الممكن فك علاقات سوريا بإيران التي هي أكثر من استراتيجية ما دام من يحكم في دمشق باسم الطائفة العلوية، فهذا بالنسبة للتطلعات القومية الإيرانية مدخل استعادة واقع الإمبراطورية الفارسية القديمة، وهذا بالنسبة لمن يحكمون باسم هذه الطائفة العلوية هو الضمان المؤكد لعدم العودة إلى الماضي المزري والمريض، لذلك فإنه شيء طبيعي أن يعتبر مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي أن المعركة المحتدمة في سوريا الآن هي معركة إيران ، وهي معركة تحقيق حلم استعادة أمجاد فارس القديمة، ومعركة حياة أو موت، إن لم تخضها إيران وتنتصر فيها فإنها ستخسر لبنان،وغزة،والعراق والشاطئ الغربي للخليج الفارسي كله واليمن فوق هذا وذاك وفي ١٥ يوليو ٢٠١١ كشفت صحيفة فرنسية اقتصادية أن المرشد الأعلى بإيران آية الله علي خامنئي وافق على أن تقدم بلاده دعماً مالياً بقيمة ٥,٨ مليارات دولار لحليفتها الإستراتيجية سوريا، بقصد تنشيط اقتصادها المتضرر جراء الخسائر الفادحة التي تكبدها طيلة أربعة أشهر من الاحتجاجات المناهضة للنظام ويتضمن الدعم المالي لسوريا تقديم ١,٢ مليار دولار بشكل عاجل على مدى ثلاثة أشهر، وتعتزم إيران ضمن خطتها لدعم دمشق منحها ٢٩٠ ألف برميل نفط يومياً بالمجان خلال الأشهر التسعة القادمة.

كما ستمد إيران يد العون لسوريا لمنع هروب رؤوس الأموال من البلاد، حيث تغادر الكثير من السيارات الأراضي السورية باتجاه لبنان وهي محملة بحقائب ممتلئة بالأموال، وستبعث طهران علي مملوك إلى سوريا، وهو مسئول بارز في الحرس الثوري يرأس جهاز المخابرات العامة، وسيقدم المشورة فيما يخص مراقبة الحدود السورية.

كما تسعي إيران الضلع الأساسي في الهرم الثلاثي مع حزب الله وسوريا إلي أن تجد لها دوراً في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير واستخدامها في توصيل رسائل للغرب وبعض الدول العربية مثل السعودية أن لها دوراً علي الساحة المصرية وأنها مترامية الأطراف بزرع عناصر موالية لها من الداخل والخارج بالاعتماد علي الذراع اليمني لها وهو حزب الله وبعض العناصر الشيعية في مصر الذين يبحثون عن أدوار ويؤكد ذلك ظهور مجموعة علي الفيس بوك باسم الحرس الثوري المصري وتضم صورة للمرشد آية الله الخامنئي تزامن ذلك مع وجود مندوب من حزب الله بالقاهرة يعقد لقاءات سرية مع بعض عناصر الشيعة المصرية لتجنيدهم لممارسة دور علي الساحة لصالح إيران في الوقت الذي تمكن هذا المندوب من التحرك في شوارع مصر إلا أن السلطات المصرية قامت برفض دخول مجموعة من الشيعة العراقية للقاهرة لأسباب أمنية وقد قدر تقرير الحالة الدينية للخارجية الأمريكية عدد الشيعة فى مصر بـ٧٥٠ ألف شخص، ينتشرون من خلال الجماعات الصوفية القريبة منهم ونقابة الأشراف، لكنهم غير منظمين وليس لهم هيكل إداري أو تنظيمي ويحاولون أن يمارسوا دورا من خلال الحصول علي دعم إيران الحريصة علي علاقاتها بمصر لأنها دولة مهمة في الخريطة العربية والعالمية ويبحثون عن قدم فيها من خلال الشيعة وحزب الله اللبناني وهناك مندوب لحزب الله سوري الجنسية جاء إلي مصر عام ٢٠٠٦ في عصر مبارك وزادت زياراته بعد الثورة كما أن هناك مجموعة من الشيعة العراقيين جاءوا إلي مصر ولكن السلطات المصرية لم توافق علي دخولهم مطار القاهرة وتمت إعادتهم إلي العراق لأسباب أمنية.

ولقد أعلن جون كيري وزير الخارجية الأمريكية أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي أن دعم إيران كان مهماً لميلشيا الحوثيين وأنه ساهم في سيطرتهم على ذلك البلد وانهيار حكومته حيث يجد صناع السياسة الأمريكية في المنطقة أنفسهم في مأزق جديد بعد تصاعد حركة الاحتجاجات الشعبية العربية فالولايات المتحدة التي سعت مع دول الخليج العربية والأمم المتحدة لتهدئة الأمور في اليمن بالدعوة إلى إجراء حوار بين الأحزاب والحركات السياسية والقبائل المتنافسة في اليمن وتشكيل حكومة مؤقتة بقيادة الرئيس هادي عبدربه منصور تمهيداً لوضع دستور جديد وإجراء انتخابات حرة لاختيار الرئيس والبرلمان تجد نفسها اليوم ليست فقط في منافسة مع الدول العظمى مثل روسيا والصين الساعية للنفوذ في المنطقة، بل أيضاً في مواجهة قوى إقليمية جديدة مثل إيران وحزب الله اللبناني، مما يعرقل جهودها لإعادة التسوية في اليمن وسوريا والعراق وتكمن قوة إيران الحقيقية في المنطقة في فرض الطابع الطائفي للمواجهات المسلحة فقد تحالفت مع الأحزاب وحركات الشيعة في العراق، وحزب الله في لبنان، والنظام العلوي في سوريا، والآن تدعم بقوة حلفائها الحوثيين في اليمن.

**دور إيران فى العراق:**

كشفت دراسة أصدرتها مؤسسة جيمس تاون فاونديشن الأمريكية عن دور الحرس الثوري الإيراني في تأجيج المواجهات الطائفية بالعراق وخصصت المؤسسة ذات الصلات الوثيقة بوزارة الدفاع الأمريكية الصفحات الأولى من دراستها للتحركات الإيرانية في العراق قبيل الحرب في سياق الاستعداد لاستغلال نتائجها عبر المنظمات العراقية المعارضة التي لجأت إلى إيران وقالت الدراسة التي جاءت تحت عنوان مساهمة إيران في الحرب الأهلية في العراق

إن فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة عبد العزيز الحكيم، على نحو خاص نظم عدداً من الاجتماعات مع الزعيمين الكرديين جلال طالباني ومسعود البرزاني، كما عقد لقاءات مع عدد من قادة الجماعات المعارضة في الجنوب بحضور مسئولين في الحرس الثوري الإيراني شارك فيها نائب قائد الفيلق أبو مهدي المهندس وقائد قواته أبو حسن العماري ومسئول عملياته الاستخبارية أبو لقاء الصافي ومسئول عملياته أبو أيوب البصري وذلك في نوفمبر ٢٠٠١.

وبناءاً على وثائق ضبطت في العراق فإن تعليمات قادة فيلق بدر التي نقلوها إلى من التقوا بهم تضمنت الاستعداد لحدوث غزو أمريكي وتقديم الدعم الضروري والفعال للقوات الأمريكية عند وصولها إلى الأراضي العراقية والقيام بعمليات استطلاع وهجمات محدودة المدى بهدف شغل القوات العراقية في الجنوب فضلاً عن ذلك فقد طلب الحرس الثوري الإيراني من فيلق بدر تشكيل كتيبتين سُميت الأولى مجاهدي الحسين ترسل إلى مدينة العمارة وسُميت الثانية أنصار الحسين ترسل إلى الناصرية لجمع معلومات عن انتشار الوحدات العسكرية العراقية قبل شن الحرب ولتحديد مواقع المنشآت الحكومية ومراكز قوات الدفاع الجوي وأشرف على ذلك جنرال من الحرس الثوري الإيراني يدعى الجنرال محمد وكان الجنرال محمد قد اتخذ من مكتب في السليمانية مركزاً لاتصاله بشبكة أفراد فيلق بدر وقد طلب من أفراد فيلق بدر السيطرة على الطريق الواصل بين الديوانية والقاسم التي تقع في محافظة بابل فور دخول القوات الأمريكية.

وفي ١١ مارس ٢٠٠٤ - أي بعد الغزو - قامت المخابرات الإيرانية بافتتاح مكتب في النجف أطلقت عليه اسم مكتب مساعدة الفقراء وقامت المخابرات الإيرانية بتوزيع ألفي دولار فوراً وألف دولار كل شهر على من يقبلون بالانضمام إلى ميليشيات معينة وتمكنت المخابرات الإيرانية من تجنيد ٧٠ ألف شخص انضم عدد منهم إلى الميليشيات

فيما بقي عدد آخر للقيام بمهام استطلاع وذكرت الدراسة أن هناك وثيقة تضمنت اعتراف ضابط إيراني منشق بمدى التغلغل الذي قامت به المخابرات الإيرانية داخل العراق في تلك الآونة وقال إن مدى واتساع عمليات قوات القدس التابعة للحرس الثوري في العراق تجاوز ما فعلناه خلال الحرب بيننا وبين صدام، إن هناك مناطق واسعة في العراق تخضع لقوات القدس من الناحية العملية وذلك عبر المتعاونين معها وهذه القوات تستخدم شبكة من المؤسسات الخيرية والشركات والواجهات الأخرى لممارسة أنشطتها في أنحاء العراق ونقوم بإرسال ضباطنا إلى العراق لفترات تمتد إلى شهور تحت غطاء العمل في شركات البناء وقد عملت شركة مثل شركة الكوثر في النجف مثلاً إلا أنها كانت واجهة لقوات القدس في حقيقة الأمر.

كما أن الإيرانيين أرسلوا بعد ذلك نحو ألفي طالب دين إلى النجف وكربلاء للدراسة إلا أن ثلثهم على الأقل كانوا من عملاء المخابرات أو من أفراد قوات القدس ويقوم هؤلاء بدعم الميليشيات وبتنظيم أعداد من العراقيين في خلايا سرية وأشار التقرير إلى وجود اتفاق سري بين إيران وما يسمى حكومة كردستان يقضي بألا تتدخل طهران في الشئون الداخلية لكردستان وألا تدخل قواتها إلى أراضي شمال العراق خلال تعقب العناصر الكردية الإيرانية المعارضة للحكومة الإيرانية وفي المقابل وافقت الحكومة الكردية على ألا تسمح بأي عمليات عسكرية ضد إيران من أراضيها.

وقد قامت المخابرات الإيرانية باغتيال أعداد كبيرة من الأساتذة الجامعيين والعلماء والأطباء العراقيين بالإضافة إلى الضباط ولاسيما الطيارين وذكر أن عدد الطيارين وكبار الضباط السابقين الذين اغتالتهم المخابرات الإيرانية منذ الغزو الأمريكي بلغ ٩٠ ضابطاً وطياراً ولأن ذلك مثل لكثير من العراقيين من الشيعة والسنة والأكراد عدواناً على وطنهم من قوة خارجية.

أي لأن هؤلاء العراقيين لم ينظروا إلى الأمر على أساس مذهبي أو طائفي فقد تعددت أعمال المعارضة لهذا التغلغل، حتى من بين صفوف الشيعة الذين حاولت المخابرات الإيرانية إقناعهم بأنها تفعل ذلك لخدمتهم من ذلك مثلاً ما ذكره تقرير عن اغتيال المخابرات الإيرانية لضابط شيعي يدعى العقيد غازي كان يعمل في إدارة الهجرة والجنسية العراقية عام ٢٠٠٤ لأنه رفض الموافقة على منح الجنسية لإيرانيين ادعوا أنهم عراقيون عائدون من إيران ووجهت الميليشيات تحذيرات إلى العقيد غازي لوقف معارضته منح أوراق هوية عراقية لغير العراقيين ثم انتهى الأمر باغتياله ومن ذلك أيضاً الغضب الذي عبر عنه الرئيس جلال طالباني عند علمه باستهداف الطيارين والعلماء العراقيين والعرض الذي قدمه لهم بالتوجه إلى شمال العراق حيث سيتولى حمايتهم إذا تعقبتهم المخابرات الإيرانية.

وأشار التقرير إلى شراء عناصر من المخابرات الإيرانية لمساحات واسعة من الأرض ولاسيما في جنوب العراق فضلاً عن ٥ آلاف شقة ومنزل ومحل تجاري في بغداد والبصرة والنجف وكربلاء وهذه الأماكن تستخدم كمواقع للإيرانيين العاملين في العراق من أفراد المخابرات والحرس الثوري والميليشيات التي تعمل معهم .

وكان حجم الدعم الذي قدمته إيران لقوى سياسية عراقية معينة خلال الانتخابات التي جرت عام ٢٠٠٥ بما في ذلك طبع الملصقات والمنشورات بل وإرسال صناديق معبأة جاهزة لتوضع محل الصناديق المعروضة في مراكز الاقتراع مع البدء في فرز الأصوات وقال التقرير إن إيران تأمل في السيطرة الكاملة على جنوب العراق وفصله من الوجهة العملية عن بقية أنحاء العراق وأن الميليشيات التي تدعمها إيران اخترقت أجهزة الأمن العراقية بكل مستوياتها ووسعت مجال عملياتها في كل أنحاء العراق وهذه الميليشيات مسئولة عن مصرع أعداد من المدنيين تفوق أعداد من لقوا مصرعهم على أيدي المتمردين والمقاتلين الأجانب الذين تعتبرهم الولايات المتحدة خصمها الأول.

وأوضح التقرير أن هذه الميليشيات تسيطر تقريباً على القوات التابعة لوزارة الداخلية العراقية ومن المؤسف أن بعض هذه القوات إن لم تكن أغلبية الميليشيات الشيعية (١)كانت يوماً جزءاً من قوات الأمن العراقية الجديدة التي دربتها قوات التحالف وأنفقت على تدريبها مليارات الدولارات على أساس أن هذه القوات ستخدم العراقيين وتنقذ العراق بدلاً من أن تتبع الأجندة السياسية الإيرانية.

# الباب الرابع
# الأزمة النووية والعقوبات

**لمحة تاريخية عن البرنامج النووي الإيراني:**

بالعودة لتاريخ السلاح النووي الإيراني نجد الولايات المتحدة أول من تقدم لمساعدة إيران لدخول نادي الدول النووية، عندما اشترى الشاه رضا بهلوي أول مفاعل نووي أمريكي لمركز أمير باد للأبحاث النووية وواصل خططه وأعلن عن تأسيس الهيئة الإيرانية للطاقة الذرية عام ١٩٧٤ودخل في مفاوضات لشراء المزيد من المفاعلات النووية ووقع اتفاقية مع أمريكا لتزويد بلاده بالوقود النووي عام ١٩٧٤ أيضاً وبهذا يكون للولايات المتحدة دور بارز في دخول إيران في المجال النووي، لكنها الآن تقف ضدها في محاولة لاستغلال الموقف للوصول إلى غاياتها وتنفيذ مخططاتها في المنطقة ومنذ أن أعلن الرئيس جورج بوش بكل دقة أن الولايات المتحدة لن تتساهل مع قيام إيران باقتناء السلاح النووي في خطابه عام ٢٠٠٢ كان الإعلان بمثابة التحذير الأخطر والأكثر تحديداً الذي تتلقاه طهران، ثم اتهمت الوكالة الدولية للطاقة الذرية السلطات الإيرانية علناً بإخفاء جزء من البرنامج النووي الإيراني، كما انضمت دول الاتحاد الأوروبي إلى الولايات المتحدة في مطالبة إيران بالموافقة الفورية دون شروط على ملحق معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية التي تتيح عمليات تفتيش مفاجئة ومن أجل تقدير القدرات النووية لإيران علينا الانطلاق من الأوضاع التي نحن فيها، ففي عهد الشاه قررت إيران إطلاق برنامج أبحاث يؤدي إلى إنتاج سلاح نووي، وكانت إيران خلال المرحلة الأخيرة الأكثر قسوة من مراحل الحرب الباردة، بمثابة الشريك للولايات المتحدة عند الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي، فلا غرابة أن السلطات الأمريكية لم تكن تعارض هذا البرنامج، بل ساعدت في إطلاقه وانتهى البرنامج مع الثورة الإيرانية، ثم أعيد النظر فيه عام ١٩٨٢ عندما تعرضت إيران للهجوم العراقي وهي تعاني من الحصار في الوقت الذي كان خصمها يحصل على الأسلحة،لكن إحياء البرنامج النووي كان ينبع من تحليل استراتيجي واسع النطاق.

حيث كانت إيران في مواجهة أسلحة نووية موجودة أو قيد الإعداد لدى جميع جيرانها، الاتحاد السوفييتي وباكستان، إضافة للعراق وإسرائيل، فاعتبر القادة الإيرانيون أنه من المستحيل عليهم أن يبقوا مكتوفي الأيدي ومهما يكن فإن الرئيس خاتمي والتيار الإصلاحي عمدوا فور وصولهم إلى السلطة عام ١٩٩٧وتحت تأثير حصار النفط الذي فرضته الولايات المتحدة ولم تخرقه سوى شركة توتال الفرنسية، إلى تعديل مجمل البرامج النووية لأسباب اقتصادية والمسئولون في طهران اعتقدوا إمكان تزويد إيران بالأسلحة النووية، بالرغم من أنهم يؤكدون أنهم لم يبنوا بعد هذه الأسلحة، وترتكز الاتهامات الأمريكية في هذا الخصوص على مجموعة واسعة من المعلومات والفروض التي جمعتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تقريرها الصادر في السادس من شهر يونيو ٢٠٠٣، بالرغم من أن الوكالة ومع انتقادها السلطات الإيرانية لأنها تسترت على جزء من نشاطها، لم تشأ الإعلان تحت ضغوط أمريكية أن إيران خرقت معاهدة عدم الانتشار النووي، لكن تفاصيل إضافية من مصادر متعددة تؤكد توجه إيران نحو وضع برنامج لإنتاج الأسلحة النووية للاستخدام العسكري.

لكن ماذا يعني على صعيد العلاقات الدولية بروز القوة النووية العسكرية الإيرانية، إن إيران ليست محاطة فقط بالدول النووية، بل إن المسئولين في طهران يعتبرون أن احتلال العراق يهدف إلى تطويق إيران من الولايات المتحدة التي تملك اليوم تجهيزات عسكرية في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق في آسيا الوسطى وفي أفغانستان والخليج والعراق والقوقاز، ويسترجع هؤلاء تجربة الحرب العراقية الإيرانية التي استخدم فيها الجيش العراقي أسلحة كيماوية لإرغام القيادة الإيرانية على اللجوء لأعداد كبيرة من جنود المشاة من أجل المقاومة أو لإطلاق هجمات مضادة عالية التكلفة على صعيد الخسائر البشرية، ومازالت الذكرى ماثلة بقوة في أذهان هؤلاء المسئولين الذين يحاولون بأي ثمن تفادي تكرار مماثل.

ذلك أن خطر النزاع المسلح لم يزل بعد فاحتلال العراق والأزمات التي يمكن أن تنتج عنه قد تؤثر مباشرة على إيران، إضافة إلى اقتناع طهران بأن إسرائيل لن تتردد أبداً في حال سمحت لها الظروف بالإقدام على تدمير المنشآت النووية الإيرانية مثل الموقف الإيراني من الصراع العربي الإسرائيلي ورفضها لمفاوضات السلام، والعامل الأيديولوجي الثوري الإيراني ونظرة إيران لواشنطن على أنها قوة الاستكبار، إضافة إلى ما يشاع عن دعم طهران للمنظمات الفلسطينية مثل حماس، والجهاد وحزب الله في لبنان، وادعاء واشنطن بإخفاء طهران عناصر من تنظيم القاعدة والرغبة الأمريكية في السيطرة على مقدرات المنطقة، بما فيها النفط الإيراني سوف لن تسدل فصولها إلا بتوصل الطرفين لحل ما، خاصة بعد تهديد إيران في الفترة القريبة الماضية باستخدام سلاح النفط إذا ما تم تضيق الخناق عليها أكثر من المحتمل إلا أن بعض الباحثين يروا أنه لا توجد وسيلة لحسم هذا الجدال بصورة نهائية، إذ أن إيران كدولة محورية في هذا الإقليم الملتهب تمتلك من الإمكانيات ما يجعلها قادرة على التحول للقوة الإقليمية الأولى في المنطقة وقادرة على فرض أجندتها على طاولة المفاوضات ولاستباق هذا التحول صرح رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي مؤخراً أن إيران تشكل تهديداً مباشراً لإسرائيل من خلال سعيها للحصول على الأسلحة النووية، كما أكد قائد القوات الإسرائيلية أن هناك تحركاً دبلوماسياً دولياً للتعامل مع هذا التهديد، فإذا نجح كان أمراً جيداً،وإذا فشل فان إسرائيل ستضطر إلى اللجوء لخيارات أخرى، وهذه الخيارات لا تعدو أن تكون ضرب المفاعلات النووية الإيرانية ورغم ما تبديه أمريكا وإسرائيل من العمل على تغير النظام الإيراني إلا أنه بحكم العقيدة البراجماتية التي تحكم عمل النظام تبدي أمريكا بعض المرونة فيما يخص التعامل مع إيران وما بين العصا والجزرة تسير العلاقات الأمريكية الإيرانية في خط متعرج يصعب التنبؤ بمساراته.

ذلك أن إحجام قبضة الولايات المتحدة على إيران ينهي تأثير الثورة الإيرانية في المنطقة ويحكم سياج الأمن الأمريكي عليها ليقف على حدود روسيا والصين، وإحكام القبضة على نفط إيران مما يؤدي إلى التحكم في منظمة أوبك والطاقة وبالتالي مستقبل الصناعة في العالم.(١)

**الضغط على إيران:**

الملف النووي الإيراني أحد ثلاث ملفات تضغط بها الولايات المتحدة على إيران ( الملفان الآخران هما ملف أفغانستان وملف العراق)، وإذا كانت إيران قد سلمت في الملفين السابقين لتصادف اتفاق إستراتيجية المصالح الإيرانية مع الأهداف الأمريكية فإن إيران لازالت تساوم في الملف النووي وإذا كانت الولايات المتحدة قد وضعت إيران ضمن ما أسمته محور الشر فإن العراق أحد أضلاع مثلث هذا المحور قد سقط ويبقى الضلعان الآخران كوريا وإيران ، وطبيعي أن تختلف السياسة الأمريكية مع كل ضلع عن الآخر.

لقد استصحبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر معها أحداثاً دولية مهدت لانفراد الولايات المتحدة بالعالم وفرض نفسها كقوة عظمى وحيدة في العالم، وتوج الرئيس الأمريكي ذلك الانفراد في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة خطاب حال الاتحاد الذي وصف فيه إيران بأنها من دول ما أسماه محور الشر وأن هذه الدول وحلفاءها الإرهابيين تشكل تهديداً للسلام في العالم، وتعهد بالعمل ضدها لحرمانها من امتلاك المواد والتقنيات والخبرات لصنع الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية وتوفيرها للمنظمات الإرهابية وأطلق تحذيره الذي قال فيه على كل الدول أن تعرف أن أمريكا ستفعل كل ما يلزم لضمان أمنها، ولن تنتظر اقتراب الخطر،ممهداً بذلك لما أصبح يعرف دولياً بالحرب الوقائية، وهو المفهوم الذي يعني توجيه ضربات عسكرية لمكامن الخطر ووأدها قبل أن تتفجر.

وهو المفهوم الذي تمت على أساسه حرب العراق واحتلاله وفيما يخص الحالة الإيرانية نجد أن حدة الصراع تصاعدت بين الولايات المتحدة وإيران بشأن البرنامج النووي الإيراني على الساحة الدولية وإن كان يخفي وراءه قضايا أخرى عالقة تمثل حقيقة الصراع بين إيران من جهة وأمريكا وإسرائيل من جهة أخرى، وذلك منذ أن ضمت الإدارة الأمريكية إيران إلى محور الشر، لذلك يأتي البرنامج النووي الإيراني في مقدمة أولويات السياسة الخارجية الأمريكية ورغم أن الملف النووي الإيراني ظل يحظى باهتمام أجهزة الاستخبارات العالمية والإقليمية خاصة في تلك المنطقة الملتهبة والمفتوحة على مجموعة من الصراعات بمختلف أنواعها، ولقد أبرزت أحداث الشهور الماضية القضية إلى السطح، وخاصة بعد تداعيات الوضع في العراق ، وإصرار الولايات المتحدة على التدخل في أي منطقة في العالم سواء لمكافحة الإرهاب أو أي قضية أخرى.

## العصا والجزرة بين واشنطن وطهران:

قال باراك أوباما متحدثاً عن مستقبل علاقات بلاده مع طهران مستعدون للتحدث مباشرة إلى الإيرانيين وإعطائهم خياراً واضحاً ليقرروا ما إذا كانوا يفضلون أن تكون الأمور سهلة أو قاسية ولنقم بتغيير عبارة الإيرانيين بالأمريكيين متخيلين أن صاحب التصريح هو مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي أو رئيس الجمهورية أحمدي نجاد عندها سنجد أن المعنى يستقيم أكثر لأن سياسة العصا والجزرة التي يهدد بها أوباما إيران هي التي تمارسها أصلاً إيران تجاه الولايات المتحدة وليس العكس وإذا كانت عصا واشنطن تجاه طهران ما زالت في طور التهديد أو التلويح وكذلك جزرتها، فإن عصا طهران تجاه واشنطن جربت على أرض الواقع وكذلك جزرتها.

حدث ذلك فعلا في أفغانستان وتجلى بأكبر قدر من الوضوح في العراق وحتى إذا ما قلنا اليوم أن كلا من الجانبين يلوح للآخر على طريقته بالعصا والجزرة، فإن واشنطن اليوم تبدو في وضع أصعب للاستمرار في هذه اللعبة الصعبة لأنها ببساطة بدأت عملياً في قضم الجزرة الإيرانية في العراق بل وبدأت تتذوق فعلاً حلاوتها بعد التوقيع على الاتفاقية الأمنية بين العراق والولايات المتحدة دون أي استعصاء من حلفاء إيران في العراق الذين سوقوا ما كان يمكن أن تعتبره إيران، لو أرادت، اتفاقية وصاية وخيانة على أنها اتفاقية انسحاب تدريجي تخدم المصلحة العليا للوطن كما يفهمها أصحاب هذا التعبير وحين غابت العصا في العراق، بدأت ترتفع تدريجياً في أفغانستان، مع هذا التصعيد في العمليات العسكرية ضد قوات التحالف الغربي،بعد أن كانت الجزرة هي التي سبقتها حين ساعدت إيران، باعتراف لا لبس فيه من قادتها، الولايات المتحدة وحلفائها على إسقاط نظام طالبان عام ٢٠٠١والإتيان بنظام حكم الرئيس حامد قرضاي ونفس الشيء يمكن أن يقال عن إيران بخصوص غض النظر أو التشجيع على إسقاط حكم الرئيس صدام حسين والإتيان بجماعتها على رأس السلطة الجديدة في بغداد وبشيء من التبسيط أو التلخيص يمكن القول الآن أن طهران في البداية اعتمدت مع واشنطن الجزرة في الحالتين العراقية والأفغانية لنتابع فيما بعد مشهدين مختلفين في العراق، جزرة ثم عصا فجزرة، أما في أفغانستان، جزرة ثم عصا الممتع في هذه اللعبة الدقيقة التي تجيد توازناتها طهران أفضل بكثير من واشنطن أن إيران قادرة في كلى البلدين أن تحول الجزرة إلى عصا والعصا إلى جزرة حسب ما تراه في كل مرحلة بحيث لا نستبعد في المستقبل أن تتحول عصا أفغانستان إلى جزرة وجزرة العراق إلى عصا كما أن إيران تجيد من ناحية أخرى حبك العلاقة بين كل من العصا والجزرة في العراق وبين كليهما في أفغانستان فقد تكون العصا هنا تسير مع العصا هناك أو الجزرة هنا مع الجزرة هناك أو تجعل بلدا للعصا والآخر للجزرة

حتى تؤلم واشنطن في يد وتترك لها خط رجعة مع اليد الأخرى الولايات المتحدة واليوم مع أوباما أو مع غيره ليس وارد أن تكون إيران هي المتحكمة في لعبة العصا والجزرة بل العكس هو الصحيح تماماً وإذا ما أضفنا لما سبق ورقتي حزب الله في لبنان وحماس في فلسطين،ليس بالضرورة بمنطق عمالة أوتنسيق بينهما وبين طهران ولكن على الأقل بمنطق التناسق بين من يصنفون أنفسهم من قوى الممانعة، فإن موقع إيران يزداد قوة لأنها قادرة كذلك على اللعب بالعصا والجزرة مع إسرائيل حليفة واشنطن الأولى .

## الصين وإيران:

بينما تناقش الأمم المتحدة ما يجب فعله بشأن إيران بعد أن تجاهل هذا البلد الموعد النهائي المحدد من قبل مجلس الأمن لوقف برنامجه النووي، تنتشر كل ضروب الشائعات حول ما سيحدث لاحقاً وفي خضمّ الدوامة السياسية نعلم ثلاثة أمور علم اليقين : الأول أن إيران لن تتنازل، حيث تقول طهران أنها لا تعير الموعد النهائي الذي حددته الأمم المتحدة أي اهتمام(١) والثاني أن أمريكا سوف تضغط من أجل اتخاذ أقوى إجراء، بما في ذلك فرض العقوبات وحتى العمل العسكري وهي تطلق على إيران الآن وصف العدو العلني رقم واحد ومن جهة أخرى، فإن الصين، حليف إيران الرئيسي في الأزمة، سوف تمضي في الدعوة إلى ضبط النفس.

إن ما نشهده الآن هو تصارع قوتين عظميين على بلد واحد هو إيران بل يستطيع المرء أن يعكس الآية ويقول أن صراع أمريكا مع إيران، يدور في معظمه حول صراعها الجغرافي السياسي الهائل مع الصين، فيما يخص تحديد القوة العظمى العليا منهما وفى إيران تحاول الولايات المتحدة أن تبيّن أنها ما زالت اللاعب الأقوى على الصعيد الدولي، وأنها قادرة على النجاح

ومن جهة أخرى، فإيران أيضاً، موضع الصراع حيث تمضي الصين في بسط نفوذها الدولي المتنامي بسرعة وللصين علاقة متنامية مع طهران حيث تزودها بالبضائع الرخيصة والمعدات العسكرية، وتتلقى منها النفط والغاز الرخيصين ونحن نشهد الآن لعبة خطرة يجري فيها دفع الأمور إلى حافتها، ويمكن أن يكون لها عواقب مدمرة علي المنطقة ومركز هذه اللعبة برنامج إيران النووي.

ظلت إيران والولايات المتحدة على خلاف منذ قيام الثورة سنة ١٩٧٩وفي سنة ٢٠٠٢، ضُمَّ هذا البلد إلى محور الشرّ الذي ابتدعه بوش، وظل البلدان منذئذٍ يسيران في مسارين متصادمين، خاصة بعد انتخاب محمود أحمدي نجاد، الذي اعتُبِر معادياً للغرب ولم تكن الصين وإيران صديقتين على الدوام، ولم تبدأ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إلا سنة ١٩٧١وكان المعلقون يتحدثون عنهما باعتبار أنهما يُستَبعَد أن يكونا شريكين ومع ذلك، ما من شك في أن علاقتهما غدت أقوى منذ بداية القرن الجديد وفي سنة ٢٠٠٠ التقى رئيس إيران وقتئذٍ، محمد خاتمي، مع نظيره الصيني جيانج زمين، للمرة الأولى وأكّدا على الحاجة إلى إقامة نظام سياسي واقتصادي عالمي جديد، منصف، عادل ومنطقي، يكون متحرراً من الهيمنة وسياسة القوة، ومبنيّاً على المساواة وفي أغسطس ٢٠٠٣، سافر وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي إلى بكين لإجراء المزيد من المحادثات الاقتصادية مع وو، مانحاً الأولوية للنقل، وبناء السدود، ومحطات الطاقة، والصناعات البتروكيماوية، الى جانب مشاريع الغاز والنفط وفي سنة ٢٠٠٣ ازدادت التجارة بنسبة ٥٠% عمّا كانت عليه في السنة السابقة ولكن التجارة لم تكن وحدها التي تقرّب ما بين البلدين ففي السنة التالية، اعترفت الصين بأنها قد تعاونت مع نظام طهران في برنامجها النووي.

وقد أزعج ذلك واشنطن، لكن الأمور سارت فى اتجاه المزيد من السوء وفي نوفمبر ٢٠٠٤ وقّعت بكين وطهران صفقة غاز ضخمة، وُصفت بأنها صفقة القرن وقيل أنها تعادل ما بين ٧٠ و ١٠٠ مليار دولار وتضمنت صفقة الغاز، التصدير السنوي لنحو ١٠ ملايين طن من الغاز الطبيعي الإيراني المسال، ولفترة ٢٥ سنة.

وفي هذه الصفقة، سوف يتلقى تكتل الشركات الصيني المسمى ساينوبيك، كذلك نصيباً رئيسياً من تطوير حقل نفط ياد آوران الإيراني الضخم بالقرب من الحدود العراقية وسوف يقطع الوصول إلى حقل النفط شوطاً طويلاً باتجاه تلبية الطلب الصيني المتصاعد بشدة على النفط وفي ذلك الوقت قال وزير النفط الإيراني، بيجان زنكنه، أن إيران كانت أكبر مزود للنفط للصين، وأنها تريد أن تكون شريكها التجاري على المدى الطويل وقال إن اليابان هي مستورد الطاقة رقم واحد منّا لأسباب تاريخية ولكننا نودّ إعطاء الأفضلية للصادرات إلى الصين.

وهنالك طرق استراتيجية عديدة تخفض بها العلاقة الصينية الإيرانية هيمنة أمريكا ونفوذها السياسيين. فالتجارة الصينية تضعف تأثير عمليات الحظر الاقتصادي الأمريكية المختلفة، على السياسة الإيرانية قال حسين شريعت مداري،مدير تحرير صحيفة كيهان،لصحيفة واشنطن بوست سنة ٢٠٠٤ العقوبات ليست مؤثرة هذه الأيام لأن لدينا العديد من الخيارات في أسواق ثانوية، مثل الصين.

والأمر الثاني هو دعم الصين لإيران في مجلس الأمن وكما قال وزير خارجية إيران السابق، علي أكبر ولايتي، في مقابلة لا ينبغي علينا أن ننتظر من روسيا أو الصين أن تعترضا على قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة التي تُقدَّم ضدنا، ومع ذلك، فإن ما قد نشهده، أن تحاول هاتان الدولتان تخفيف القرارات لمصلحتنا.

ثالثاً، الصين تزوّد ايران بالتكنولوجيا العسكرية المتقدمة، بما فيها تكنولوجيا الصواريخ وفي اليوم ذاته الذي صوّت فيه مجلس الشيوخ على اتخاذ عقوبات أشدّ صرامة ضد إيران، كانت الصين ما تزال تؤيد تسوية القضية النووية من خلال الوسائل الدبلوماسية لهذه الأسباب، يوجد في أمريكا مَن يعتقدون بأن العمل العسكري ضد إيران أمر ضروري وفي الجانب الآخر، يوجد غير الراغبين وكانت الدولتان اللتان تبثان الإشارات الخاطئة بشأن القضايا الدولية، بما فيها قضية إيران، هما روسيا والصين وكما قال ريجان عن معركته، لا نستطيع الاكتفاء بالبقاء على قيد الحياة في هذه الحرب، والأمل في أن تكمل أجيال المستقبل المهمة على نحو ما والأمر موكول لنا للفوز فيها وسوف نفعل وهكذا يرى براونباك الولايات المتحدة في حرب مع إيران.

**العقوبات الدولية:**

فرضت الولايات المتحدة قيودًا على إيران منذ أن احتجزت الرهائن الأمريكيين عام ١٩٧٩، مما أدى إلى حظر تجاري كامل على طهران عام ١٩٩٥ وبعد ذلك، صدر قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ١٦٩٦ بتاريخ يوليو ٢٠٠٦، الذي منح الإيرانيين مهلة لتعليق التخصيب، تحاشياً للتعرض لعقوبات دولية،وفي ديسمبر ٢٠٠٦، صدر القرار الدولي رقم١٧٣٧، الذي فرض عقوبات تقنية ومالية على إيران وبالإضافة إلى ذلك فرضت الأمم المتحدة عقوبات موسعة عليها، حيث يفوض قرار مجلس الأمن رقم ١٧٣٧ الصادر في ديسمبر ٢٠٠٦ كل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بمنع إمدادات وبيع أو نقل كل المواد والمعدات والبضائع والتكنولوجيا التي يمكن أن تساهم في الأنشطة المتعلقة بالتخصيب أو المياة الثقيلة لإيران وكان رد فعل إيران هو عدم إلقاء بال لمثل هذه القرارات وبدا أنها مصممة على مواصلة برنامجها النووى رغم إعلانها فى الكثير من المناسبات والمحافل الدولية سلمية البرنامج

ولقد كان هناك بعض ردود الأفعال من بعض الساسة العالميين مثل وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي الذى دعا إيران إلى اختيار الحوار بهدف تفادي عزلة متنامية وقال أن مجلس الأمن يضع إيران بهذا القرار أمام خيار واضح إما التعاون مع المجتمع الدولي أو مواصلة أنشطة تخصيب اليورانيوم والمعالجة تحت طائلة عزلة متنامية لكن قابله تصريح مسئول إيراني على مستوى عال إن طهران ستواصل،رغم العقوبات التي صوت عليها مجلس الأمن الدولي بالإجماع ، برنامجها النووي ومشروع تركيب ثلاثة آلاف محرك طرد مركزي في مصنع لتخصيب اليورانيوم ، وهذا القرار الجديد لن يشكل عقبة أمام تطور إيران في المجال النووي ولقد اعتبر وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر شتاينماير القرار ١٧٣٧ إشارة تصميم قوية من جانب المجتمع الدولي ودعا إيران إلى الامتثال لهذا القرار من أجل التمهيد لمعاودة المفاوضات، مؤكداً أن العرض الذي تقدمت به الترويكا الأوروبية (فرنسا وألمانيا وبريطانيا) مع الصين وروسيا والولايات المتحدة إلى إيران في السادس من يونيو٢٠٠٦ لا يزال صالحاً أما بيرنز مساعد وزيرة الخارجية الأميركية للشئون السياسية فقال لا نعتقد أن هذا القرار كاف في ذاته، نريد أن يذهب المجتمع الدولي أبعد من ذلك، لن نضع كل خياراتنا في سلة الأمم المتحدة .(١)

وفي مارس ٢٠٠٧ أصدر المجلس القرار رقم ١٧٤٧ بهدف زيادة الضغط على إيران بشأن برنامجها النووي وبرنامجها الصاروخي وذلك بمنع التعامل مع البنك الإيراني الحكومي سيباه و٢٨ شخصًا ومنظمة أخرى ومعظمها مرتبط بالحرس الثوري الإيراني ونصت قرارات مجلس الامن على منع واردات الأسلحة إلى إيران وتقييد القروض الممنوحة لها وفي مارس ٢٠٠٨ مدد القرار ١٨٠٣ الحظر على الأصول الإيرانية والسفر على المزيد من الشخصيات الإيرانية ووسّع العقوبات على إيران على نحو ملموس

وقد وسّع هذا القرار على وجه خاص، قائمة الأفراد والكيانات المصنفة الخاضعة لتجميد في الممتلكات وتقييد في السفر وعزز القرار كذلك الحظر على نقل التكنولوجيا ليشمل جميع المواد والمعدات ذات الاستعمال المزدوج, ومنع القرار كذلك الدول من نقل تكنولوجيات معينة، متصلة مركبات جوية لا تحمل بشراً إلى إيران وكانت هذه المركبات معفية سابقاً من الحظر على سلع مبينة في قائمة نظام مراقبة تكنولوجيا الصواريخ، كما تضمنه قرار مجلس الأمن الرقم ١٧٣٧ودعا القرار١٨٠٣لأول مرة جميع الدول لأن تفتش شحنات طائرات وسفن تابعة لشركتين هما: إيران اير كارجغو وشركة الملاحة البحرية الإيرانية العامة، المتوجهة إلى إيران والآتية منها، إذا اشتبه بأنها تحمل سلعاً ممنوعة وفي يونيو ٢٠١٠، أصدر مجلس الأمن الدولي القرار الرقم ١٩٢٩ الذي فرض بموجبه جولة رابعة من العقوبات على إيران.

ولقد قام الاتحاد الأوروبى بفرض حزمة جديدة من العقوبات أشادت حكومة الرئيس الامريكي باراك أوباما بها وقالت حسب ما أعلنت الواشنطن بوست إن الولايات المتحدة وشركاءها الدوليين ملتزمون بمنع طهران من الحصول على أسلحة نووية وقال وزير الخزانة تيموثي جايتنر ووزيرة الخارجية هيلاري كلينتون في بيان مشترك هذه الضغوط الجديدة المنسقة التي اتخذت مع العقوبات الكثيرة على إيران التي ما زالت تطبقها الولايات المتحدة والمجتمع الدولي ستجعل الخيار أكثر وضوحاً أمام الزعماء الإيرانيين وتزيد تكلفة تحديهم للالتزامات الدولية الأساسية وتساعد خطة أوروبا لحظر واردات النفط الخام الإيراني وتجميد أصول البنك المركزي الإيراني في توفيق سياسة الاتحاد الأوروبي مع سياسة العقوبات الأمريكية وقالت كلينتون وجايتنر في البيان أن العقوبات الأوروبية خطوة كبيرة جديدة ضمن الجهود الدولية لزيادة الضغط بشدة على إيران وأضافا رفضت إيران تبديد مخاوف المجتمع الدولي الجادة والتي تستند إلى أساس قوي بشأن برنامجها النووي

وتعمل الولايات المتحدة حالياً على تنفيذ عقوبات أقرها الكونجرس وتمنع الدول ومؤسساتها من التعامل مع البنك المركزي الإيراني القناة الرئيسية لإيرادات النفط الإيراني وما كان قرار العقوبات على طهران سهلاً على واشنطن إطلاقاً فقد استغرق تسعة أشهر بذلت خلالها الدبلوماسية الأمريكية أقصى ما يمكن من جهدٍ وتحايُلٍ وتبادُل مصالح صغيرة وكبيرة.

وما بدأ الملفّ مع روسيا والصين؛ بل مع الحلفاء الأوروبيين الذين ما كانوا متحمسين للمسألة، باستثناء فرنسا التي كان رئيسها ساركوزي يريد من خلال ذلك إرضاء إسرائيل ودفعها للسير في عملية السلام بعد زوال الأخطار عنها أو تضاؤلها لذا فقد احتاج الأمريكي إلى تفاوُضٍ حتّى مع إنجلترا وألمانيا وإيطاليا، وهي دولٌ لها علاقاتٌ تجاريةٌ ضخمةٌ مع إيران وكانت بريطانيا مهتمةً بعد بلير أن لا تبدو بمظهر التابع لواشنطن وفي الشهور الخمسة الأخيرة، استغرق تفعيلُ التحالف الأطلسي تُجاه طهران زُهاءَ شهرٍ، وكان من عناصره: الحاجة إلى التضامن رغم كل شيء بسبب الأزمة المالية العالمية، وللحصول على تعاوُن روسيا، وللضغط جزئياً على إسرائيل من أجل السير في عملية السلام وتركّز الأمر طوال شهورٍ ثلاثةٍ على إقناع كلٍ من روسيا والصين وقد كان حاسماً بالنسبة لروسيا، معلومات مخابراتها وخبرائها عن البرنامج النووي الإيراني، وعدم رغبتها في إيران نووية على حدودها وفي مجالها الاستراتيجي ثم إنها كسبت من الولايات المتحدة حكاية الاستغناء التدريجي عن الدرع الصاروخي، وتراجُع حماس الولايات المتحدة لأنصارها في أوكرانيا وجورجيا ودول آسيا الوسطى وصارت روسيا أكثر إفصاحاً بشأن العقوبات، وأورثها ذلك جدالاً علنياً مع إيران، وسُمعة خبثٍ ونِفاقٍ ما كانت روسيا بالفعل بعيدةً عنهما في عدة ملفّات .

والصين ملفٌ آخَرُ بدا مستعصياً، رغم سهولته الفعلية فالصين أكبر حاملٍ للدولار بعد الولايات المتحدة نفسها والولايات المتحدة هي السوق الأولى والرئيسية للصين لذا فالصدام مع أمريكا غير ممكنٍ، وسيكون بمثابة إعلان حربٍ وظلّت بكين تستقبل الإيرانيين وتؤيّدهم عَلَناً رغم وعدها للولايات المتحدة،إلى أن فضحها الأمريكيون بعد أن ضاق ذَرْعُهُم بالنفاقين الروسي والصيني والصينيون ما خشوا على عقود النفط والغاز مع إيران، إذ أين ستبيع إيران إنتاجَها الضخم إن لم تأخذه الصينُ والهند واليابان؟ ثم إنّ الصين استترتْ مع روسيا تحت حجة جَعْل العقوبات معقولةً وإنسانيةً، ولا تُقْفل باب الحوار بل تفتحه بإرغام إيران على الإصغاء لرغبات الدول الكبرى والمجتمع الدولي ولا تريد الصين المزيد من الإحراج بعد اضطرارها لحماية كوريا الشمالية، سواءٌ في الملف النووي أو على أثر إغراقها بارجةً حربيةً لكوريا الجنوبية على أنّ المسألة الأكبر والأكثر خدمةً لإيران، وقد انجزها الروس والصينيون بالفعل، هي أنهم ألزموا الولايات المتحدة وحلفاءها على أن تمرَّ الأمور كلّها من خلال مجلس الأمن والمنظمات الدولية ولو اعترض هذان العضوان الدائمان؛ لاضطرت الولايات المتحدة وحلفاؤها للتصرف من خارج مجلس الأمن، سواء بالعقوبات الثنائية أم بالحرب فباللجوء الدائم إلى مجلس الأمن(٤ مرات حتّى الآن)، وإمكان إصدار قرارات من خلاله، صار التصرف عسكرياً من خارج مجلس الأمن أَمْراً مستبعَداً، كما أنه من المستبعد في الأمد القريب أن يوافق الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن على الحلّ العسكري في الملف النووي الإيراني .

لقد نجحت دبلوماسية أوباما، وأثبتت أن الولايات المتحدة مازالت تُمْسِكُ بزمام الأُمور في العالَم، رغم الجراح التي نزلت بها أيام بوش، لكنه نجاحٌ غير مطلَق فقد وقفت ضدَّه دولتان كبريان حليفتان لواشنطن، هما البرازيل وتركيا

أمّا الإفادة التركية من الأزمة فهي كبيرةٌ وعاليةٌ ولا خسائر على الإطلاق فقد صارت تركيا هي الشريك الاستراتيجي المعتَرَف به من سائر الأطراف في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وحاجةُ الأمريكيين والأوروبيين والروس لتركيا، لا تقلُّ عن حاجة العرب والإيرانيين .

وستكون خسارة تركيا خسارةً استراتيجيةً لإسرائيل إذا ظلّت العلاقات سيئة، وما نجحت مفاوضات السلام مع دورٍ لتركيا فيها والمنتظر أن يتحدث البرازيليون والأتراك إلى الأمريكيين حول المستقبل القريب، وكيف سيتابعون مع إيران وتقول تركيا إنّ اتفاقية التبادل سوف تستمرّ بيد أنَّ ذلك أمر غير واقعي، إذ أين سيتمُّ التخصيبُ خارج إيران، ما دامت كلٌّ من فرنسا وروسيا ملتزمتين بالقرار الدولي، والذي يعني رفضاً صريحاً للاتفاق المُنْجز من جانب البرازيل وتركيا مع طهران .

ماذا ستفعل إيران؟ لقد استطاعت تأخير القرار تسعة أشهر، وتخفيف العقوبات بحيث لم تشمل النفط والغاز، وإنما تناولت التسلُّح والمسائل المالية واستطاعت أيضاً جذب تركيا والبرازيل ودولٍ أصغَر إلى جانبها، وهي دولٌ ليست في الغالب عدوةً لواشنطن، لكنها رفعت صوتها ضدَّ العقوبات دون أن تخشى العواقب فإدارة أوباما لا تريد التذكير الآن بالعصا الغليظة للإدارة السابقة، التي ما جلبت أرباحاً لأحد إنما لا ينبغي أن يُخطئ أحدٌ في تأثير العقوبات على طهران لن يموت الإيرانيون جوعاً بالطبع لكنه قرارٌ أمريكيٌّ بمنع هذه الدولة البارزة من التقدم، ومنع التكنولوجيا المتطورة في سائر المرافق عنها منعاً شبه باتّ وهذا أمرٌ لا يمكن تجاوُزُهُ بسرعةٍ حتّى بعد زوال العقوبات إنه قرارٌ استراتيجيٌّ أمريكيٌّ اتخذه رئيسان أمريكيان، بعد تقارُبٍ وتواطؤ استمرَّ لحوالي خمس سنوات، وجرى في ظلّهما احتلال بلدين إسلاميين، وتغيير نظام الحكم فيهما فبين عامي ٢٠٠١ عام حوار الحضارات الذي دعا إليه خاتمي وأقرته الأمم المتحدة، وحصلت فيه اعتداءات القاعدة على أمريكا، و٢٠٠٥ وانتخاب نجاد للرئاسة

انتشر الأمريكيون والإيرانيون معاً في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وظلّ تبادُلُ الاتهامات عاليَ الوتيرة والصوت، لكنّ المصالح ما تناقضت ومنذ ٢٠٠٥ حدثت عدة حروبٍ وتوتراتٍ من الجانبين، وما أفاد شيئاً فيها تغيُّر لهجة أمريكا أيام أوباما تُجاه إيران والعالم الإسلامي (١)وعندما بدأت المفاوضاتُ المتعثّرة بين إيران والولايات المتحدة، اعتقدت إدارة أوباما أنه يمكن إجراء صفقةٍ شاملةٍ مع إيران تتضمن كلَّ المواضيع بما فيها مسائل التكنولوجيا ومناطق النفوذ؛ في مقابل النووي لكن لو أنّ الإيرانيين أصرُّوا على كلّ شيء، فالمنتظر أن تُواجه إيران الاستراتيجية الأمريكية الشاملة باستراتيجية شاملةٍ أيضاً وما عاد الظرف يسمح بمدّ النفوذ أو حتّى الهجوم؛ إنما الذي سوف يحدثُ في الغالب إثارة القلاقل والعراقيل في المواطن ذات القابلية لذلك وسوريا سيتجمدُ حِراكُها، وسيزداد الجمودُ في حكومة الوحدة الوطنية بلبنان، ولن تتقدم المصالحة الفلسطينية، وسيزداد الموقف في أفغانستان وربما في الصومال واليمن قلقلةً واضطرابا ولن يصل الأمر في الغالب إلى مُواجهةٍ مباشرة أو غير مباشرة بين إيران وإسرائيل لكنّ الجميع سوف يحتاجون لتركيا والبرازيل فالولايات المتحدة ستحتاج لتركيا لإبقاء نافذة مع إيران وإيران سوف تحتاج لتركيا مثل الآن وأكثر للحاجة إلى التنفُّس وسوريا وحماس والحكومة اللبنانية تحتاج لتركيا لإقناع إيران بتخفيف الضغوط على الاستقرار .

لكن ما هي الالتزاماتُ الأخلاقية والسياسية التي ترتّبت على الأميركيين والأوروبيين؟ أول الالتزامات وأهمُّها إيقاف الاستيطان الإسرائيلي في القدس الشرقية وبقية أراضي عام ١٩٦٧؛ وإن أمكن الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية أوحدودها على الأقلّ قبل نهاية العام إنه التزامٌ لا تستطيع الولايات المتحدة ولا إسرائيل الخروج عليه وربما كان التصرف الإسرائيلي ضد أُسطول الحرية طريقةً لإيقاف التفاوض بالحجة القديمة لمكافحة الإرهاب

لكنّ ذلك لم ينفع، رغم التغطية السياسية الأميركية له حتى الآن فقد استقبل أوباما أبومازن، ودعا لتخفيف الحصار على غزة بيد أنّ همَّه الأساس يبقى وقف الاستيطان وعلى هذه الصخرة سوف تتحطم السياسة الأميركية الشرق أوسطية أو تتحطم حكومة نتنياهو .

هل كان قرار العقوبات ضد إيران ضرورياً؟ ربما لم يكن كذلك، لكنّ الولايات المتحدة في العهد الجديد، ، أرادت تثبيت بعض المبادئ، والتذكير ببعض الثوابت؛ وفي طليعتها أنّ الولايات المتحدة مازالُت قويةً وقادرةً على استخدام قوتها في مواجهة العالم أو بالاشتراك معه.

**نتائج المفاوضات على النشاط النووى الايرانى٢٠١٥:**

أفضت المفاوضات بين إيران والقوى الغربية الكبرى، إلى اتفاق مرحلي حول الملف النووي لطهران، ونشرت الإدارة الأمريكية أهم نقاط هذا الاتفاق، الذي يتوزع على عدة محاور ويشمل الاتفاق التخصيب، وأجهزة الطرد المركزي، والمخزون من المواد النووية المخصبة وبحسب الاتفاق، تلتزم إيران بوقف تخصيب اليورانيوم بأكثر من٥% وتفكيك التوصيلات الفنية المطلوبة للتخصيب بما يتجاوز هذه النسبة، كما تلتزم بتحييد مخزونها من اليورانيوم المخصّب ٢٠%، وتخفيف مخزونها الكامل من اليورانيوم المخصب بنسب قريبة منها إلى ٥% فقط، أو تحويله لما لا يناسب أي عمليات تخصيب أخرى قبل نهاية المرحلة الأولى.

أما عن القدرات والتجهيزات، فالتزمت طهران، بوقف أي تقدم في قدرات التخصيب بعدم تركيب أي أجهزة طرد مركزي إضافية من أي نوع، وعدم تركيب أو استخدام أي من أجهزة الجيل التالي للطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم وبموجب الاتفاق تلتزم إيران بتعطيل نحو نصف أجهزة الطرد المركزي في نطنز وثلاثة أرباعها في فوردو، بما يمنع استخدامها في تخصيب اليورانيوم.

في المقابل يمكن لإيران إنتاج أجهزة الطرد المركزي في إطار الصيانة واستبدال ما تلف من الأعداد المسموح بها ، وبما لا يسمح لها باستخدام فترة الأشهر الستة لتخزين كميات إضافية من أجهزة الطرد المركزي وأخيراً يلزم الاتفاق إيران بعدم إنشاء أي منشأة إضافية للتخصيب.

والتزمت إيران، بوقف أي تقدم فيما يتعلق بزيادة مخزونها من اليورانيوم المخصّب بنسبة ٣,٥%، بعدم زيادة المخزون من اليورانيوم المخصب بهذه النسبة،وحتى لا تزيد الكمية في نهاية فترة الأشهر الستة ،إلى ما يفوق ما كانت عليه في بدايتها، وتحويل أي كميات يتم تخصيبها من اليورانيوم بنسبة ٣,٥% إلى أكسيد.

كما التزمت بوقف أي تقدم في أنشطة مفاعل آراك، ووقف مسار استخلاص البلوتونيوم، بإيقاف مفاعل آراك، وعدم تزويده بالوقود، والتوقف عن إنتاج هذ الوقود، والتوقف عن إجراء أي اختبارات أخرى للوقود بالمفاعل، وعدم تركيب مكونات إضافية في المفاعل، أو نقل أي وقود أو مياه ثقيلة لموقع المفاعل والتزمت إيران بعدم بناء أي منشأة قادرة على إعادة المعالجة، ذلك أنه دون قدرة عن إعادة المعالجة لا يمكن لايران فصل البلوتونيوم عن الوقود المستنفد.

والتزمت بتمكين مفتشي وكالة الطاقة الذرية بشكل يومي من دخول نظنز وفوردو، لمراجعة ما تصوره الكاميرات لضمان المراقبة الشاملة، كما التزمت بتمكين مفتشي الوكالة من الزيارة والاطلاع على منشآت تجميع أجهزة الطرد المركزي، وزيارة منشات انتاج وتخزين مكونات أجهزة الطرد المركزي،إلى جانب تمكينهم من الوصول إلى مناجم اليورانيوم ومحطات تجهيزه.

كما يفرض الاتفاق على إيران تقديم كلّ المعلومات عن تصميم مفاعل آراك، بما يسمح بجمع معلومات تفصيلية حسّاسة عنه، لم تكن متاحة من قبل، والالتزام بتمكين المفتشين غير المشروط من دخول مفاعل آراك.

ولضمان التزام طهران، اتفقت ايران والدول الست، على تكوين لجنة مشتركة للعمل مع وكالة الطاقة لمراقبة التنفيذ ومعالجة أي مشاكل قد تطرأ وستعمل اللجنة المشتركة أيضاً مع الوكالة الدولية لتسهيل تسوية المخاوف السابقة والحالية فيما يتعلق ببرنامج إيران النووي بما في ذلك البعد العسكري المحتمل للبرنامج النووي الإيراني والأنشطة في بارشين.

وجاء في الاتفاق أنه في مقابل تلك الخطوات ستقدم تلك القوى تخفيفاً محدوداً ومؤقتاً وموجهاً يمكن إلغاؤه في أي وقت، مع استمرار القسم الأكبر من العقوبات ضدّ قطاعات النفط والمال والبنوك ويضمن الاتفاق لإيران عدم التعرض لعقوبات جديدة فيما يتعلق بالبرنامج النووي لمدة ستة أشهر، إذا احترمت التزاماتها بموجب هذا الاتفاق، ويمكنها التمتع بوقف بعض العقوبات على الذهب والمعادن النفيسة وقطاع السيارات الإيراني والصادرات البتروكيماوية، بما يتيح لها إيرادات تقترب من ١,٥ مليار دولار، وفي السياق نفسه يسمح الاتفاق بالترخيص بالإصلاحات والصيانة الخاصة بالسلامة لبعض شركات الطيران الإيرانية ويمكن لإيران بموجب الاتفاق الحصول على ٢ مليار دولار من حصيلة مبيعات البترول على دفعات، شريطة احترام تعهداتها، على أن تبقى مشتريات النفط الإيراني عند مستوياتها الحالية، أي أقل بـ٦٠ % عن مستواها في ٢٠١١.

في المقابل يتساهل الاتفاق بشكل فوري مع إيران في مجالي التعليم، بالإفراج عن ٤٠٠ مليون دولار من مساعدات التعليم الحكومية من الأموال المجمدة في الخارج، مباشرة إلى مؤسسات تعليمية معترف بها في دول ثالثة لتغطية نفقة تعليم الإيرانيين فيها.

كما يسمح لإيران بالإفادة من الصفقات الإنسانية غير المعنية بالعقوبات الدولية، وهي المتعلقة أساساً بمشتريات الغذاء وسلع الفلاحة الأولية والأدوية والأجهزة الطبية، وتمويل العلاج في الخارج ومقارنة بين الالتزامات الكثيرة التي تعهدت بها والمكاسب المؤقتة والقليلة التي حصلت عليها يمكن القول إن إيران كسبت جرعة أوكسيجين لاقتصادها المنهك، في الشهور القليلة القادمة ليس أكثر.

# الباب الخامس
# مضيق هرمز والأزمة

## مضيق هرمز وأهميته الاستراتيجية:

أحد أهم الممرات المائية في العالم وأكثرها حركة للسفن يقع في منطقة الخليج العربي فاصلاً ما بين مياه الخليج العربي من جهة ومياه خليج عمان وبحر العرب والمحيط الهندي من جهة أخرى، فهو المنفذ البحري الوحيد للعراق والكويت والبحرين وقطر تطل عليه من الشمال إيران ومن الجنوب سلطنة عمان التي تشرف على حركة الملاحة البحرية فيه باعتبار أن ممر السفن يأتي ضمن مياهها الإقليمية ويعتبر المضيق في نظر القانون الدولي جزءاً من أعالي البحار، ولكل السفن الحق والحرية في المرور فيه ما دام لا يضر بسلامة الدول الساحلية أو يمس نظامها أو أمنها ويضمّ المضيقً جزر صغيرة غير مأهولة أكبرها جزيرة قشم الإيرانية ولاراك وهرمز، إضافةً إلى الجزر الثلاثة المتنازع عليها بين إيران والإمارات طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ،عرضه ٥٠كم (٣٤كم عند أضيق نقطة) وعمقه ٦٠م فقط، ويبلغ عرض ممرّي الدخول والخروج فيه ميلين بحريّين (أي ١٠,٥كم) وتعبره ٢٠-٣٠ ناقلة نفط يومياً محمّلة بنحو ٤٠% من النفط المنقول بحراً على مستوى العالم ونظراً لموقع المضيق الاستراتيجي، فإنه لم يستطع الإفلات عبر التاريخ من الأطماع وصراع الدول الكبرى للسيطرة عليه، فمنذ القرن السابع قبل الميلاد وهو يلعب دوراً دولياً وإقليمياً هاماً ًأسهم في التجارة الدولية وقد خضع للاحتلال البرتغالي ثم سائر الدول الأوروبية خصوصاً بريطانيا لتنتشر الشركات الغربية المتنافسة.

اعتبرت بريطانيا مضيق هرمز مفترق طرق إستراتيجية، وطريقاً رئيسيّاً إلى الهند، فتدخلت بأساليب مباشرة وغير مباشرة في شؤون الدول الواقعة على شواطئه لتأمين مواصلاتها الضرورية، فارضة الاحتلال ومتصارعة مع الفرنسيين والهولنديين لسنوات طويلة، إضافة إلى صدامها مع البرتغاليين ابتداء من عام ١٥٨٨ بعد معركة الأرمادا وإثر إنشاء شركة الهند الشرقية.

وبذلك ضمنت بريطانيا السيطرة البحرية على هذه المنطقة ولم تكن الملاحة يوماً عبر هذا المضيق موضوع معاهدات إقليمية أو دولية، وكانت تخضع الملاحة فيه لنظام الترانزيت الذي لا يفرض شروطاً على السفن طالما أن مرورها يكون سريعاً، ودون توقف أو تهديد للدول الواقعة عليه، على أن تخضع السفن للأنظمة المقررة من المنظمة البحرية الاستشارية الحكومية المشتركة.

أهمية مضيق هرمز تأتى من أنه يعد الباب الذي تخرج منه صادرات النفط إلى الدول المستهلكة، والعالم الصناعي على وجه الخصوص وقضية مضيق هرمز دون سواها في منظور الجغرافيا السياسية الجيوبوليتيكى تأخذ أهميتها بحكم موقع المضيق المهم الذي يربط بين الخليج العربي وخليج عمان، وهو بذلك يدخل في نطاق المضايق التي تصل بين بحرين عامين هما بحر عمان والمحيط الهندي والخليج العربي الذي تقع عليه جميع دول الخليج من ناحية المغرب والعراق من الشمال وإيران من الناحية الشرقية، وهو بذلك يدخل في نطاق المضايق من الناحية القانونية الدولية.

ومع اكتشاف النفط زادت أهميته الإستراتيجية نظراً لاحتياطي النفط الكبير في المنطقة، وقد دفعت الأزمات السياسية السابقة دول المنطقة إلى التخفيف من اعتمادها عليه ، في فترات سابقة، والاستعانة بمد خطوط أنابيب نفط، إلا أن هذه المحاولات بقيت محدودة الأثر خصوصاً بالنسبة لاستيراد الخدمات والتكنولوجيا والأسلحة وبقي المضيق موضوع نزاع إستراتيجي بين الدول الكبرى فالاتحاد السوفيتي السابق كان يتوق إلى الوصول إلى المضيق لتحقيق تفوقه المنشود والتمكن من نفط المنطقة، بينما سعت الولايات المتحدة إلى اطلاق أساطيلها في مياه المحيط الهندي والخليج العربي وقوت الروابط السياسية والتجارية والعسكرية مع دول المنطقة ضماناً لوصولها إلى منابع النفط والإشراف على طرق إمداده انطلاقاً من مضيق هرمز

الذي تعتبره جزءاً من أمنها الوطني باعتبار أن تأمين حرية الملاحة فيه مسألة دولية بالغة الأهمية لاسيما وأنه الطريق الأهم لإمدادات النفط العالمية.

ومن أجل دفع إيران للتخلى عن برنامجها النووى تم تشديد العقوبات الغربية عليها لمنع صادراتها النفطية من خلال الاتحاد الأوروبى وعليه فقد لوح بعض المسئولين الإيرانيين باغلاق المضيق وهذا ما أدى لخروج بعض التقارير الإخبارية التى تصرح بوجود اتصال غير معتاد متمثل فى رسائل متبادلة بين الجمهورية الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية أو الشيطان الأكبر كما تطلق عليها إيران، رسائل أكدتها إيران ولم تنكر استلامها،رغم تضارب تصريحات مسئوليها حول فحواها فبعد أن كشفت صحيفة واشنطن بوست عن وجود قنوات اتصال سرية بين الجمهورية الإسلامية وأمريكا، أرسل أوباما عن طريقها تحذيراً إلى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية على خامنئى، معتبراً غلق مضيق هرمز خط أحمر سيستدعى رداً من جانب الولايات المتحدة، فى الوقت نفسه استبعدت أن يكون الرد عسكرياً،ورغم تضارب تصريحات بعض المسئولين الإيرانيين باستلام رسالة من أوباما وفحواها، إلا أن مهمان برست المتحدث باسم الخارجية أيد إرسال أوباما رسالة إلى إيران كاشفاً القنوات السرية التى بعث عن طريقها أوباما الرسالة، وجاء رد إيران بأنها تدرسها وترد عليها إن لزم الأمر.

فى الوقت نفسه، ذكر النائب على مطهرى، أن أوباما دعا إلى إجراء محادثات مباشرة مع طهران فى خطاب سرى أرسل إلى المرشد الأعلى للبلاد آية الله على خامنئى، وحذر أيضاً من إغلاق مضيق هرمز، وجاء حسين نقوى حسينى عضو لجنة الأمن القومى والسياسة الخارجية فى البرلمان لينفى ذلك، وقال إن أوباما طالب بفتح خط اتصال مباشر بين مسئولى البلدين كى يتيح من خلاله نقل رسائل البلدين وقت الضرورة، وكى يحول دون ظهور أزمة لا مبرر لها.

كما كشف نائب إيرانى عن وجود رسالة شفوية من أوباما إلى الجمهورية الإسلامية أبلغتها السفيرة السويسرية القائمة بأعمال مكتب رعاية المصالح الأمريكية بطهران، اعترف فيها أوباما بحق إيران فى الطاقة النووية.

رسائل اعتبرتها إيران دليلاً على عمق القلق الأمريكى بشأن التوترات المتزايدة حول المضيق وقدرة إيران على غلقه رغم تشكيك بعض القادة الأمريكيين فى قدرتها على ذلك، ودليلاً على خوف أمريكا من إغلاق ممر مائى يحظى بأهمية استراتيجية، يمر من خلاله ١٦ مليون برميل من النفط يومياً، بما يمثل خمس إنتاج العالم كان الرؤساء الأميركيون أحياناً يتحدثون عن قضايا تخص حقوق الإنسان في إيران وكان شاه إيران يتحدث عن حاجة الدول الغربية للنفط والغاز الإيراني وإذا تركنا ثروات إيران الطبيعية جانباً، هناك في الطرف الآخر موقع البلد الإستراتيجي فعلى حدوده الشمالية تقع روسيا وبحر قزوين، ومن الجنوب يطل على مضيق هرمز، الذي من خلاله تحاول إيران دائماً أن تمارس ضغوطاً من خلال التهديد بإغلاقه ووقف تدفق النفط، الأمر الذي يهدد بالطبع الاقتصاد العالمي بالكامل .

جاء الرئيس محمود أحمدي نجاد إلى الحكم وحينها انتقل البلد من مرحلة الإصلاح إلى الراديكالية والسياسة المعادية للغرب مرة أخرى وضع جورج بوش الابن إيران ضمن محور الشر الذي كان يضم في حينه كوريا الشمالية والعراق في فترة حكم صدام حسين وكان المرشحون للرئاسة في الولايات المتحدة يتخذون مواقف متضاربة ومتناقضة أحياناً تجاه بعض القضايا، ومن بينها إيران على سبيل المثال، حين أعلن المرشح الجمهوري جون ماكين أنه سيقصف إيران في حال فوزه، قال منافسه الديمقراطي وقتها باراك أوباما إنه سيعمل على جلب إيران إلى طاولة المفاوضات.

ومن الطبيعي أن قضايا كثيرة كانت تستخدم لشرح السياسة الأميركية تجاه إيران من قبل مرشحي الرئاسة الأميركيين للناخبين الأميركيين إن القضية الأساسية المطروحة اليوم هي حصول إيران على السلاح النووي، وما يثير الاهتمام ليس فقط الانتخابات الأميركية، ولكن نظام الانتخابات الإيرانية الذي يعمد إلى استخدام جميع الفضائح العالمية والمواقف العدائية من الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، للفوز بالأصوات.

في ظاهرة جديدة، اعتمد قادة الجمهورية الإسلامية أسلوباً جديداً لحشد الناس لما يعتبره بعض المراقبين أهم الانتخابات الإيرانية حتى الآن فبعد ٣٣ عاماً من الثورة، تعتبر الانتخابات البرلمانية الماضية مهمة جداً لأسباب كثيرة أولاً هذه الانتخابات البرلمانية هي أول انتخابات تجري بعد الانتخابات الرئاسية سيئة السمعة في صيف ٢٠٠٩ التي أحبطت الكثيرين من الناخبين، ويمكن لجموع الشعب أن يستخدموها كاستعراض قوي أمام كاميرات تلفزيون السلطة ثانياً هذه الانتخابات مهمة لأن مستقبل الجمهورية الإسلامية ربما يتشكل على يد أعضاء البرلمان الجديد المنتخب المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي الذي يتقدم في السن أعلن عن استعداده لتغيير الدستور لإلغاء دور الرئيس وتقليص مشاركة الناس في العملية الانتخابية مثل هذا الحلم الكبير يحتاج للدعم، وآية الله خامنئي بحاجة لإرسال مؤيديه إلى البرلمان لتحقيق هذا الحلم وكما يفعل المرشحون الرئاسيون في الولايات المتحدة بمهاجمة إيران في التصريحات العلنية لكسب تأييد حزبهم، يستخدم المرشحون الإيرانيون للبرلمان الآن الهجوم على الولايات المتحدة للفت انتباه ناخبيهم.

مناورتان عسكريتان في الخليج، إحداهما قام بها الجيش والثانية قام بها الحرس الثوري، ويستخدمهما النظام كأدوات لبعث القلق في نفوس الإيرانيين العاديين والحديث عن قدرة إيران على إغلاق مضيق هرمز واستعداد القوى الجوية لهزيمة العدو واستهداف أي هدف في منطقة الخليج نوع من الدعاية لجعل الناس يصدقون أن التصعيد بين إيران والولايات المتحدة قوي وأن الخطر حقيقي

التهديد بإغلاق مضيق هرمز رداً على حظر محتمل على النفط الإيراني هو إعلان حرب، ليس فقط على الغرب، ولكن على الدول المجاورة أيضاً يقول بعض المراقبين إننا يجب ألا نأخذ مثل هذه التهديدات على محمل الجد، لأن التهديد ليس إلا دعاية انتخابية في حقيقة الأمر، لكن الحرب الكلامية بين الولايات المتحدة وإيران قد تخرج عن حدود السيطرة وتصبح أكثر خطورة، وقد تتحول إلى أفعال إذا نفذ الاتحاد الأوروبي تهديده ونفذ الحظر على النفط الإيراني في نهاية يناير فماذا يمكن أن يحدث عند ذلك؟ مع إقرار العقوبات على البنك المركزي الإيراني تفقد العملة الإيرانية الكثير من قيمتها أمام الدولار الأميركي الذي وصل سعره إلى مستويات قياسية في تاريخ إيران الحديث والعقوبات على البنك المركزي تعني أن زبائن النفط الإيراني لا يستطيعون دفع قيمته إلى البنك المركزي وتقلص الاحتياطي الذي يملكه البنك من الدولار مما يضغط على الاقتصاد الإيراني بشكل كبيروما يعاني الآن من الاختناق ليس مضيق هرمز، لكنه الاقتصاد الإيراني الذي يعاني إلى حد كبير.

كانت منطقة الخليج العربي تمثل أهمية بالغة بحكم موقعها الجيو استراتيجي الغربي الذي يربط وسط آسيا مع غربها ومع بحر العرب والمحيط الهندى وأفريقيا عبر البحر الأحمر، واليوم بلغت ذروة أهميتها لكونها تسيطر على محيط نفطى لا حدود له يحوى حوالى ٧٣٠ مليار برميل وقد زادت الأهمية الإستراتيجية والنفطية للخليج العربي هذا المضيق وخلال الحرب الإيرانية العراقية التي دامت ثماني سنوات ١٩٨٠-١٩٨٩، هدد المسئولون الإيرانيون بإغلاق المضيق في وجه الملاحة الدولية ودار آنذاك ما يعرف بحرب الناقلات، وكانت ناقلات النفط الكويتي تتحرك تحت حماية أمريكية وكان للتهديدات الإيرانية ردود فعل عنيفة عبرت عن القلق والاهتمام الشديدين بهذا المرفأ البحري الدولي الذي لا غنى عنه للملاحة في الخليج العربي الذي يعتبر شرياناً لإمدادات النفط للعالم الصناعي.

خصوصًا بعد أن هدد هاشمي رفسجاني - رئيس الجمهورية الإيرانية آنذاك- رسميًا بإغلاق المضيق أو ضربه إذا حتمت الظروف، مشيرًا إلى أن إيران ليست في حاجة إليه.

واليوم ومع سخونة الملف النووي الإيراني إلى جانب تردي الموقف الأمني في العراق بسبب التدخل الإيراني ، وما يتسبب فيه ذلك من تكبد القوات الأمريكية هناك خسائر بشرية جسيمة، وبعد أن فرض مجلس الأمن الدولي عقوبات سياسية واقتصادية على إيران تبرز مرة أخرى قضية مضيق هرمز كورقة مهمة في لعبة المناورات السياسية والنفطية والاستراتيجية، خصوصًا في ضوء التصريحات النارية لرئيس إيران أحمدي نجاد ومرشد الثورة الإيرانية على خامنئي، ومع تكثيف التواجد العسكري البحري والجوي والبري الأمريكي في منطقة الخليج، والتهديدات الأمريكية المضادة، فإن الخيار العسكري ضد إيران غير مستبعد من قائمة الخيارات الأمريكية.

**خطة إيران للسيطرة على مضيق هرمز:**

تشير تقارير أجهزة المخابرات الغربية إلى أن إيران وضعت خطة من أجل الاستيلاء على المضيق وإغلاقه في أقصر وقت ممكن إذا ما نشبت حرب بينها وبين الولايات المتحدة معتمدة في ذلك على أن الحرس الثوري يمتلك ٧٠٠ موقع ميناء ومرسى وجزيرة ونقاط مختلفة، على طول الضفة الشرقية للخليج العربي، في أوقات الضرورة قد يستخدمها لأغراض عسكرية في اعتراض السفن الحربية والتجارية وناقلات النفط ومنعها من المرور في المضيق، وهو أمر بديهي إذا ما نشبت الحرب وذلك بواسطة ما يملكه من زوارق صواريخ ، أو عبر زرع الألغام البحرية على جنبات المضيق.

وكشفت إيران خلال المناورات البحرية التي أجرتها قوات الحرس الثوري والبحرية النظامية عن عدة تطويرات أجرتها على أنظمة التسليح البحرية، ترتبط معظمها، بخطط العمليات تجاه مضيق هرمز ففى المناورة الرسول الأعظم ١ التي جرت في مارس ٢٠٠٦ كشفت إيران عن تطوير الغواصة الصغيرة قادر التي بإمكانها القيام بعمليات إنزال مجموعات كوماندوز لمهاجمة قواعد وأهداف بحرية معادية بمساعدة تقنية من كوريا الشمالية، وفي هذه المناورة البحرية التي شارك فيها ١٧٠٠٠ عنصر من الحرس الثورى، ومتطوعي الباسيج والشرطة الإيرانية، إضافة إلى ١٥٠٠ سفينة وطائرة قتال ومروحيات وصواريخ، امتدت من أقصى شمال الخليج وحتى مدينة شاه بهار الساحلية جنوبًا وتقع على مسافة ٤٠ كم من بحر العرب، كشفت إيران عن الصاروخ بحر/ بحر (الحوت) الذي يمكن إطلاقه من قطع بحرية أو قواعد ساحلية، وهو مخصص لتدمير السفن الحربية والغواصات تحت الماء، ويسير بسرعة ١٠٠ متر/ ثانية- أي أربعة أضعاف سرعة أي سفينة حربية ، كما يمكن تفادى رصده ، وذكرت المصادر الإيرانية أنه يتفوق على الصاروخ الروسى المماثل شاكفاك- ٣المصنع عام ١٩٩٥، كما تم أيضًا اختبار إطلاق طائرة مائية لا يمكن رصدها بالرادار، وتستخدم في تنفيذ مهام ضد السفن المعادية هذا بالإضافة لاختبار صواريخ ساحلية تم تطويرها ذاتيًا في إيران مثل الصاروخ كوثر المضاد للسفن.

وفى مناورات الرسول الأعظم-٢ التي جرت في أكتوبر ٢٠٠٦، اختبرت بحرية الحرس الثوري الإيراني أنواعًا مختلفة من صواريخ ساحلية (أرض / بحر)، وصواريخ بحرية (بحر/بحر) بينها الصواريخ (كوثر، نور،ونصر) حيث أعلن مسئولون عسكريون إيرانيون عن زيادة مدى هذه الصواريخ من ١٢٠ كم إلى ١٧٠ كم لتغطي منطقة الخليج كلها وبحر عمان، بحيث أصبحت كلها تحت السيطرة البحرية الإيرانية.

## الخطة الأمريكية لاستعادة السيطرة على هرمز :

وفى المقابل تشير تقارير مخابراتية إلى أن الولايات المتحدة أكملت استعداداتها لشن عملية عسكرية ضد إيران، ولم يبق سوى تحديد الموعد وقد أعدت الولايات المتحدة نفسها لهذه الضربة بعد أن حشدت مجموعتي حاملتى طائرات في الخليج قوامها ٣٥ قطعة بحرية، بينها حاملة الطائرات أيزنهاور والأخرى ستينس، وبذلك تضاعف حجم المقاتلات في الخليج إلى حوالى ١٥٠ مقاتلة، هذا بالإضافة لحوالي ٥٠ مقاتلة أخرى اف-١٥واف-١٦ في القواعد الأرضية بدول الخليج وتركيا، إلى جانب توقع إشراك ما لا يقل عن ٤٠ مقاتلة ب١و٢و٥٢، سوف تنطلق رأسًا من قواعدها الجوية في الولايات المتحدة وبريطانيا ودييجوجارسيا بالمحيط الهندى وقد أفادت مصادر أمريكية أن اتفاقًا تم إبرامه بين الولايات المتحدة وقطر لتوسيع قاعدة العديد العسكرية والمتمركز بها مقاتلات اف -١١٧ الشبح أما فيما يتعلق بالصاروخ كروز توماهوك-المطور فمن المتوقع أن يشارك في العملية الهجومية ضد إيران حوالى ٢٠٠ صاروخ يتم إطلاقهم من بارجتين أحدهما فيليبى سى والغواصة البكركي المتواجدتين بمياه الخليج ضمن مجموعتي حاملتي الطائرات، كما أدخلت القوات الأمريكية مؤخرًا إلى مياه الخليج غواصات جديدة غير مأهولة ومخصصة للاستخدام لمواجهة الألغام البحرية الإيرانية المتوقع زرعها في مضيق هرمز.

ومن المتوقع أن يكون تأمين مضيق هرمز ومنع إيران من إغلاقه أحد الأهداف الاستراتيجية للعملية العسكرية المتوقع أن تقوم بها الولايات المتحدة ضد إيران ذلك أن منع إيران من اللجوء إلى وسائلها العسكرية لشن عمل استباقي ضد القوات الأمريكية في المنطقة أو عمل انتقامي إذا ما أخذت القوات الأمريكية المبادرة بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران، سيكون في صميم أهداف ومهام القوات الأمريكية التي ستوجه الضربة الأولى

بمعنى أن أهداف هذه الضربة لن تكون قاصرة على قصف المنشآت النووية الإيرانية فقط، ولكن ستشمل أيضًا، وربما بتركيز أكبر وأولوية زائدة، قصف الأهداف التي تشكل وسائل الضربة الانتقامية الإيرانية، وهى قوات الحرس الثوري في مناطق تمركزه وقواعده البحرية التي تنتشر بها زوارقه الصاروخية وسفن إنزاله، إلى جانب قصف وحدات الصواريخ الباليستية شهاب - ٣ قبل أن تتحرك إلى مواقع إطلاقها، مع قصف هذه المواقع فور رصدها؛ ذلك لأن المنشآت النووية المخطط قصفها وتدميرها لا تشكل تهديدًا ملحًا ضد القوات الأمريكية في الخليج ولكن وحدات الصواريخ شهاب إذا ما تمكنت من الانتشار في مواقعها واستطاعت إطلاق صواريخها يمكن أن تشكل تهديدًا للقوات الأمريكية المتواجدة في قواعدها على الساحل الغربي من الخليج وضد الأهداف الاستراتيجية والسكانية في إسرائيل، كما يمكن أيضًا لوحدات الحرس الثوري سواء البحرية أو البرية أن تشكل بدورها تهديدًا خطيرًا للقوات الأمريكية والبريطانية المتواجدة في جنوب العراق إذا ما قررت طهران اكتساح جنوب العراق بواسطة الحرس الثوري مستندًا على عملائه وركائزه المتواجدة بالفعل هناك نفس الأمر من حيث خطورة التهديد إذا ما دفعت إيران بزوارقها الصاروخية لتدمير قطع بحرية أمريكية أو ناقلات نفط لإغلاق مضيق هرمز لذلك فإنه من المتوقع أن تعطي الخطة الأمريكية أولوية مطلقة لتدمير وحدات الصواريخ شهاب فور اكتشاف قواعدها وكذلك وحدات الحرس الثوري البحرية والبرية ووسائل عملها لحرمان إيران من استخدامها في عملياتها الانتقامية عقب ضرب منشآتها النووية.

وستقوم المقاتلات القاذفة القادمة من قواعدها في الولايات المتحدة وبريطانيا العملية العسكرية ضد إيران بتوجيه ضربات جوية ضد مواقع وحدات الصواريخ شهاب والحرس الثورى، وستصاحبها المقاتلات الشبح فتح ثغرة في نظام الدفاع الجوي الإيراني

خصوصًا مواقع الصواريخ أرض جو التي حصلت عليها إيران مؤخرًا من روسيا، كما ستخصص هجمة جوية لتدمير القوات البحرية والساحلية والبرية المتواجدة في قاعدة بندر عباس البحرية المسيطرة على مضيق هرمز، كذلك الوحدات الإيرانية المتواجدة في الجزر الأخرى المتحكمة في المضيق وبعد التأكد من تدمير الوحدات الإيرانية المتواجدة في القواعد البحرية والجزر المتحكمة في المضيق، ستسعى القوات الخاصة الأمريكية والمارينز إلى احتلال هذه القواعد والجزر بمنع الإيرانيين من إعادة احتلالها واستعادة السيطرة على مضيق هرمز وذلك من خلال القيام بعمليات إنزال بحري واقتحام جوي جزئي فوق هذه القواعد والجزر، تحت غطاء جوي كثيف وحماية بحرية حتى تتمكن القوات الأمريكية من تعزيز دفاعاتها داخلها كما ستوجه كاسحات الألغام لتنظيف الممر البحري داخل المضيق وعلى أجنابه من الألغام التي يفترض أن البحرية الإيرانية قد زرعتها لعرقلة المرور البحري داخل المضيق هذا إلى جانب تواجد خطة خاصة لتدمير الغواصات وسفن السطح بواسطة الصواريخ الأمريكية وقنابل وصواريخ الأعماق والغواصات غير المأهولة والموجهة عن بعد، إلى جانب الهجمات الجوية خصوصًا من جانب المروحيات المخصصة لاستطلاع وقتال الغواصات.

وفى مواجهة ما تراهن عليه إيران من إغراق سفينة حربية أمريكية كبيرة، وبما يحدث صدى دعائيًا عالميًا يقلص كثيراً من هيبة الولايات المتحدة على الساحة العالمية، وما قد يترتب على ذلك من حدوث خسائر بشرية جسيمة في أفراد البحرية الأمريكية قد تتعدى عدة مئات، فمن المؤكد أن ترد الولايات المتحدة على ذلك باستخدام أسلحة نووية تكتيكية ضد أكثر الأهداف السياسية والاستراتيجية الإيرانية أهمية، خصوصًا تلك التي تحوى رموز النظام الإيراني السياسية والعسكرية، حيث ستعتبرها واشنطن كارثة لا تقل عن كارثة تدمير الأسطول الأمريكى في بيرل هاربر في بداية الحرب العالمية الثانية، والتي كانت سببًا في دخول الولايات المتحدة الحرب آنذاك ضد اليابان، ثم ضربها بعد ذلك بقنبلتين نوويتين

**اغلاق هرمز كارثة عالمية:**

إن قرارًا إيرانيًا بإغلاق مضيق هرمز في حالة تعرضها لعملية عسكرية من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل أو كلاهما من شأنه أن يخلق كارثة اقتصادية عالمية لذلك فإن النظرة الإيرانية القائمة على إدراك أن عرض قدرتها على إلحاق أذًى بالمصالح الاقتصادية الأمريكية والغربية في مياه الخليج كفيل بردع واشنطن وغيرها عن التفكير بالخيار العسكري وكانت هذه الرسالة واضحة عندما أجرى الإيرانيون اختباراتهم على الصواريخ البحرية في منطقة مضيق هرمز وليست أية منطقة أخرى، مؤكدين أن إيران تريد أن تقول للغرب أن ضربتهم للمنشآت النووية الإيرانية سيقابله تحرك عسكري من قبلها ضد السفن المتجهة عبر مضيق هرمز، وأن إيران لديها القدرة التكنولوجية العسكرية على إلحاق أذى كبير بسفنهم وسفن حلفائهم في هذه المنطقة، ناهيك عن إيقاف ٢٠ - ٣٠ ناقلة نفط يوميًا، وبما سيؤدي إلى رفع أسعار برميل النفط لأكثر من ١٠٠ دولار، وما قد يترتب على ذلك من ارتفاع أسعار وسائل النقل والمنتجات الاستهلاكية المصنفة أضعاف ما هي عليه حاليا، وتتسبب في كارثة اقتصادية واجتماعية ستعاني منها الدول الكبرى والصغرى على السواء، أشبه بأزمة الكساد العالمي في ثلاثينيات القرن الماضى التي كانت من أسباب نشوب الحرب العالمية الثانية.

إن التكتيكات البحرية الإيرانية التي أظهرتها المناورات التي جرت في ربيع وخريف عام ٢٠٠٦، والمتمثلة في شن حرب عصابات بحرية تعتمد على قوارب صغيرة وسريعة مسلحة بصواريخ بحر/ بر جوالة أو طوربيدات أو راجمات صواريخ كاتيوشا ومدافع رشاشة من أجل شن هجمات كروفر سريعة ضد سفن حربية أمريكية كبيرة (حاملات طائرات -مدمرات صواريخ - فرقاطات - سفن إمداد)

وضد ناقلات نفط وسفن تجارية، من أجل إعادة حركة الملاحة وانهاك القوات البحرية الأمريكية والغربية المجهزة للحروب التقليدية وليس لمواجهة حروب العصابات البحرية، هذا إلى جانب شن هجمات ضد أهداف بحرية عدة، ناهيك عن قدرة الصواريخ الجوالة وسيلك وورم التي يصل مدى بعضها إلى ١٢٠ كم، بما يمكنها من توجيه ضربات بهذه الصواريخ ضد منشآت استراتيجية على طول سواحل دول الخليج العربي فإذا ما نجحت هذه التكتيكات البحرية الإيرانية في تدمير وإغراق قطعة بحرية أمريكية كبيرة وربما ترد عليه الأخيرة باستخدام أسلحة نووية ضد إيران، بما يقضي نهائيًا على النظام الحاكم في إيران ويكبد الشعب الإيراني خسائر بشرية ومادية جسيمة قد لا يستطيع تجاوز آثارها إلا بعد خمسين عامًا، فإن ذلك يعنى تلوث منطقة الخليج - أراضى وأجواء ومياه وبيئة وبشر بالإشعاعات النووية لفترة طويلة من الزمن، بما يؤثر سلباً وبعمق على جميع مكونات البيئة في الخليج لعدة سنوات.

**البدائل النفطية لو أغلق هرمز:**

فى خطوة منها لتفادي حدوث أي نقص لديها في النفط عملت الولايات المتحدة على زيادة مخزونها النفطي بشكل هائل، بما يكفي لأكثر من ٢٠ شهرًا إضافيًا وهذا ما يفسر ارتفاع أسعار النفط لأكثر من ٧٠ دولار للبرميل ثم تراجعها إلى ٥٥ دولار وتسعى واشنطن إلى تشجيع أطراف دولية أخرى مثل دول بحر قزوين وشمال أوروبا وأمريكا اللاتينية، إضافة إلى روسيا لزيادة استثماراتهم في عمليات التنقيب عن النفط واستخراجه لتقليل الاعتماد على نفط الخليج والمعروف أن الكونجرس الأمريكى كان قد أصدر قانوناً منع فيه الإدارة من استيراد أكثر من ١٥% من احتياجات أمريكا النفطية من مصدر واحد.

كما تبنت دول الخليج العربي المصدرة للنفط خطة طوارئ لتطبيقها في حالة إغلاق الملاحة في مدخلي الخليج والبحر الأحمر وهذه البدائل لم تكن وليدة البارحة بسبب تصاعد المخاطر الجيوسياسية في المنطقة نتيجة صراع محتمل بين الولايات المتحدة وإيران، إنما وضعت على مدار أكثر من عقدين، واعتمد وزراء النقل في الدول الست الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي مشروع خطة الطوارئ عبر منافذ دول المجلس في حالة إغلاق منفذى مضيق هرمز وباب المندب، ينقل النفط عبر خطوطً أنابيب إلى الدول المجاورة .

ويؤكد الخبراء أنه لكي تحافظ الأسواق على استقرارها في حالة نشوب صراع مسلح بين الولايات المتحدة وإيران يؤدي إلى إغلاق مضيق هرمز، ينبغى تزويد الأسواق العالمية بـ ١٨ مليون برميل من النفط يوميًا مشيرين إلى أن السعودية، أكبر منتج للنفط في العالم، يمكنها أن تستخدم طريقًا بديلاً للتصدير يتمثل في أنبوب نفط لا يستخدم كثيرًا في الوقت الحالي تبلغ طاقته ٥,٥ مليون برميل يوميًا ويمتد عبر المملكة إلى جدة، وهناك أيضًا خط أنابيب للتصدير بطاقة ١,٦ مليون برميل يمتد من العراق عبر السعودية، إلا أنه لم يستخدم منذ غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠، وللعراق كذلك خط أنابيب لتصدير النفط بطاقة ١,٢ مليون برميل يوميًا يمتد من الشمال الغربي عبر تركيا إلى ساحل البحر المتوسط ومن البدائل الأخرى لجوء السعودية والإمارات إلى إنشاء خط أنابيب عبر شبه جزيرة مسندم العمانية يقطع عمان إلى بحر العرب إلا أن آخرون يؤكدون أن جميع هذه البدائل، بما فيها البديل الأخير الذي من غير المرجح تنفيذه كما يقول الخبراء، لا تفي باحتياجات الأسواق العالمية البالغة ١٨ مليون برميل يوميًا يتم تصديرها من المنطقة عبر مضيق هرمز.

بلا شك أنه إذا ما أغلق مضيق هرمز بسبب عمليات عسكرية متوقعة بين الولايات المتحدة وإيران، فإن ذلك سيجعل دول العالم جميعًا - المنتجة للنفط والمستهلكة له على السواء- مخنوقة اقتصاديًا واجتماعيًا، حيث سيكون من الصعب على الدول المنتجة للنفط أن تستخدم البدائل المشار إليها آنفًا في تعويض ما ينقل عبر مضيق هرمز من نفط يصل إلى ١٨ مليون برميل يوميًا، وبالسرعة المطلوبة في حالة إغلاق المضيق، خصوصًا الدول التي لا تملك مخزونًا استراتيجيًا من النفط وتعتمد عليه في تسيير عجلة الصناعة بها، مثل الصين والهند واليابان وكوريا وغيرها، بعكس الولايات المتحدة وأوروبا التي لديها احتياطي استراتيجي من النفط يكفيها ١٢٠ يوماً.

وإذا ما تم إغلاق مضيق هرمز فإن الآثار السلبية لذلك ستلحق بإيران بقدر أكبر مما سيلحق بالدول العربية المنتجة للنفط لأن إيران تعانى بالفعل من مشاكل نفطية تتمثل في قرب نضوب حقولها النفطية التي تنتج حالياً حوالى ٤ مليون برميل بأقل ٣٧٠ ألف برميل عن حصتها المخصصة لها من الأوبك ويقدر لذلك عام ٢٠١٥هذا إلى جانب سوء حالة المنشآت النفطية التي لا تجد استثمارات كافية لصيانتها وتحديثها بسبب العقوبات الدولية المفروضة على إيران، وهو ما يجعلها تعتمد أكثر على تصدير الغاز الذي تضخ منه ٨٠ مليار متر مكعب سنويًا في السوق العالمية، وهو ما يمثل نحو ٣% من إجمالى الصادرات العالمية من الغاز بما انعكس في اعتماد إيران على استيراد ٤٠ %من احتياجاتها من البنزين من الخارج لعدم وجود قدرات تكرير كافية لديها، ناهيك عن تزايد الاستهلاك الداخلى من النفط، والذي يصل إلى ١,٥ مليون برميل يوميًا فإذا أضفنا إلى كل ذلك أنه في حالة إغلاق إيران لمضيق هرمز بسبب العمليات العسكرية، أن رد الفعل الأمريكي سيتمثل في قصف حقول النفط ومنشآته وموانئ تصديره في إيران، بل وأيضًا خطوط نقله إلى الخارج.

فإن ذلك سيضاعف حجم الكارثة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة لإيران، وهو ما ينبغى عليها إزاءه أن تتجنب تصعيد المواجهة القائمة بينها وبين الولايات المتحدة، وحل الأزمة الناشئة بينهما بالوسائل السلمية، والتوقف عن سياسة إيران المعروفة بالوصول بالأزمة إلى حافة الهاوية ثم التراجع تدريجيا،لأن هذا الأسلوب قد لا ينجح في كل مرة، وقد لا تحمد عقباه إذا ما انفلت زمام السيطرة على الأزمة من أي جانب إذا ما دخل العامل العسكري فيها. وعن النفط الليبي فقد يكون البديل في حال إغلاق مضيق هرمز

وجدير بالذكر أن سوق النفط العالمى يترقب وسط حالة من التوتر رد فعل طهران إزاء القرار الأوروبي ، حيث هددت السلطات الإيرانية مراتٍ عدة بإغلاق مضيق هرمز الذي يُنقل من خلاله حوالي ٢٠% من النفط العالمي يومياً.

وكان تقرير صادر عن ساكسو بنك قد ذكر أن الحكومات الغربية التي تتزعمها بريطانيا وأمريكا بإمكانها الإبقاء على مضيق هرمز مفتوحاً أمام الملاحة وأنها ستبذل قصارى جهدها لضمان المرور الآمن للنفط الذي تنتجه دول الخليج العربي.

وأشار التقرير إلى أن أوروبا تستورد حوالي ٤٥٠ ألف برميل يومياً، وسوف يتعين على الدول المستوردة الرئيسة مثل اليونان وإيطاليا وإسبانيا البحث عن موردين آخرين للنفط، ومن الطبيعي أن تتحول الأنظار إلى النفط الليبي، حيث استمرت صادرات النفط في الارتفاع بشكل ثابت ويرجح التقرير أن المسئولين الإيرانيين سوف يكون عليهم التصرف بعناية شديدة الآن حيث أظهر المجتمع الدولي بوضوح تصميمه، وهم يعلمون أن أي محاولة من جانبهم لإغلاق مضيق هرمز من شأنها أن تؤدي على الأرجح إلى ارتفاع مدمر لأسعار النفط.

الأمر الذي يُلحق ضرر بالدول المستهلكة ومن بينها الصين، التي تعد أكبر مستهلكي النفط الإيراني وقد تبين أن الإعلان أحدث تأثيراً محدوداً على الأسعار وأن هناك حاجة إلى تصعيد جديد لتحرك الأسعار نحو مزيد من الارتفاع واستمر المضاربون في زيادة صافي مراكزهم الطويلة في السوق بسبب ارتفاع المخاطر الجيوسياسية، ومن المفيد توضيح أسباب عدم إحداث إعلان الاتحاد الأوروبي لسلسلة جديدة من العقوبات ضد إيران زيادة كبيرة في أسعار النفط بصفة مبدئية.

بيْد أنه خلال الأيام والأسابيع القادمة، سوف يترقب السوق وسط حالة من التوتر التحرك التالي من جانب إيران وفي حالة ما أدى ذلك إلى نزاع عسكري، وهو أمر غير محتمل، فإن أسعار النفط يمكن أن ترتفع إلى مستويات أعلى بمعدل يتراوح بين ٢٠ و٤٠ دولاراً للبرميل بناءً على مدى تأثر حركة الملاحة الحرة في مضيق هرمز.

وأختتم التقرير مشيراً إلى أنه إذا طال أمد هذا الارتفاع، فإنه سوف يؤدي دون شك إلى رفع نطاق الركود العالمي من مستويات عام ٢٠٠٨ إلى مستويات عام ٢٠٠٩، ويمكن أن يتأثر الطلب على النفط تأثراً خطيراً، مما يترتب عليه زيادة مخاطر انهيار الأسعار والتي لا يرغب فيها أحد، وعلى وجه الخصوص المملكة العربية السعودية، في هذه المرحلة.

# الباب السادس
# استراتجيات مثلث الصراع

## استراتيجية طهران:

إن إيران تحاول أن تحظى بتعاون عدة دول تقع على الهامش الاستراتيجي الجغرافي للمنافسة بين الولايات المتحدة وإيران من أجل خلق شبكة من العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية أو الشركاء الذين يستطيعون أن يقللوا من آثار العقوبات الدولية الموقعة على إيران ويقاومون المحاولات الغربية للحد من طموحاتها الدولية وهؤلاء الشركاء على تلك الأطراف الجغرافية يقعون بصورة أساسية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ويعملون أيضًا كأسواق بديلة للنفط الإيراني ويوفرون غطاءً دبلوماسيًّا للجهود النووية الإيرانية ويساعدون إيران في استحواذها على البضائع المحظورة عليها طبقًا للعقوبات الاقتصادية الدولية والاستراتيجية الإيرانية تعمل بعيداً عن أيدلوجيتها الدينية من أجل هدف إنشاء تحالف من الدول غير الغربية أو المعادية للغرب تكون قادرة على التأثير في محددات التنافس بينها وبين الولايات المتحدة(١)، وتلك الدول تعِدُها إيران بالمساعدات الاقتصادية في مجالات الطاقة كما تستمر في وصف عزلتها الحالية على يد الولايات المتحدة والغرب بأنها استمرار للإمبريالية الغربية، وتعتمد على كونها من دول حركة عدم الانحياز لاستدرار الدعم من الدول الفقيرة والمحبطة في القارتين الأفريقية واللاتينية والتي لها مظالم مع النظام الغربي ودوله الكبرى وطبقًا للقادة الإيرانيين فإن المنافسة الإيرانية مع الولايات المتحدة وحلفائها لا تعتبر مجرد مسابقة بين الدول، ولكن صراع بين الرؤى العالمية للفريقين، فالولايات المتحدة تمثل دولة مستغلة في حين تقدم إيران نفسها على أنها توفر الوعود بنظام بديل يؤدي إلى احترام سيادة الدول ومصالحها وخاصة الدول النامية منها، فقد تحدث الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد للجماهير في نيجيريا عام ٢٠١٠ ودعاهم إلى انفصال حاسم مع النظام العالمي الحالي الذي تسيطر عليه الدول الغربية.

قائلاً: يجب علينا أن نطور التعاون المثمر بين الدول النامية من أجل انتشال أنفسنا من هيمنة القوى الغربية، وهذه الجهود مستمرة في الدول النامية المستقلة اليوم، يجب علينا أن ننشئ منظومة عمل جماعية برؤية تهدف إلى إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد مستقل تمامًا يعتمد على العدل والمساواة وبالرغم من أن معظم الدول التي تحاول إيران التعاون معها هي دول فقيرة اقتصاديًّا وضعيفة عسكريًّا، إلا أن طهران بسطت شبكة واسعة تحاول من خلالها أن تبني منظومة من الشركاء لموازنة الثقل الغربي وهيمنته على النظام العالمي، كما تهدف إلى أن تكون مركزًا للكتلة غير الغربية وإلى إضعاف النفوذ الأمريكي على إيران عبر العالم النامي وقدرة الولايات المتحدة على مقاومة تلك الجهود الإيرانية لتوسيع شبكتها في تلك الدول تكون في أشد حالاتها في الدول التي تستفيد بصورة أكبر من المساعدات الأمريكية، كما أن التحول الإيراني إلى دول الأطراف يحمل في طياته إمكانية إضعاف المحاولات الأمريكية لاحتواء وعزل إيران، فبالرغم من أن شبكة طهران شبكة هشة إلا أنها قد تكون خادعة.

إن أول ما يلفت النظر فى تأمل السلوك الاستراتيجى الإيرانى فى الإقليم، هو هذه القدرة على التخطيط لإستراتيجيات متعددة وانفاذها جميعا بالتوازى والتزامن وفق نمط من التفاعل والارتباط بينها، من أجل تعزيز قدرات إيران كدولة إقليمية مسيطرة فى النموذج العراقى، فان لإيران مصلحة وهدفا ثابتا فى منع هذا البلد من التحول مرة أخرى إلى دولة قوية تناطح إيران وتحد من قدرتها على مد نفوذها وتحقيق أهدافها فى الإقليم العربى، وذلك هو أبرز ما تعلمته إيران واستنبطته من الحرب العراقية الإيرانية إيران تحرص على أن لا يصل إلى حكم العراق، أية قوى الآن أو مستقبلاً ذات موقف معاد لها ،أو ذات رؤى واستراتيجيات طموحة تعمل من أجل قوة العراق ،أى أن إيران تأخذ بالفكرة القائلة إن ضعف دولة الجوار إنما يعنى قوتها هى، وأن قوة دولة الجوار يحولها إلى دولة تهدد إيران

ورغم وضوح الفكرة لدى المتابعين ،إلا أن الإستراتيجية الإيرانية اتسمت بالغموض فيما يتعلق بطبيعة الموقف الإيرانى من قوة الاحتلال الأمريكية فى العراق ومن القوى العراقية التى تتعاون معها إيران فى داخل العراق،إذ لا نجد أية تصريحات سياسية وإعلامية إيرانية على نفس درجة الوضوح كنظيرتها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية وإذا كان مفهوما سبب إحجام إيران عن الإعلان عن القوى الداخلية العراقية التى تتعاون معها، باعتباره نمطاً من التحوط يراعى ضرورة عدم الظهور بمظهر المتدخل فى الشأن العراقى بسبب الحساسيات التاريخية بين البلدين حرب الخليج الأولى، فان عدم وضوح الموقف الإيرانى من الاحتلال الأمريكى للعراق على نحو رسمى فعال- هو أمر تتعدد بشأنه الاحتمالات لدى المحللين والخبراء الاستراتيجيين وهناك رؤية بان إيران ركزت على انتقاد النظام السابق والتشهير به فى وسائل إعلامها ودعاياتها، لإيجاد مساحة تماس مع الاحتلال الأمريكى دون إعلان من خلال التركيز على نفس العدو، وفى ذلك حققت إيران فتحا لمساحة سياسية وإعلامية دون إعلان أيضا للقوى المتعاونة معها فى داخل العراق، على اعتبار أن أخطر ما يواجههما معا هو تلك القوى التى كانت تحكم العراق، ولذلك كان الخوف من انبعاث النظام السابق أو من وصول قوى أخرى معادية لإيران إلى سدة الحكم، هو ما يواجه ويضعف القوى المتعاونة مع إيران .

وهناك رؤية، أن هذا الغموض إنما يأتى نتيجة لتقديرات إيران لطبيعة القوى التى تتعاون معها داخل العراق، إذ هى قوى متعددة تختلف مع بعضها البعض أيضا، من حيث الرؤية للاحتلال وللحكم فى العراق ولطريقة التعاون أو الصراع مع القوى الأخرى فى العراق، ومن ثم فان أى وضوح جماهيرى للموقف الإيرانى قد يتسبب فى مشكلات حقيقية بين هذه القوى وبعضها البعض، كما يضعف إمكانيات استفادة إيران من كل القوى فى ذات الوقت، لتحقيق أهدافها الاستراتيجية

وفى استطلاع السلوك الرسمى الإيرانى خلال التعامل مع قضايا وملفات السياسة الخارجية، يلفت النظر أن إيران تتبع استراتيجية الهجوم الدائم حتى لو كانت بصدد التراجع أو الالتفاف والمناورة، وأنها فى ذلك تمزج بين المواقف السياسية والإعلامية والاستعدادات العسكرية من خلال الاستعراضات المكثفة لعناصر قوتها الرادعة أو الهجومية أو من خلال الإعلان عن تطوير أسلحة هجومية جديدة ..الخ .

كما يلفت النظر أن الاستراتيجية الإيرانية هى حالة مركبة فى التوجهات وإدارة المعارك على الجبهات المتعددة وفى ذلك نراها تأخذ فى لبنان موقفا واضحا وقاطعا فى اتجاه محدد (حالة حزب الله)، بينما تأخذ بمواقف أخرى واتجاهات تتسم بالغموض على نحو ما فى استراتيجيتها فى العراق وأفغانستان، أو على الأقل هى تحرص فى تلك الحالتين على عدم كشف نمط استراتيجيتها وطبيعة القوى الداخلية التى تتعامل معها (على خلاف حالة حزب الله) وكذا يلفت النظر، أن السياسة الإيرانية تقوم فى الأساس على الاقتراب من الخصم والالتصاق به من خلال حالة صراع ووفق حالة تفاعل، إذ إيران فى واقع الحال منخرطة فى صراعات فى العراق وأفغانستان بالقرب والتماس مع الاستراتيجية والوجود العسكرى الأمريكى والأطلسى، وكذا الحال من ناحية الفهم العام فى تعاملها مع إسرائيل ،إذ هى منغمسة فى صراع من نمط آخر ولكن عن قرب - لا عن بعد - من خلال علاقاتها ودورها مع حزب الله وحماس والجهاد وغيرها ..الخ .

وتأتى أهمية عرض تلك التأملات فى قضايا الاستراتيجية الإيرانية الآن من دخول إيران منعطفات جديدة فى سياستها الخارجية فى المرحلة الراهنة، سواء بحكم الحوار المتأرجح بينها وبين الولايات المتحدة، أو بحكم أنها صارت فى وضع الاستعداد لمواجهة التطورات التى جرت فى إسرائيل منذ وصول اليمين الأشد تطرفا إلى الحكم، وإعلاناته واستعداداته لقصف إيران

وهو ما يطرح طبيعة التغييرات التى ستدخل على السلوك الاستراتيجى الإيرانى، وما إذا كانت تغييرات خارج السياق الذى رأينا إيران عليه من قبل، أم أنها تغييرات فى اللهجة والسلوك الإعلامى أكثر منها تغييرات فى الرؤى والسلك الاستراتيجى؟ أكد تقرير صادر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن إيران زادت عدد أجهزة الطرد المركزي لديها إلى ما يقرب من ٥ آلاف جهاز وباتت تمتلك من اليورانيوم ما يكفيها لصنع قنبلة نووية.

وقال التقرير أن إيران زادت معدل إنتاجها من اليورانيوم منخفض التخصيب، مما عزَّز مخزونها من هذه المادة بحوالي ٥٠٠ كيلوجرام خلال الأشهر الستة الماضية، ليصل إلى ١٣٣٩ كيلو جرام، وهذه الكمية تتجاوز ما يلزم لإنتاج قنبلة ذرية واحدة ويقول الخبراء والمحللون أن كمية تتراوح ما بين ١٠٠٠ و١٧٠٠ كيلو جراما من اليورانيوم خفيف التخصيب تكون كافية لصنع قنبلة نووية واحدة

يُذكر أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد كان قد أعلن في يوليو الماضي أن بلاده تملك ما بين ٥ و٦آلاف جهاز طرد مركزي .

قالت وكانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مايو من عام ٢٠٠٨ أن إيران تمتلك ٣٥٠٠ جهاز طرد مركزي، بينما أشار مسئول رفيع في الأمم المتحدة في ذلك الوقت إلى إمكانية تحقيق إيران لهدفها المتمثل في امتلاك وتشغيل ٦ آلاف جهاز طرد مركزي وقد تجاهلت طهران قرارات الأمم المتحدة التي دعتها لإيقاف أنشطة تخصيب اليورانيوم، مؤكدة أن برنامجها مخصص للأغراض السلمية فقط وفي تقرير منفصل بشأن سورية، قالت الوكالة الدولية إنه تم العثور على جزيئات يورانيوم من صنع بشري في مركز أبحاث في العاصمة السورية دمشق .

وفي تقريرها السري، الذي حصلت على نسخة منه، قالت الوكالة إن اليورانيوم الذي تم العثور عليه هو من نوع لم تتضمنه المواد النووية التي كانت سورية قد أعلنت عنها سابقا .

وتحقق الوكالة الدولية في تقارير استخباراتية أمريكية تزعم أن سورية كانت قد فرغت تقريباً من بناء مفاعل نووي من تصميم كوري شمالي كان قادرا على إنتاج البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه في تصنيع الأسلحة، وذلك قبل أن تقوم الطائرات الصهيونية بقصفه في عام ٢٠٠٧ ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مصدر لم تكشف عن هويته أن الوكالة الدولية لم تلاحظ تقدماً يُذكر في الملفين النوويين لكل من إيران وسورية وأضاف المصدر المقرب من الوكالة قائلا: هناك تقدم طفيف جداً بشأن إيران، والأمر نفسه بالنسبة لسورية.

منذ أن قامت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وتتعدد ملفات السياسة الخارجية الإيرانية بين قضايا إقليمية ودولية وعلاقات خارجية مع دول الجوار أو القوى الدولية, ورغم ذلك إلا أن القضية النووية والعلاقات مع الغرب خاصة الولايات المتحدة ما تزال من أهم قضايا السياسة الخارجية لإيران وتسعى القيادة الإيرانية دائمًا إلى وضع خطوط حمراء وثوابت جامدة حول هذه القضايا وذلك بزعم أن قضايا مثل الملف النووي وعدم إقامة علاقات مع الولايات المتحدة إنما تمثل مطلبًا لا يمكن التنازل عنه ليس للقيادة الإيرانية وإنما للشعب الإيراني.

فى الصراع أو المواجهة مع إسرائيل - عبر لبنان وفلسطين -يبدو الموقف الإيرانى مختلفا ، إذ تعلن إيران صراحة عن دعم حزب الله فى لبنان وفصائل المقاومة فى فلسطين على نحو لا يقبل الغموض ولا اللبس إلى درجة الدعم العسكرى والمالى وفى محاولة فهم الاستراتيجية الإيرانية تلك وأسباب اختلافها عن مثيلتها بشأن العراق وأفغانستان.

فإننا أمام قضية تحقق قدراً واسعاً من الشعبية فى العالم العربى، خاصة فى ظل تراجع النظم والحكومات العربية عن الاهتمام والدعم لقضية المقاومة، وهو وضع يمثل أساسا لإفشال محاولات تعبئة الرأى العام نحو موقف مضاد لإيران فى المنطقة، كما هو يضعف الانتقادات الموجهة لإيران بسبب دورها فى العراق وأفغانستان وهناك رؤية بأن إيران ترى أن هذا الدعم لفصائل المقاومة يحقق لها دورا ووجودا ووضعا هجوميا سواء فى العالم العربى وفى داخله أو فى المواجهة الجارية مع الغرب،وهى رؤية تصل حد القول بأننا أمام استراتيجية إيرانية هجومية فى اتجاهين احدهما فى اتجاه اختراق الامن القومى العربى ارتباطا مع استمرار احتلال الجزر الاماراتية والتهديدات المتقطعة باحتلال البحرين، والتحول إلى دولة قائدة فى القضية المركزية للعالم العربى - أى فلسطين- وفق رؤية التحول إلى دولة قائدة فى أهم مفاصل الصراعات الجارية فى المنطقة،والاتجاه الثانى هو إتجاه هجومى نحو الغرب، عن طريق الضغط المكثف على أهم قاعدة غربية فى المنطقة وحصارها ودفع الغرب إلى التفاوض حول الدور الإيرانى فى الإقليم والمهم ، هو أننا أمام استراتيجية ايرانية عامة تنتظم فيها استراتيجيات متعددة فى مناطق ذات ظروف وصراعات متنوعة، ووفق أهداف محددة تصب فى المصلحة الاستراتيجية لإيران، وهو ما يشير إلى وجود عقول مخططة على مستوى من الكفاءة غير مسبوق انتظامها فى هيكل قيادى للتخطيط والإدارة الاستراتيجية للأزمات، إذ ذلك هو ما مكن من إدارة كل هذه الملفات– وغيرها- من أجل تحقيق أهداف إيران العليا ولذلك يبدو مهما الإشارة إلى تصريح ناعم وخطير فى الآن ذاته أطلقه الرئيس الإيرانى مؤخرا إذ قال إن إيران مستعدة للمساهمة فى حل مشكلات العالم

## الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه النووي الإيراني:

الواضح عبر متابعة الإستراتيجيات والتقديرات والتصريحات والتطورات الأمنية العسكرية، أن المؤسسة الإسرائيلية لا تنام بخصوص مسألة النووي الإيراني، وهذه المسألة ليست إعلامية أو ملهاة،وإنما في منتهى الجد الإسرائيلى، حيث أنهم في إسرائيل يعتقدون أن إيران تكن عداء حقيقيا إستراتيجيا للوجود الإسرائيلى ناهيكم عن أن الإستراتيجيات الإسرائيلية منذ البدايات لا تسمح من وجهة نظرهم لأي دولة إقليمية بالتعاظم أو بناء قدرات إستراتيجية يمكن أن تشكل تهديدا لهم ونظريات ابن جوريون وبيجن وديان في هذه المضامين الأمنية الإستراتيجية، وكما في كل عام -منذ انعقاده الأول في ٢٠٠٠- يلقي مؤتمر هرتزليا للأمن والمناعة القومية، الضوء على الرؤية الأمنية الإسرائيلية، ويعكس إلى حد ما توجهات دائرة صنع القرار على الصعيد الأمني والسياسي الذي يعتبر الأمن مركبا هاما فيه، لذلك تعتبر التصريحات والرؤى الصادرة عنه بمثابة نظريات إستراتيجية تعتمدها وتتبناها المؤسسة الأمنية والحكومة الإسرائيلية، وقد عكف المؤتمر في دوراته الأخيرة على التركيز على النووي الإيراني بوصفه التهديد الأول لوجود إسرائيل وفي هذا المعنى كان رئيس جهاز المخابرات (الموساد) مئير دجان أعلن أن إيران سيكون بحوزتها قنبلة نووية عام ٢٠١٤ واعتبر ذلك تهديداً يجب إبعاده (١) وبينما يشير الخبير العسكري إيتان هابر في يديعوت أحرونوت(٢) إلى أن القنبلة الإيرانية ووجود دولة إسرائيل أهم البنود على جدول الأعمال، ويعلن الجنرال أفرايم سنيه في هآرتس أنه ليس بإمكان إسرائيل أن تقبل بوجود سلاح نووي تحت سيطرة نظام يلتزم أيديولوجيا بإبادتها يأتي الجنرال بنيامين بن أليعازر

ليطلق تهديداً بالإبادة قائلاً: إذا تعرضت إسرائيل لهجوم سنزيل إيران عن الخارطة. .

وفي البعد النووي والتهديدات الإستراتيجية لوجود ومستقبل إسرائيل تستحضر دائما الأدبيات الإسرائيلية، فكان الجنرال موشيه ديان أكثر من تحدث في نظريات الأمن الإستراتيجي ودرج على القول: إن هناك حدوداً لعدد الدبابات التي تستطيع إسرائيل استيعابها، وبالتالي يجب على إسرائيل أن تتبنى إستراتيجية تقوم على أساس الردع النووي المشترك مع مبدأ استخدام القوة العسكرية التقليدية وهذا ينسجم مع الخط الذي أكده مناحيم بيجين رئيس وزراء إسرائيل سابقاً إن إسرائيل يجب أن تبقى مالكة مفتاح التفوق العسكري، وخاصة التفوق النووي عن طريق منع أي دولة في الشرق الأوسط من امتلاك أو تطوير السلاح النووي وقال عقب تدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ نحن لن نقبل بأي شكل من الأشكال أو شرط من الشروط أن يقوم عدونا بتطوير سلاح دمار شامل ضد شعبنا أما بن جوريون أول رئيس لوزرائهم فقوله المشهور في هذا الصدد إن الكيان الإسرائيلي يوجد ويعيش في حالة خطر دائم، ولذلك لا بد من إفراز الحلول اللازمة والضرورية للحفاظ على وجود ذلك الكيان وحمايته واستمراره في وجه الأخطار المحدقة به لذلك فقد ربط قادة إسرائيل خيار الردع النووي بالأمن الإسرائيلي الشامل، وإستراتيجية السيطرة على الشرق الأوسط وتفكيك الملفات العربية.

فمنذ البداية كان بن جوريون قد أشار في تقرير قدمه أمام المجلس العالمي لعمال صهيون عام ١٩٣٧ إلى الأهداف الإستراتيجية الصهيونية بعيدة المدى في المنطقة حيث قال إن الدولة اليهودية المعروضة علينا بالحدود الحالية على يد اللجنة الملكية البريطانية آنذاك لا يمكن أبداً أن تكون الحل المنشود لمسألة اليهود، ولا هدف الصهيونية الذي سعت إليه طويلاً، حتى لو أجريت على هذه الحدود بعض التعديلات الممكنة واللازمة لصالحنا إلا أنه يمكن قبولها بوصفها المرحلة الأولى والأساسية التي تنطلق منها تتمة مراحل تحقيق الوطن الصهيوني الأكبر، وذلك عن طريق بناء قوة يهودية جبارة فيها، وبأقصر وقت ممكن.

ثم احتلال باقي مناطق مطامحنا التاريخية كلها(١)والبروفيسور الإسرائيلي المناهض للصهيونية إسرائيل شاحاك كان خير من شرح الإستراتيجية الصهيونية(٢) حيث قال إن الهدف الرئيسي للسياسة الإسرائيلية هو السيطرة الإقليمية على الشرق الأوسط بأكمله والمخطط الإسرائيلي هو تحييد الفلسطينيين والسيطرة التامة عليهم، حتى تتفرغ إسرائيل لتحقيق أهدافها الحقيقية، والسيطرة على الشرق الأوسط أكثر أهمية في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي ومن أهم وسائل إسرائيل في تنفيذ مخططاتها هو النفوذ الإسرائيلي على السياسات الأمريكية وعن الأسلحة الإستراتيجية أضاف شاحاك إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لأي دولة في الشرق الأوسط بتطوير إمكانيات نووية، وتعطي لنفسها الحق في استخدام ما تراه مناسباً من وسائل لمنع مثل هذا الاحتمال حتى تظل في وضع احتكار السلاح النووي وامتلاك الرادع النووي دون منازع وجاء في قراءة ما بين سطور الإستراتيجية التي كان أعدها باراك في حينه أن إستراتيجية إسرائيل لعام ٢٠٢٠ ترفض الاندماج بالمحيط وتعتمد التفوق التكنولوجي لذلك,وعلى طريق تحقيق الأجندة الإستراتيجية الإسرائيلية في السيطرة على الشرق الأوسط، وزعت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية المنطقة إلى دوائر أطلقت عليها دوائر التهديد الإستراتيجي لإسرائيل لتسهيل مهمة تفكيكها والسيطرة عليها، وهي:

- الدائرة الفلسطينية التي تعمل إسرائيل على تفكيكها أولا.
- الدائرة العربية المحيطة بالدولة الإسرائيلية.
- دائرة الدول الأبعد قليلاً مثل إيران والعراق وليبيا وباكستان... إلخ.
- الدائرة الدولية بكافة امتداداتها وتأثيراتها على معادلات وموازين القوى في المنطقة(١) وفي إطار التعامل الإسرائيلي مع دوائر التهديد أخذت المؤسسة الإسرائيلية تركز بعد أن فككت أهم الملفات العربية الكبرى، وحيدت معظم التهديدات الفلسطينية والعربية المحتملة في الدائرتين الأولى والثانية في السنوات الأخيرة إلى حد كبير على الدائرة الثالثة والتهديدات القادمة من جهة العراق

وقد تم تفكيك وتحييد هذا التهديد وكذلك التهديد القادم من جهة إيران التي تصر على تطوير تكنولوجيتها النووية التي تثير الرعب في قلوب إسرائيل إلى جانب التهديد الآتي من جهة حزب الله في الجبهة الشمالية القريبة الذي تعتبره إسرائيل الذراع الإستراتيجية الطويلة لإيران ووفق التطورات والأدبيات السياسية الإسرائيلية المتراكمة في السنوات الأخيرة، فقد أخذت إيران تحتل قمة الأجندة الحربية الإسرائيلية،وبات النووي الإيراني في دائرة الاستهداف الإسرائيلي، وكما حدث مع العراق نتابع ذات السيناريو التمهيدي تجاه النووي الإيراني، والأدبيات الإسرائيلية في ذلك لا حصر لها: فها هو نتنياهو يعلن أمام مؤتمر سابان لن يحل السلام قبل مواجهة ثلاثة تهديدات لإسرائيل وهي: الأول سعي إيران للحصول على سلاح نووي، والثاني صواريخ حزب الله في لبنان وحماس في غزة التي تهدد إسرائيل، والثالث تحصين الأمن الإسرائيلي (١) ولذلك فإن الأجندة وراء ذلك تغدو صريحة، وهي أن إسرائيل مقبلة على المزيد من الحروب الإسرائيلية على مختلف الجبهات وقد ربط نتنياهو مؤخراً ربطاً خطيراً بين المحرقة اليهودية وإيران، حيث قال عشية سفره إلى أوشفيتس: يوجد شر في العالم، يجب القضاء على هذا الشر وهو في بدايته(٢)، هناك محافل تحاول نكران هذه الحقيقة .

وحذر رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية عاموس يدلين قائلا الساعة التكنولوجية الإيرانية لتخصيب اليورانيوم وتقدم البرنامج النووي تواصل الدق بوتيرة عدد الكيلوجرامات في اليوم(٣) ،وانضم باراك إليه مطالباً الولايات المتحدة بأن تتجهز لعملية عسكرية ضد إيران محذراً من أن تطوير إيران لأسلحة نووية يشكل خطراً على إسرائيل أما أفيجدور ليبرمان فأعلن أن إيران النووية هي بمثابة هتلر مع سلاح نووي يهدد وجود إسرائيل أما الوزير يوسي بيليد فقد أضفى بعداً تاريخياً إلهياً على تهديداته فقال: إن إسرائيل عليها مسئولية وجودها الفيزيائي أولاً.

وطبقا لهذا المبدأ علينا أن نتخذ القرارات إن التاريخ منحنا هدية وحيدة لمرة واحدة، وهي دولة إسرائيل، وواجبنا الأعلى هو حمايتها والدفاع عنها مبيناً أنه إذا ضيعنا هذه الهدية فلن نحصل على فرصة أخرى وإن مشروع الذرة الإيراني يجب أن يزعجنا ويقلقنا بالنظر لوجودنا فنحن إذن أمام مشهد طافح بتهديدات الإبادة بين إسرائيل وإيران التي يجمع قادتها أيضا على حتمية زوال إسرائيل لا يمكن أن يكون إعلاميا، أو زلة لسان من هنا أو هناك، فالتصعيد ممنهج مبيت.

ولعل الأسئلة العاجلة دائما على أجندة الصراع الإسرائيلي الإيراني تتكثف في بعد الإبادة، الذي يطلقون عليه في إسرائيل خيار شمشون فهل تسير الأوضاع فعلا نحو خيار شمشون؟ كان الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الذي تبنى الأجندة الأمنية والسياسية الإسرائيلية على مدى سنوات ولايتيه، قد هدد وحذر من حرب عالمية ثالثة إذا حصلت إيران على السلاح النووي واليوم إدارة أوباما تهدد وتحذر على مدار الساعة وتعجل خطاها في نشر أنظمة دفاع صاروخية في منطقة الخليج تحسبا لأي هجوم إيراني والإجماع الأوروبي إلى حد كبير مع وقف تطوير النووي الإيراني بكافة السبل ومع الأولوية للمفاوضات والعقوبات ولكن مع عدم إسقاط الخيار العسكري.

المحلل المناهض للسياسات الإسرائيلية جدعون ليفي كتب في هآرتس فقال كما تبدو عليه الأمور الآن إسرائيل تخطط لمستقبلها على هذا النحو(١)، في كل مرة تحاول فيها دول شرق أوسطية التزود بسلاح نووي تقوم إسرائيل بقصفها، فالغرور الإسرائيلي الجنوني وصل الآن إلى مرحلة خطيرة في تاريخها ويضيف المحلل الإستراتيجي إيتان هابر في يديعوت أحرونوت قائلا يبلغ الصلف الإسرائيلي في هذه الأيام أوجه، كلما اقترب إتمام المنشأة الذرية في إيران، سنهاجم وحدنا وسنعطبها، سنضربهم بقوة وسنريهم ليلحق باراك مهددا أيضا سوف ننتقل من الأقوال إلى الأفعال

وثقافة الإبادة تصل ذروتها في استطلاع كندي للرأي العام الإسرائيلي أجراه بشكل مشترك كل من مؤسسة سيمونز، وأنجوس ريد جاء فيه أن نحو ٧٢% من الإسرائيليين يؤيدون استخدام الأسلحة النووية في ظروف خاصة وفي هذا البعد جاء في الأدبيات الدينية اليهودية ولاحقا في الأدبيات السياسية الصهيونية ما أطلق عليه خيار شمشون، في إشارة صريحة إلى تبني الكيان الصهيوني لهذا الخيار المستند إلى (علي وعلى أعدائي) في حال تعرضت تلك الدولة إلى أي تهديد لوجودها من قبل المحيط العربي فمنذ الخمسينات قرر بن جوريون أنه يتحتم على إسرائيل امتلاك سلاح قاس لا مثيل له في قوة تدميره، لمواجهة احتمالات قاسية.

**الإستراتيجية الأمريكية تجاه إيران النووية:**

بدأت الولايات المتحدة منذ فترة بالتمهيد العسكري والمخابراتي تحسباً لصراع مسلح ينشب بينها وبين إيران، لا يستهدف فقط تدمير البنية الأساسية النووية والصاروخية لإيران، ولكن الإطاحة بالنظام الإيراني باعتبار ذلك هدفا سياسيا للحرب القادمة وهذا الأمر فى حد ذاته دفع إيران للدخول أيضا فى لعبة العمليات العسكرية الاستباقية مع الولايات المتحدة. وهى لعبة تنذر بالانفجار العلني بين لحظة وأخرى؛ مما يجعل السيناريو العسكرى هو الأكثر ترجيحا لحسم الخلاف الدائر بين البلدين، بل إن ما يحدث فى العراق يدل على أن إيران بدأت العمليات الانتقامية الاستباقية فعلا انطلاقا من الأراضى العراقية. برز ذلك بوضوح فى الحملة المفاجئة التى شنتها طهران مطالبة بانسحاب القوات البريطانية من البصرة وجنوب العراق، تحسبا من مشاركة بريطانيا للولايات المتحدة فى حرب ضد إيران تنطلق من جنوب العراق.

وتشير المعلومات إلى أن الطائرة الفالكون المدنية التى كانت تقل مجموعة من رجال الأعمال قادمين من أذربيجان إلى كردستان، وسقطت على بعد ٣٠ كم من السليمانية ومقتل جميع ركابها، كان بفعل صاروخ أرض-جو إيراني،رداً على حادث سقوط طائرتين إيرانيتين تابعتين للحرس الثوري، خصوصا حادثة تحطم الطائرة الفالكون فى منطقة أرومية فى فبراير ٢٠٠٦م وكان على متنها تسعة من كبار قادة الحرس الثورى هذا إلى جانب حادث تعرض الرئيس الإيرانى أحمدي نجاد فى ديسمبر ٢٠٠٥م لمحاولة اغتيال فى بلوشستان، كما كاد يتعرض لمحاولة اغتيال أخرى فى إقليم خوزستان المضطرب مما أدى إلى إلغاء زيارته لهذا الإقليم .

وقد أشارت تقارير أجهزة المخابرات والأمن الإيرانية إلى أن هذه الحوادث تأتى فى إطار مخطط أمريكى بريطانى إسرائيلى لتنفيذ عمليات سرية داخل إيران، تشتمل على اغتيالات وتخريب بفعل وحدات كوماندوز سرية تنشط داخل المدن وعملاء مجندين من المعارضة الإيرانية فى صفوف مجاهدي خلق تم تدريبهم بواسطة الأمريكيين فى معسكر فى العراق،وأن هذه العمليات تستهدف فى النهاية الإطاحة بنظام الحكم فى إيران، وتخريب برامج إيران النووية والصاروخية واغتيال كبار المسئولين السياسيين والعسكريين إلى جانب العلماء والخبراء، وأن مجموعات مخابرات ومجموعات كوماندوز أمريكية وإسرائيلية قد نجحت فى التسلل إلى إيران لإحصاء وتأكيد عدد وأماكن الأهداف الاستراتيجية،لاسيما النووية والصاروخية، ورصد أماكن وجود وتحركات كبار المسئولين الإيرانيين والعلماء، ومن بينهم جنسيات كورية شمالية وباكستانية وهندية وروسية ومن دول أوروبا الشرقية.

وتشير تقارير المخابرات الإيرانية إلى أن الاضطرابات التى وقعت فى بلوشستان والأهواز هى أيضا جزء من مخطط الحرب الاستباقية الأمريكية ضد إيران، إلى جانب معلومات تشير إلى أن هذا المخطط يشمل أيضا إدخال فيروسات إلى أنظمة الكمبيوتر الخاصة بالقيادات العسكرية، وفى أجهزة المنشآت النووية الرئيسية فى أصفهان وناتانز، وتعطيل قدرتها على العمل لفترات طويلة وقد أكدت هذه التقارير أن المخابرات الإسرائيلية تشارك بفاعلية فى هذه العمليات، ولذلك تعزز وجودها فى منطقة كردستان، التى شهدت وصول العشرات من عملاء الموساد، حيث وضع هذا الجهاز المخابراتى خبراته السابقة فى مجال تعقب واصطياد الخبراء_النوويين العراقيين الذين جرت تصفيتهم فى عواصم غربية فى_خدمة المخطط الأمريكى ضد إيران وتشير المعلومات إلى أن عدداً من ركاب الطائرة التى أسقطها الصاروخ الإيرانى قرب السليمانية كانوا من ذوي الجنسية الإسرائيلية،وهو ما دفع بدوره مخابرات الحرس الثورى إلى نشر عملائه فى كردستان ومناطق الحدود مع العراق، موازياً لنشر عملاء الموساد فى كردستان وداخل إيران؛ وتأليب عرب الأهواز.

كما أن خبراء البنتاجون والموساد اتفقوا على أن يكون مطارا السليمانية وأربيل فى إقليم كردستان العراق هما الأنسب لبدء انطلاق الضربات الجوية ضد إيران، لأنهما الأقصر مسافة إلى الأهداف الإيرانية، ولذلك تم توسيع هاتين القاعدتين فى الأشهر الماضية ويرتبط بذلك الأمر الاشتباكات التى وقعت أخيرا بين القوات الإيرانية ومتمردى أكراد إيران على الحدود مع العراق، وطالت الأراضى العراقية، وأيضا الحشود التركية على الحدود العراقية والإيرانية لمطاردة عناصر حزب العمال الكردستانى التركى داخل إيران والعراق.

وفى إطار الهدف الاستراتيجي الأمريكى بمنع إيران من امتلاك سلاح نووي، حتى لو اضطرت الولايات المتحدة للجوء إلى الحرب لتحقيق هذا الهدف، فإن المخطط الأمريكى يشمل بجانب تدمير المنشآت النووية والأهداف العسكرية الرئيسية، اتخاذ إجراءات تكفل زعزعة نظام الحكممن الداخل، واحتلال أقسام حيوية فى الأقاليم الحدودية مع الدول المجاورة لإيران وبها وجود أمريكى، وذلك لفترة محددة تسمح بتكثيف الضغوط الشعبية على النظام الحاكم لحساب حكم صديق لأمريكا تكون كوادره السياسية والعسكرية مجهزة من قبل وقد نقلت كل من روسيا والصين إلى القيادة الإيرانية سيناريوهات مستقبلية متشائمة عن ضربة عسكرية متوقعة ونصحتا طهران بعدم الاعتماد على التورط الأمريكى فى العراق، أو على استياء الرأى العام الأمريكى من سياسة حكومته، أو عدم قدرة القوات الأمريكية على شن حرب ضد إيران بالنظر للانتشار الواسع عالميا للقوات الأمريكية، حيث كشفت استطلاعات الرأى أن نسبة كبيرة من الأمريكيين تؤيد مثل هذه الضربة، ناهيك عن عدد كبير من أعضاء الكونجرس يدفعون فى اتجاهها.

وملخص السيناريو الذى قدمه الروس والصينيون أن تقوم المقاتلات الإسرائيلية (ف ١٥، ف ١٦) بتنفيذ هجمات أولية ضد أكثر من ستين هدفا، منها وحدات الصواريخ شهاب التى نشرها الإيرانيون فى مناطق عديدة ويغيرون مواقعها يوميا تحسبا لضربة مفاجئة. ويتوقع هذا السيناريو ألا تنجح الهجمات الجوية الإسرائيلية والأمريكية فى تدمير كل البرنامج النووى الإيرانى وجميع مواقع الصواريخ شهاب، حيث أخفت إيران معظم هذه الأهداف فى أنفاق تحت الأرض. لذلك يتوقع أن يقوم الحرس الثورى بتنفيذ عمليات ثأرية واستخدام ما تبقى من مواقع صواريخ فى قصف أهداف إسرائيلية وإغلاق مضيق هرمز وتدمير السفن الحربية وناقلات النفط إلى جانب القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية فى العراق.

وفى حالة استخدام الإيرانيين رؤوسا كيماوية أو بيولوجية لصواريخهم شهاب، فإن الرد الأمريكى المتوقع سيكون باستخدام قنابل نووية تكتيكية ١١-M٦١لتدمير كل البنى العسكرية والصناعية الإيرانية وحرق أجزاء كبيرة من إيران تؤدى إلى عشرات آلاف القتلى وإذا ما تمادى الإيرانيون فى رد فعلهم الصاروخى والهجومى بالحرس الثورى فى مياه الخليج، فمن المتوقع أن تستمر غارات الحرب الجوية والصاروخية بالقنابل الثقيلة طوال أسبوعين كما حدث فى يوغوسلافيا عام ١٩٩٩ليلاً ونهاراً بما يمهد للقوات الأمريكية والبريطانية لاحتلال إقليم_عربستان خوزستان المحاذي للعراق، حيث تنتشر الغالبية الكبرى من حقول ومصافي النفط الإيرانى التى تشكل عصب الاقتصاد الإيرانى يتزامن ذلك مع إطلاق حزب الله لعمليات كوماندوز ضد أهداف إسرائيلية فى شمال ووسط إسرائيل مصحوبة بقصف صاروخى، وذلك بدعم سورى التزاما بالتحالف القائم مع إيران، ونشاط واسع لمنظمة القاعدة ضد أهداف منتقاة فى الولايات المتحدة وأوروبا وقد ترد إسرائيل باجتياح جنوب لبنان وأجزاء من سوريا وصولا إلى دمشق.

ومع اعتماد الخطة الأمريكية البريطانية على عرب الأهواز المعارضين لنظام حكم الملالي فى مساندة الأمريكيين والبريطانيين عند غزوهم لإقليمهم، فإن التقارير تشير إلى بداية تحركات عسكرية للقوات الأمريكية فى الخليج، وقد لوحظ ذلك فى وصول أعداد إضافية من القطع البحرية الأمريكية، حيث انضمت مؤخراً إلى الأسطول الأمريكى حاملة الطائرات رونالد ريجان معززة بمجموعة من الفرقاطات والمدمرات المسلحة بصواريخ كروز (توما هوك)، وبذلك أصبح للولايات المتحدة حاملتان فى الخليج.

**متى تضرب أمريكا إيران:**

هناك بعض الأسئلة التى يواجه تفسيرها بعض الصعوبة ومنها : لماذا لم تضرب إيران خلال ربع قرن رغم كل التهديدات من قبل أمريكا وإسرائيل ؟ ولماذا سمح لإيران ببناء مشروعها النووي،المؤلف من عدة مفاعلات نووية،حتى وصل مرحلة الاكتمال، في حين انه كان للعراق مفاعلا واحدا في طوره الابتدائي وضرب ودمر؟ ولماذا أشركت أمريكا إيران في غزو وتدمير العراق وسلمتها حكومة العراق في ظل الاحتلال وسمحت لإيران بنزوح حوالي أربعة ملايين إيراني(فارسي وكردي غير عراقي ) للعراق ومنح أكثر من مليونين ونصف المليون منهم الجنسية العراقية رسميا كما اعترف إبراهيم الجعفري حينما كان رئيساً لوزراء حكومة الاحتلال، ولماذا سمحت لإيران بالقيام بنهب العرق وتدمير قدراته العلمية والتكنولوجية ؟ولماذا لم تتدخل أمريكا عند قيام إيران بذبح مئات العلماء والضباط العراقيين ؟ ولماذا زورت أمريكا الانتخابات مرتين والاستفتاء مرة في العراق لأجل إحكام قبضة أتباع إيران على الحكم في العراق ؟ ولماذا جاءت أمريكا بفكرة دعائية كاذبة تلقفتها إيران بسرور غامر وهي فكرة أن الشيعة كانوا مضطهدين رغم أنهم الأغلبية ؟ وما حقيقة ما سمي بسياسة الاحتواء المزدوج التي عدت العراق وإيران خصمان يجب احتواءهما ، وسياسة محور الشر التي شملت العراق وإيران وكوريا الشمالية ؟

لا تهدأ حرب التهديدات الكلامية بين الولايات المتحدة وإيران، إلا لتعود وتندلع من جديد فمنذ ثلاث سنوات حتى الآن والخطط عن حرب محتملة ضد إيران تكاد لا تخرج من دائرة الإستهلاك الإخبارى الغربي وخلال هذه السنوات تمكنت إيران، من مضاعفة عدد أجهزة تخصيب اليورانيوم الى نحو خمسة آلاف جهاز، تنتشر فى مختلف أرجاء البلادو.

التكيف مع دغدغة الإجراءات العقابية الهزلية التى فرضها مجلس الأمن الدولي والخروج من نحو عشر جولات للمفاوضات من دون تقديم تنازل فعليو الفوز بحزمة إغراءات وحوافز، كل مرة أفضل وأوسع من الحزمة التى سبقتها والنجاح فى تطوير ونشر جيلين من الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى والظهور بمظهر قوة مسلحة فعالة فى مياه الخليج، قادرة، فى الأقل، على كسب سباق التهديد وتحولها إلى حزب حاكم فى بغداد، برعاية الدبابات الأمريكية بالذات، وهى التى تولت توفير الحماية للرئيس الإيرانى عندما زار بغداد لمباركة نجاحات حرسه الثورى وأجهزة مخابراته وهذه تستبطن، بدورها، كل أجهزة السلطة والمليشيات هناك اليوم وتحول الاحتلال نفسه إلى مشروع شيعى يلطم جنوده،مع جنود المليشيات،على الحسين،ويوفر الدعم والمساندة والنهب والتزوير للتيار الصفوى فى الزفة الطائفية .فى غمرة التهديدات الفارغة، وينسى المنغمرون أن تحالف الغرب انتظر ١٢ عاما لكى يُهلك العراق تحت أقسى حصار عرفه التاريخ الإنساني، قبل أن يخطو خطوة واحدة لغزوه واحتلاله.

فى عام ١٩٩١، كان التحالف قد حشد ما لا يقل عن ٣٥٠ ألف جندي، لم تنهكهم أى معارك على امتداد نصف قرن تقريبا، قبل أن يشرعوا بتوجيه ضربات عسكرية لبلد لا يتجاوز، مساحةً وعددَ سكان، ثلث ما تشكله إيران وعاد ليحشد تحالفا أكبر قبل أن يشرع بالغزو عام ٢٠٠٣ وعلى الرغم من أن الحشد العسكرى الراهن، فى مياه الخليج، لا يعدو كونه بقعة زيت فى مستنقع، قياسا بما كان عليه الحال قبل غزو العراق، إلا أن طبول التهديدات ما تزال تقرع والعمائم فى طهران لا تكف عن الظهور بمظهر العدو المستعد لضرب إسرائيل، وهنري كيسنجر يقول إن طبول الحرب تدق ومن لا يسمعها فهو مصاب بالصمم فقد أدلى ثعلب السياسة الأميركية العجوز هنري كيسنجر، مستشار الأمن الأميركي ووزير الخارجية السابق في عهد ريتشارد نيكسون بحديث صحفي لصحيفة ديلي سكيب اليومية المحلية في نيويورك.

كشف فيه عن مفاجآت من العيار الثقيل حول ما يجري في الشرق الأوسط وفي العالم كله حالياً قال إن ما يجري حاليا هو تمهيد للحرب العالمية الثالثة التي سيكون طرفاها هما روسيا والصين من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى وتوقع كيسنجر أن تكون تلك الحرب شديدة القسوة، بحيث لا يخرج منها سوى منتصر واحد هو الولايات المتحدة من وجهة نظره وقال كيسنجر إن واشنطن تركت الصين تعزز من قدراتها العسكرية وتركت روسيا تتعافى من الإرث السوفييتي السابق، مما أعاد الهيبة لهاتين القوتين، لكن هذه الهيبة هي التي ستكون السبب في سرعة زوال كل منهما ومعهما إيران التي يعتبر سقوطها هدفا أول لإسرائيل وأضاف أن إدراك الاتحاد الأوروبي لحقيقة المواجهة العسكرية المحتومة بين أميركا وكل من روسيا والصين المتباهيتين بقوتهما، دفعه للمسارعة بالتوحد في كيان واحد متماسك قوي وأفاد أن الدوائر السياسية والإستراتيجية الأميركية طلبت من العسكريين احتلال سبع دول شرق أوسطية من أجل استغلال مواردها الطبيعية خصوصا النفط والغاز، مؤكدا أن السيطرة على البترول هي الطريق للسيطرة على الدول، أما السيطرة على الغذاء فهي السبيل للسيطرة على الشعوب وأكد الثعلب اليهودي العجوز، أن العسكريين الأميركيين حققوا هذا الهدف تقريباً أو هم في سبيلهم إلى تحقيقه استجابة لطلباتنا وبقي حجر واحد علينا إسقاطه من أجل إحداث التوازن، وهو المتمثل في إيران وأنه يدرك أن كلا من الدب الروسي والتنين الصيني لن يقفا موقف المتفرج ونحن نمهد الطريق لقوتنا، خصوصا بعد أن تشن إسرائيل حربا جديدة بكل ما أوتيت من قوة لقتل أكبر قدر من العرب وهنا سيستيقظ الدب الروسي والتنين الصيني، وقتها سيكون نصف الشرق الأوسط على الأقل قد أصبح إسرائيليا.

وستصبح المهمة ملقاة على عاتق جنودنا،وأقصد هنا الأميركيين والغربيين بصفة عامة، المدربين جيدا والمستعدين في أي وقت لدخول حرب عالمية ثالثة يواجهون فيها الروس والصينيين ومن ركام الحرب، سيتم بناء قوة عظمى وحيدة قوية صلبة منتصرة هي الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم ولا تنسوا أن الولايات المتحدة تملك أكبر ترسانة سلاح في العالم، لا يعرف عنها الآخرون شيئا، وسوف نقوم بعرضها أمام العالم في الوقت المناسب فإن طبول الحرب تدق ومن لا يسمعها فهو مصاب بالصمم وإذا ما تعرضت إيران للهجوم بينما لا تكف الرؤوس المحشوة بالقاذورات فى واشنطن عن بيع خدعة أن الولايات المتحدة مستعدة وقادرة بل وتزمع توجيه ضربة عسكرية لإيران أحد أوجه ذلك الهدف يذهب إلى تجريد دول النفط فى المنطقة مما جنته من مكتسبات وعوائد نجمت عن ارتفاع أسعار النفط، بزعم أن هناك مخاطر، وأن هناك حاجة لتوفير الحماية لهذه الدول من تلك المخاطر والوجه الآخر،هو تصعيد المخاوف من الحرب، إنما لبيع التسويات وترطيب الحلول،وتقديمها كما لو أنها منجزات ومعجزات إيران التى أعلنت مرارا، أن مشروعها النووى لا يستهدف التحول إلى مشروع عسكري، تستطيع فى آخر المطاف توفير ضمانات للبرهنة على صحة ما تقول، دون أن تضطر إلى وقف أعمال التخصيب يكفى إخضاعها لرقابة دولية صارمة، حتى تكون الفقاعة كلها قد انتهت.

ومثلما تحرص الولايات المتحدة على الخروج مما أصبح مستنقعا فى العراق، ولو بنصف جائزة، فلعلها تدرك،أن إيران التى وفرت الدعم والمساندة لنجاح الغزو، تستحق نصف جائزة أيضا.

ولهذه القسمة، مهرجون جاهزون، ينامون فى الفراشين معا ويوفرون كل مقومات المتعة لعمائم طهران ولشيطانها الأكبر وهناك اليوم وطنيات زائفة، لمأجورين كانوا للتو، تحت لحاف الاحتلال، ليبدو أنهم لم يعودوا بحاجة إليه، فيطالبون بتحديد جدول زمنى للانسحاب.

ليس لأن إيران تعهدت بحمايتهم وثلاثة أرباع نهبهم فى بنوك غربية بل لأن إيران والولايات المتحدة تقاسمتا الجائزة(١)، مما يضمن الفوز والنهب للطرفين معا وهكذا، فان طهران وواشنطن ستعملان بموجب هذه القسمة على تحويل العراق إلى غنيمة مشتركة، نصف حقول نفطها يذهب لتمويل المشروع الطائفى وأحزابه ومليشياته، بينما يذهب النصف الآخر على هيئة حصص أغلبية تذهب لصالح الشركات الأمريكية وبطانتها وبجاحة يقول المسئولون الأمريكيون، نريد الانسحاب، وسننسحب، إلا إن هذا القرار سيعتمد على الظروف الميدانية حسب المتحدث باسم الخارجية الأمريكية جونزالو جاليجوس وفى الوسط، لا تفعل عمائم طهران سوى التهديد بضرب إسرائيل، بينما يُغلق حزبها فى لبنان ملف الأسرى مع إسرائيل تمهيدا لتعليق أسلحته على شماعة الزيف وبدلا من إزالة إسرائيل من الوجود قريبا كما وعد حسن نصر الله، على أعتاب قبر عماد مغنية، فان مقاومته هى التى ستزول من الوجود على أعتاب عودة سمير القنطار وقال إن الذين واجهوا متظاهرين غير مسلحين بالرصاص والاعتقالات يجب أن يدانوا وكان مسئولون إيرانيون قد وصفوا انتقادات كهذه بأنها تدخل بالشأن الإيراني إن التهديد الذي يواجه إسرائيل-والكلام لموفاز- هو الخطر الإيراني الذي يتحتم على إسرائيل مواجهته دون أن تكون رأس الحربة في هذا الصراع وإنما الولايات المتحدة وتصريحات موفاز هذه لم تأت من فراغ وإنما بنيت على مخاوف إسرائيلية من برنامج التسلح الإيراني وبرامج التصنيع الكيماوي والبيولوجي، وهو ما جعل مائير داجان رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلية يقول أمام لجنة الدفاع في الكنيست

أنه بحلول نهاية عام ٢٠٠٥م سيصل الإيرانيون إلى نقطة اللاعودة من الناحية التكنولوجية لامتلاك قدرة على تخصيب اليورانيوم وإنتاج أسلحة نووية بسهولة بعد ذلك والتخوف الإسرائيلي كان له ما يقابله عند الجانب الأمريكي عندما ذهب ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي إلى أبعد من ذلك وقال: إذا أصبح الإسرائيليون مقتنعين بأن إيران لديها قدرات نووية ملموسة نظراً لأن إيران تتبع سياسة معلنة تفيد أن هدفها تدمير إسرائيل فقد يقرر الإسرائيليون التحرك أولاِ ثم يتركوا لبقية العالم تسوية المشاكل الدبلوماسية بعد ذلك ورداً على دعوة ديك تشيني المبطنة لإسرائيل لتبدأ هي الحرب أو حتى الضربة الأولى قال شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي فيما يشبه التحريض لأمريكا لتقوم هي بالضربة الأولى وتبني خيار الحرب يجب أن يعبأ العالم ضد الخيار النووي الإيراني، فإيران أصبحت مركز جميع الأخطار في الشرق الأوسط وهذا الأمر يعني كل الأسرة الدولية لا إسرائيل وحدها، والأمريكيون أنفسهم يقولون بأنهم يفضلون سلوك الطرق الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية وهم لا يستبعدون الخيار العسكري، إلاَّ أن القرار يعود إليهم وليس إلينا فيما يشبه الوليمة كل من إسرائيل وأمريكا تحاولان ضيافة بعضهما البعض على المائدة الإيرانية والمتابع الجيد يستنتج أن السيناريو يتكرر،الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع التسعينات تتهم العراق بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وتهدد وتتوعد بنقل الصراع إلى مجلس الأمن وأروقة الأمم المتحدة وإن لم ينفع فالخيار العسكري هو الحل كل هذا بتحريض وتحريك إسرائيلي واسع النطاق لما كان يمثله النظام العراقي-في نظر إسرائيل- من تهديد لها ولأمنها ولوجودها في المنطقة، واليوم السيناريو يتكرر ولكن هذه المرة مع إيران.

ولن نذهب بعيداً لتأكيد هذا الكلام فالجنرال الأمريكي انطوني زيني قائد هيئة أركان الجيوش الأمريكية-سابقاً- قال الحرب على العراق جرى شنها بتحريض إسرائيلي ولخدمة مصالح إسرائيل وليس المصالح الأمريكية

وذكرت مجلة نيويورك عبر مراسلها العسكري سيمور هرش أن قوات أمريكية خاصة تعمل داخل إيران منذ الصيف الماضي لتحديد مواقع يمكن أن تستهدف بضربات جوية، هذه المعلومات استندت عليها الكثير من التقديرات والتحليلات، لكن إذا كانت هناك ضربة أمريكية أو إسرائيلية قادمة ضد إيران فمن سيبدأها؟

رغم أن المؤشرات تفيد أن أمريكا وإسرائيل تسعيان لتوجيه ضربة سريعة وموجعة تشل حركة إيران وتمنعها من اتخاذ أي رد عسكري إلا أن كلاً من إسرائيل أو أمريكا ليسا بهذه الدرجة من الغباء لتقدمان على أي عمل أحمق ضد إيران، فالولايات المتحدة الأمريكية لا تريد أن تفتح أمامها وخلفها وعن جوانبها أبواب نار جهنم خاصة أنها تعرف تمام المعرفة أن إيران اليوم ليست كالعراق من ناحية التسلح أو حتى القوة العسكرية والبشرية والمادية، كما أن أي ضربة لإيران ستجعل منها أسداً جريحاً يتحرك في كل مكان وفي كل اتجاه ، وهذا ما لا ترغب فيه الإدارة الأمريكية التي تملك أكبر شبكة مصالح علي أراضي الدول المجاورة لإيران والتي ستكون أهدافاً سهلة أمام الأسد الإيراني الجريح، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا أظن أن الولايات المتحدة التي تحاول ما استطاعت حماية إسرائيل-حتى من نسمة الهواء العربي-لا أظنها ترغب في الإضرار بإسرائيل وهي تعلم أن أول صاروخ يصل إيران سيتبعه في الوقت نفسه عشرة صواريخ إيرانية تستقر في عمق تل أبيب، وهذا ما تفكر فيه إسرائيل حالياً ويؤخر أي عمل استباقي تقوم به ضد طهران كالذي أقدمت عليه ضد بغداد عندما ضربت مفاعل تموز العراقي فى مطلع الثمانينات لأنها تعلم أنه لا الوقت ولا الظروف ولا الخيار يسمح بذلك والموضوع حتى الآن لا يخرج عن كونه تصريحات أو تكهنات إعلامية خاصة أن إسرائيل دأبت منذ(١) فترة ليست بالقريبة على تسريب أخبار إعلامية نقلتها صحفها وبعض الصحف العربية والعالمية تقول في مجملها أن خطر إيران على المنطقة لن يوقفه إلاّ ضربة عسكرية قوية تقضي على هذا الخطر

**لماذا تخاف أمريكا من ضرب إيران؟**

يرى عدد، غير قليل، من المراقبين أن الولايات المتحدة تخشى توجيه ضربات عسكرية للمواقع النووية الإيرانية بسبب ما قد يسفر من رد فعل إيراني، بينما يرى آخرون أن السبب يعود إلى إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما لا يميل إلى لغة القوة، ويفضل التفاوض والدبلوماسية في التعامل مع الملفات الساخنة، وأنه لا يريد أن يكرر سياسة سلفه، جورج بوش، الذي دخل حربين في أفغانستان والعراق، كانتا سببا في تزايد الكراهية لدولة العم سام، إضافة إلى الخسائر والنتائج الفاشلة للحملتين العسكريتين بينما يرى فريق ثالث أن السبب يعود إلى أن تقارير الاستخبارات الأمريكية تؤكد أن إيران لا تزال بعيدة عن تصنيع السلاح النووي وأن خيار الحرب يمكن أن يظل في ذيل قائمة الخيارات الأخرى مثل التفاوض والعقوبات وقد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة صحيحة، لكن أحدث التحليلات ترى أن هناك أبعادا أخرى للقضية تتمثل في البعد الاقتصادي .

وقد تولى أوباما الإدارة الأمريكية والعالم يعاني أزمة اقتصادية حادة، بسبب السياسات الاقتصادية الأمريكية التي ابتعدت عن الوضوح مما أفسح المجال أمام الاحتيال المصرفي وأدى الى زيادة القروض غير المضمونة وترافق ذلك مع زيادة في الديون المعدومة والتلاعب بالتصنيف الائتماني وفي أول ظهور رسمي بعد انتخابه وعد أوباما بمعالجة الأزمة الاقتصادية على وجه السرعة، وقال إنه سيركز على إيجاد وظائف جديدة لمواجهة البطالة التي وصل معدلها إلى٦.% وتشير التحليلات إلى أنه وسط الكساد الاقتصادي العالمي ونسبة البطالة العالية، فإن قصف إيران لن يكون خيارا مطروحا، فأي هجوم على إيران سيرفع أسعار النفط بشكل كبير ويعيد الاقتصاد العالمي إلى الأزمة المالية مرة أخرى، كما أن مثل هذه الهجوم سيقدم للنظام في طهران فرصة لحشد المواطنين الإيرانيين خلفه والضرب بأي طريقة ممكنة.

ويؤكد خبراء أن الإيرانيين لن يتمكنوا من إغلاق مضيق هرمز أو إلحاق ضرر كبير بالأسطول الأمريكي أو المنشآت النفطية في الخليج، لكن تكاليف التأمين للشحن البحري سترتفع بشكل هائل كما أن الإحساس بعدم الاطمئنان حول مستقبل الإمدادات النفطية سيهز الأسواق ويرفع أسعار النفط بشكل أكبر ونتيجة لذلك، فإن أكثر المستفيدين من أي هجوم على إيران سيكون الدول المنتجة للنفط، بما في ذلك إيران نفسها، التي ستستخدم الدخل الإضافي لتشدد قبضتها على السلطة .

وإذا حدثت أن تحرك حلفاء إيران في لبنان وفلسطين لضرب المصالح الأمريكية، فذلك سيؤدي إلى فوضى وانعدام الأمن، وبالتالي سيلوم العالم أوباما وسيعتبرون ضربته العسكرية سلوكا متهورا سيؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي، كما أنه من غير المستبعد أن يقرر الناخب الأمريكي عدم التصويت مجددا لأوباما في الفترة الرئاسية الثانية والأمر هنا يتعلق بتكلفة سياسية هائلة بسبب انهيار الاقتصاد العالمي، لذا يظل فرض العقوبات على إيران هو الحل المنطقي في اللحظة الراهنة، وفق النظرة الأمريكية الجديدة.

**استبعاد المشاركة الأمريكية المباشرة:**

رغم استبعاد المشاركة الأمريكية المباشرة إلا أن هناك احتمال تدخلها في مرحلة لاحقة على ضوء المستجدات الميدانية، ويمكن اختصار هذا التوضيح في النقاط التالية:

١- إن مواجهة مع إيران تعني فتح جبهة ثالثة تبدو فيها أمريكا مرتبكة وضعيفة وموحلة أكثر أضعافا مما هو حاصل الآن قد تؤدي إلى نتائج كارثية غير مسبوقة على أمريكا وتواجدها في المنطقة، وقد أشار العديد من القادة العسكريين ومنهم رئيس الأركان الأمريكي نفسه، إلى مخاطر مثل تلك المواجهة التي قد تؤدي إلى فتح جبهة ثالثة وتهديد الأسطول الأمريكي في الخليج.

٢- هناك استعدادات إيرانية كبيرة ومكثفة لقواتها البحرية وتركيز واضح على تطوير قدراتها وأسلحتها وتقنياتها لمواجهة القطع البحرية الأمريكية في المنطقة وهو تهديد خطير لهيبة أمريكا وأسطولها البحري الذي تهيمن به على المنطقة، لاسيما إذا علمنا أن بعض هذه القطع عبارة عن بوارج ومدمرات وحاملات طائرات عملاقة تسير بالطاقة النووية وتحمل على متنها الآلاف من الجنود بما يعادل مدنا متنقلة، وقد عبر عن ذلك قائد الأسطول الخامس الأمريكي الذي اعتبر المواجهة كارثة على البحرية الأمريكية.

٣- إن تواجد قوات أمريكية في العراق بقواعد أرضية وثكنات ثابتة يتواجد فيها ما يزيد على مائة وعشرين ألف جندي يعتبر هدفا سهلا لإيران وحلفائها في العراق، ومقتلا مفصليا لأمريكا التي قد تجد نفسها محاصرة ومحرجة وغير قادرة على الخروج من العراق إلا أشلاء أو أسرى بالعشرات بين المقاومة السنية والمقاومة الشيعية الحليفة لإيران والقصف الإيراني المتواصل لها، الذي قد يتحول إلى عمليات خاصة وسريعة في المستقبل مع تطور العمليات.

٤- إن إغلاق مضيق هرمز الذي تهدد به إيران يشكل مقتلا اقتصاديا لأمريكا والعالم في أغلبه، وإن أي مواجهة أمريكية مع إيران سوف يكون الهدف الأول لرد الاعتداء وتهديد المصالح الأمريكية في المنطقة والعالم في بعده الاقتصادي باعتبار أمريكا مسئولة عن هذه المواجهة، وهنا من يشكك في القدرة التقنية والعسكرية الإيرانية على إغلاق المضيق، ويتناسى هؤلاء أو ربما تنقصهم المعرفة أن إغلاق المضيق لا يحتاج إلى إغلاق مادي بالمعنى الكامل للكلمة، إذ يكفي أن توجه إيران تهديداً باعتبار المضيق منطقة عسكرية خطرة يمنع المرور فيها مع قيامها بزراعته بشكل عشوائي بألغام بحرية يرافق ذلك قصف عشوائي أو انتقائي للسفن التي تخترق الحظر، عندها لن تجرؤ أية شركة أو دولة أو سفينة على المرور من المضيق.

٥- هناك معارضة قوية من الشعب الأمريكي والرأي العام العالمي للمواجهة مع إيران بل أصبحت هذا المواجهة كابوسا عند الحديث عنها في الإعلام الأمريكي، وهذا يتناسق مع المعارضة التي تبديها دول المنطقة لهذه المواجهة التي تراها تشكل خطراً على مصالحها وبقاء أنظمتها.

٦- ولكن لهذه القاعدة استثناءً مهم وخطير للغاية إذ أن أمريكا قد تتخذ قرار التدخل المباشر لضرب إيران، إذا وجدت أن رد الفعل الإيراني على الضربة الإسرائيلية ضعيف وباهت وغير مؤثر، عندها سوف تدرك أمريكا مدى الضعف العسكري الإيراني الذي كان يعلو صوته ادّعاءً وتهديدا كلاميا دون فعل يذكر، مما يشجع أمريكا على الدخول المباشر في المواجهة وتوجيه ضربات قاصمة للقدرات الإيرانية لتحقق بذلك هدفين، هما نسف وتعطيل القدرات النووية والعسكرية الإيرانية لأجيال قادمة، والثاني التعويض عن هزيمتها أو لنقل فشلها في العراق وأفغانستان واسترداد هيبتها كدولة عظمى من جديد، أما اذا وجدت ردا إيرانيا قويا، أو بالأحرى إذا أفسح المجال لرد إيراني قوي وحاسم فإن أمريكا سوف تأخذ جانبا توفيقيا من أجل الحفاظ على إسرائيل وعدم وقوع مزيد من الخسائر فيها.

ورغم حتمية المواجهة التي يدركها الإيرانيون من عمق معرفتهم بالعقلية الإسرائيلية إلا أن احتمال عدم وقوعها تبقى حلما يسعى الإيرانيون إلى تحقيقه باعتبار أنها واردة ولكنها محدودة وتدخل في دائرة المعجزات التي يمكن تحقيقها في ظل اعتبارات ضيقة، إذ لا شك أن إيران تسعى جاهدة لمنع أية ضربة إسرائيلية لها وهي تسعى عموما لتعطيل أو تأخير المواجهة مع إسرائيل وأمريكا، لذلك جاءت تصريحات الرئيس أحمدي نجاد في هذا الإطار في أعقاب اجتماع وزاري أنه يرحب بالتبادل الدبلوماسي مع أمريكا إذا طلبت أمريكا ذلك، وهي تسعى إلى عدم المواجهة من أجل تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة تتمثل في:

- استكمال إيران لاستعداداتها العسكرية والتقنية للمواجهة التي تحقق لها الغلبة.

- إتمام عمليات التخصيب والدورة النووية الكاملة لاستكمال بناء قدراتها النووية والإنتاجية في هذا المجال.

- اختيار الزمان والمكان والظروف المناسبة لها ولحلفائها في المنطقة للمواجهة المحتملة أو المقررة مستقبلاً مع الكيان الإسرائيلي.

ولكنّ المسالة هنا تتعلق بالقرار الإسرائيلي الذي تحكمه عقدة البقاء وهواجس الزوال، لذلك فإن الاندفاع والمغامرة الإسرائيلية في المواجهة وضرب إيران لن يردعها أو يوقفها أو يعطلها مؤقتا سوى أربعة عوامل منفردة أو متحدة وهي:

أولا- أن تسلم إيران للوكالة الدولية وللأمريكان بما يريدون ويطلبون على غرار ما حدث مع العراق بحيث تصل الأمور إلى تفتيش الحوزات العلمية والمراقد المقدسة والعباءات والعمائم وربما قبر مؤسس الثورة الإيرانية الخميني لتصل في النهاية إلى ضرب إيران دون حسابات تذكر، وما الحوافز الأوروبية سوى طعمٍ أولي لاصطياد فم السمكة وسحبها إلى الشاطئ للإجهاز عليها وطبخها أو بيعها في سوق السمك.

ثانيا- أن لا تأذن أمريكا لإسرائيل بضرب إيران حقيقة وليس خداعا، وبالتالي امتناع أمريكا عن تقديم الدعم السياسي والإسناد اللوجستي والإمداد العسكري والتسهيلات وقواعد الانطلاق وغيرها، عندها لا تستطيع إسرائيل أن تتولى على عاتقها مسئولية العمل وتنفيذه ولا تستطيع القيام بذلك إطلاقا وهنا أمر خطير لا بد من التنويه عنه وهو تضليل للرأي العام العالمي والأمريكي والقادة الإيرانيين بحيث تعلن أمريكا إعلاميا وعلى مستوى دبلوماسي وليس رئاسي أنها لا تأذن لإسرائيل بضرب إيران بل وتعلن أكثر من ذلك عدم موافقتها على ضرب إيران.

ولكن في حقيقة الأمر تعمل أمريكا بسرية تامة على تقديم كل سبل الدعم والإسناد والتسهيلات العسكرية والتشويش الألكتروني على إيران على أن يتبع ذلك دعم سياسي لإسرائيل بعد الضربة وتبعا لردود الفعل الإيرانية ومجريات المواجهة وما ينجم عنها بحيث تجنب أمريكا نفسها رد الفعل الإيراني على قواعدها العسكرية في المنطقة وقواتها في العراق، وفي الوقت نفسه تقدم كل الدعم المطلوب لإسرائيل بشكل سري، وعلى ضوء النتائج يتطور الموقف لاحقا ما بعد الضربة ثالثا- أن تقتنع إسرائيل وأمريكا استخباريا وعسكريا بمعلومات موثقة أن إلجام إيران ومنعها من رد حاسم مدمر على إسرائيل من الصعب تحقيقه، حتى ولو تم بضربة نووية تكتيكية شاملة، عندها سوف تختار إسرائيل مجبرة أجلها المؤقت مستقبلا على يد الإيرانيين، على خسائرها الفورية التي قد تؤدي إلى انهيارها، لاسيما أن الكيان الإسرائيلي يعاني من عقدة المحرقة الإسرائيلية ومن ضعف كيانه جغرافيا وتجمع نصف سكانه اليهود في محور ضيق في تل أبيب وما حولها، مما يؤدي إلى سهولة انهياره في حال توجيه ضربة صاعقة حاسمة له، ولذلك سوف تعيد إسرائيل وأمريكا الحسابات وسوف يجدون مخارج دبلوماسية لحفظ ماء الوجه ومهادنة إيران، ولو اقتضى الأمر إعادة تقسيم المنطقة بينها وبين إيران، على أن يزول التهديد القائم على إسرائيل ولكن المعلومات الصحفية والتقديرات الغربية ومنها الروسية تفيد أن قدرات إيران الصاروخية محدودة ويمكن احتواؤها وأن إيران عاجزة عن إغلاق مضيق هرمز وبالتالي فإن هذه القناعات من الصعب تولّدها ووقف الضربة على أساسها، هذا إن صحت هذه التقديرات التي قد تكون في إطار التكتيكات والحرب النفسية المضادة.

رابعا- أن توجه إيران ضربة استباقية حاسمة وشاملة تربك المؤسسة العسكرية وتفزع المجتمع الإسرائيلي بخسائر مذهلة تشل القدرة الإسرائيلية على الرد وتضع الكيان الإسرائيلي أمام خيارين؛ إما السكوت على الضربة وطلب التدخل الغربي لاحتواء الصراع سلميا

من أجل لملمة الكيان الإسرائيلي لأشلائه وإعادة ترتيب أوضاعه بما لا يؤدي إلى إفراغ سريع وهجرة يهودية معاكسة وبوادر انهيار وتحولات في المعادلات الإقليمية والدولية لا تخدم إسرائيل على ضوء ما حدث، وإما أن ترد إسرائيل على الضربة الإيرانية وهو احتمال ضعيف إذ يأتي هنا الدور الإيراني في توجيه تهديد لإسرائيل وأمريكا أن أي رد من قبل إسرائيل وأمريكا سوف يترتب عليه توجيه ضربة ثانية أكثر قسوة وعنفا قاصمة ومدمرة، ولا أعتقد أن الكيان الإسرائيلي سكانيا وجغرافيا ونفسيا وحتى عسكريا قادر على تحمل ضربة تالية أخرى لاسيما إذا التقى معه فيها الحلفاء في حزب الله وحماس وسوريا، وهي بالتالي ستقبل السكوت وعدم الرد على ردًّ قد يؤدي إلى انهيار الكيان الإسرئيلي أو تدميره بشكل كبير، وهي تعرف أنها تتعامل مع إيران العقائدية المستعدة للمواجهة ومع حلفاء لها يطوقونها وتعرف إرادة القتال والمواجهة معهم.

**ساعة الصفر:**

إن ساعة الصفر في هذه المواجهة يمكن أن يحددها أحد الطرفين وليس كلاهما، لأن المباغتة سيدة الموقف لتحقيق الهدف والبادئ فيها صاحب الضربة الأولى هو الذي يحدد ساعة الصفر وهو الذي يحقق الظفر ويلجم الآخر ولو نسبياً، ومن ينتظر الضربة ليرد عليها فهو خاسر ولو نسبياً، لأن الحسابات كلها تشير إلى أن الحسم والأسلحة غير التقليدية واردة لتحقيق الهدف، لأن الفشل في تحقيق الهدف أسوأ من المباشرة فيه كما يؤكد بذلك الإسرائيليون أنفسهم، بأن السكوت وقبول الأمر الواقع أفضل من ضربة فاشلة لا تحقق الهدف، لذلك فهم عازمون على ضربة قوية شاملة تحقق الهدف بما يعني ذلك استخدام أسلحة غير تقليدية وتقنيات متطورة وأهداف حساسة تحقق لهم الغاية المطلوبة.

أما ساعة الصفر بالنسبة للإسرائيليين فات أوانها لأنها كانت من الأنسب لهم ان تكون فى عهد الهالك بوش ، ولم يكن يمكن تأجيلها إلى الإدارة الأمريكية الحالية فقد لا تمنحهم الاذن، وثانيا تلبية الرئيس بوش لهم بإعطاء الإذن والإسناد الذي وعدهم به في حال توقف الحوار مع إيران كما صرح بذلك علنا،وثالثا الاستعدادات الأمريكية في الخليج لتقديم الدعم لهم، ورابعا التوقيت المناسب للعمليات والذي لا بد أن يكون مباغتا لتحقيق الغاية وتدمير الأهداف بالأسلحة المناسبة وحسب الخطة.

أما ساعة الصفر بالنسبة للإيرانيين فتحكمها قناعة القادة العسكريين الإيرانيين واستجابة القادة السياسيين ومباركة القادة الروحانيين وعلى رأسهم مرشد الثورة الخامنئي بأن ضربة استباقية حاسمة وشاملة على إسرائيل لا بد منها لأنها سوف تدفع عنهم الحقد الإسرائيلي واندفاعه بأسلحة قد تكون غير تقليدية وتضع حدا للمواجهة الأمريكية الإسرائيلية معهم وتحقق لهم الاستمرار في المشاريع العسكرية والنووية، أما إذا انتظر الإيرانيون الضربة الإسرائيلية المتوقعة كما حدث للعراق والرئيس صدام (١)عندما انتظر الضربة الأمريكية مع اختلاف جوهري وكبير في نوعية الأسلحة المستخدمة هذه المرة من قبل الإسرائيليين، فأعتقد أن الوضع العسكري والميداني سوف يحسم ضد إيران وحلفائها في المنطقة كما كانت سيرة من سبقهم في هذا السياق. التعامل بالذرة في المشاريع السلمية والعسكرية يبقى حلما يراود أفكار السياسيين في كثير من دول العالم كما أن إقتناء السلاح النووي لدولة ما يعني استقراراً نفسيّاً واطمئناناً نسبيّاً لتلك الدولة من التهديدات العسكرية الأجنبية واعتداءات الغير عليها فضلاً عن أن حيازة سلاح كهذا يعني زيادة في جبروت تلك الدولة واتساع في نفوذها وقوتها.

ومهما كان الهدف المنشود من اقتناء السلاح النووي أو الذري فقد أصبح الوصول إليه اليوم، وفي ظل وجود شرطيّ أوحد يراقب تحركات العالم، حكراً على دول في العالم دون غيرها إذ بات التعامل بهذه التقنية خطّا أحمرا لا يتجاوزه الآخرون وقد أدركت هذه الحقيقة معظم الدول التي كان لها طموح في استخدام النشاط النووي بمشاريعها المختلفة وأسدلت ستار النسيان على هذا الطموح والى أجل غير مسمّى على أقل تقدير، وفضلت الإبتعاد عن النار دون اللعب بها والإكتواء بلهيبها

إلاّ أن هنالك من تمرد على هذه الحقيقة المرّة ورفض الإذعان القاهر واستمر باستخدام الذرة في مشاريعه وبرامجه، معتبرا ذلك حقا له وليس مأخذا عليه فكان الإيرانيون مثلا حيّا لهذا التمرد على الإرادة الأمريكية والأوربية المزدوجة في هذا المجال وقد بدأ السجال الإيراني الغربي ولعبة جر الحبل بين الطرفين منذ أن أعلنت إيران استخدام الذرة في مشاريعها المدنية وإلى اليوم إلاّ أن نتائج هذه اللعبة لم تظهر بعد، حيث أن الظروف التي مرّت بها الإدارة الأمريكية خلال الحقبة الأخيرة من الزمن ومأزقهم في العراق قد لعب دورا هاما في تباطؤ الجانب الأمريكي عن إعلان ساعة الحسم.

ومهما يكن فأن عجلة الزمن السائرة بغير إتجاه الإرادة الأمريكية سوف لا تؤدي إلى إلغاء القرار الأمريكي أو التغافل عنه بل سيبقى هذا القرار كالنقش في الحجر والذي يتلخص في أن تتوقف إيران عن مشروع تخصيب اليورانيوم والذي يستخدم عادة لإغراض مدنية أو عسكرية وبدون ذلك فستستخدم أمريكا كافة الوسائل بما فيها الخيار العسكري لإيقاف ذلك.

أن الملف النووي الإيراني، من وجهة النظر الأمريكية، يجب أن يطوى ويغلق وعلى السياسيين الإيرانيين أن يدركوا أن أمريكا لا تسمح بالمحرمات في قواميسها، وأن حصول إيران على التسهيلات النووية والتي ربما تفضي للحصول على القنبلة النووية هو من أنكر المحرمات عند الأمريكيين وذلك طبقا لما يلي:

١- إقتناء إيران للقنبلة النووية يعني تهديدا حيّا ومباشرا لأمن إسرائيل ووجودها، وهذا هو خط أحمر لا يمكن السماح لأحد أن يتجاوزه ولا يحتاج إلى توضيح أو تفصيل أو تبرير!

٢- حصول إيران على السلاح النووي يعني سقوط عامل التفوّق العسكري الأمريكي الكلاسيكي عليها إذ لا يمكن لأمريكا أن توّجه ضربات عسكرية إلى إيران في ظرف ما وهي تمتلك سلاح نووي أي أن هذا السلاح يلعب دور الرادع لأي هجوم عسكري كلاسيكي أمريكي أو أوربي عليها وهذا ما سيضعف حالة الموازنة والتفوق والسيطرة العسكرية الأمريكية على إيران، هذه الدولة المارقة وهي الدولة رقم واحد من بين دول محور الشر حسب تصنيفات أمريكا ومفردات قواميسها!

٣- سوف تشعر عموم دول المنطقة بالضيق والحرج من جراء وجودها ما بين طرفي كماشة نووية ذراعيها السلاح النووي الإيراني والإسرائيلي.كما أن ازدياد النفوذ والقوة لأي طرف في المنطقة ربما يؤدي إلى مضاعفات تضر بمصلحة ومستقبل هذه المنطقة الاستراتيجية والهامة من العالم. وأي اضطراب في أمن واستقرار هذه المنطقة سوف يضرّ بالمصالح الأمريكية خاصة ومصالح معظم دول العالم بشكل عام.

أن التمعن والتبصر في عمق وآثار هذه الأسباب لا يجعل للشك بابا مفتوح بشأن تردد أمريكا في ضرب إيران عسكريّا لمنعها عن مشروعها النووي إن فشلت كافة الأساليب السلمية في ذلك فعلى إيران أن تتدبر بالحنكة والذكاء خطورة الموقف وحساسيته، وأن تتعلم من التاريخ دروسا فلا تسلك نفس النهج الذي نهجه صدّام حسين في سيرته المتميزة بالعناد والتصلب، فيضيع الخيط والعصفور! لأن الذي سيحدث للإيرانيين لو تمسكت إيران بموقفها سوف لن يكون أقل سوءا مما حدث للعراقيين عبر تاريخ صدام حسين حيث لا يزال العراقيون يئنون من وطأة ذلك.

يقول بعض المحللين السياسيين أن الخيار العسكري الأمريكي أو ضرب إيران عسكريا أمرا فيه مخاطر شديدة على المنطقة بشكل عام وعلى المصالح الأمريكية بشكل خاص، مما قد يردع الأمريكيين عن اتخاذ هذا المسار وان صحت هذه النظرية فسيكون الخيار الغربي المتبع، على الأرجح، هو محاصرة إيران سياسيا واقتصاديّا بحيث تفقد الكثير من قواها المطلوبة للتقدم والإنتعاش وستشجّع أمريكا بعض دول المنطقة على استخدام التقنية النووية أيضا، مما يجعل المنطقة ساحة سباق نووي لا تحمد عقباه حيث تفقد إيران عندها ميزة التفوّق العسكري غير الكلاسيكي على الغير ويتوقع المراقب للأحداث أو المحلل السياسي أن لإيران معرفة تامة بمعنى النزاع العسكري مع أمريكا وحتمية وقوعه إن لم تتصرف فى الوقت المناسب بالفعل المناسب حيث أن للمناورة وعملية كسب الوقت حدود ومدى وأن خطوط الرجعة قد تكون مقطوعة أو مفقودة في بعض الأحيان

# الباب السابع
# الكارثة

## ترتيبات ما قبل الحرب على إيران:

سواء نشبت حرب في الشرق الأوسط مركزها إيران، وأطرافها المجتمع الدولي- حسب ما تستطيع الولايات المتحدة أن تحشد من أعضائه- وإيران وعدد من حلفائها، أبرزهم سورية وحركة حماس وحزب الله اللبناني، أو لم تنشب هذه الحرب؛ فقد اتضح أمر التحالف الأخير، ولم يعد أحد يحتاج إلى التدليل عليه بمؤشرات وتصريحات من أطراف هذا التحالف الذي تم التخطيط له عبر عشرات السنوات ومن المهم جداً في مثل هذه الظروف رصد الإشارات الواضحة من أطراف التحالف الإيراني التي ظهرت خلال تصريحات أدلى بها مسئولون كبار فيه، ومن المحاولات التي تقوم بها الولايات المتحدة لإجهاض هذا التحالف وتمزيقه من الأطراف ومن أبرز الإشارات التي صدرت عن أطراف هذا التحالف، ما أعلنه فتحي حماد- وزير داخلية حكومة حماس- من أن الإنجازات التي حققتها الشرطة المقالة وحركة حماس في غزة، هي مقدمة لمشروع إسلامي كبير سوف يمتد إلى بقية أرجاء المنطقة مؤكداً على ضرورة تطوير الأداء الشرَطي مهاجماً حركة فتح وحكومة السلطة الوطنية الفلسطينية أنهما تحاولان التأثير سلباً على الحكم في غزة فقد اتهم حماد قيادات رام الله ببث الشائعات وروح الفرقة، مهدداً إياهم بأن عليهم التنبه لمواقع أقدامهم المقاومة .

أما لبنان فتسوده أجواء قلقة بسبب تخوفات اللبنانيين من امتداد الحرب- المتوقعة على إيران إلى لبنان لأنها حسبما قال محللين سياسيين وخبراء استراتيجيين، يمكن أن تتحول إلى حرب بالوكالة بين الولايات المتحدة وبين إيران، على الجبهة اللبنانية، من خلال إسرائيل وحزب الله الذي تزيد إيران من قدراته الحربية بتزويده بأحدث الأسلحة ومن بينها صواريخ إيرانية الصنع يمكنها أن تصل تل أبيب فقد سبق للشيخ حسن نصر الله، أمين عام حزب الله أن توعد إسرائيل بأن حزبه يستطيع أن يطال المدن الإسرائيلية الكبرى، ومن بينها تل أبيب، في الزمان والمكان اللذين يختارهما

ومن جانبه رد أفيجدور ليبرمان وزير الدفاع الإسرائيلى على تهديد حزب الله، بأن إسرائيل يمكنها أن تستغل الحرب التالية للإطاحة بالنظام السوري.

وبالرغم من جميع التهديدات العسكرية هنا وهناك، مازال كلا الطرفين - حزب الله وإسرائيل- يتوخيان الحذر لأقصى درجة فلم تحدث غارات إسرائيلية لاختراق الحدود مثلا وفي المقابل لم يطلق حزب الله صواريخه لكن هذا التوازن الضعيف يمكن أن يختل بسهولة؛ إذا هاجمت إسرائيل منشآت إيران النووية ساعتئذ سيعاود حزب الله الحرب على الحدود الشمالية لإسرائيل ويقول محللون استراتيجيون إنه إذا فرضت الولايات المتحدة وحلفاؤها عقوبات قاسية على إيران، كما تريد إدارة الرئيس الأمريكى باراك أوباما، فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى قيام الحرب أيضاً خصوصا أن إيران سوف تضطر إلى دفع حزب الله إلى شن حرب لمجرد توريط الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في أزمة ترفع من حدة التوتر في المنطقة؛ مما يرفع بدوره من تكلفة الصراع الإقليمي الذي تخوضه إيران ضد عدد من دول المنطقة المتحالفة مع الولايات المتحدة، وضد أمريكا نفسها.

يقول جيمس جونز مستشار أوباما للأمن القومي؛ معلقاً على الوضع العام في المنطقة، إنه عندما يشعر نظام ما بالضغط فإنه في الغالب يهاجم من خلال من ينوب عنه وهو في حالة إيران؛ حزب الله في لبنان بسبب الضغط الذي يمارَس على النظام في طهران بسبب برنامجها النووي، فإن هناك خطرا متزايداً من حدوث هجمات جديدة ضد إسرائيل وقد ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الحكومة اللبنانية، وبعض القوى السياسية في لبنان لتحجيم حزب الله، بتزويد الجيش اللبناني بالمساعدات العسكرية، وتقديم عرض لسورية باستعداد الولايات المتحدة لإقامة علاقات معها وهو العرض الذي بدأ بإرسال سفير أمريكي إلى دمشق للمرة الأولى منذ اغتيال رفيق الحريرى رئيس الوزراء اللبناني

وبرغم هذه الخطوة الكبيرة، فلم تقدم سورية الكثير في المقابل، على طريق تدعيم علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن ويحاول تيار المستقبل المدعوم من عدة دول من بينها السعودية ومصر والأردن والولايات المتحدة، أن يقدم خدمات أساسية في لبنان كالتعليم والكهرباء، ضمن عملية لإعادة تأهيل لبنان ليصبح نموذجاً لدولة متقدمة وهو ما تحاول هذه الدول أن تدعمه من خلال سعد الحريري رئيس الوزراء اللبناني الآن .

أما مصر، فتحاول جاهدة أن تلم أطراف النزاع ما بين السلطة الفلسطينية وبين حركة حماس؛ حتى يمكنها الحد من تأثير حماس كذراع إيرانية في بعض الأحيان هذا بالرغم من أن مصر تهتم بطبيعة الأحوال بتصحيح الأوضاع على حدودها الشمالية التي شهدت توتراً خلال العقد الماضي .

وما يجعل وجود ترتيبات إيرانية يمكنها أن تشكل عرقلة لما قد تخطط له الولايات المتحدة من شن حرب على إيران، تلك التحذيرات الشديدة التي أطلقها اللواء عطاء الله صالحي قائد الجيش الإيرانى، ونشرتها وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية حذّر فيها من توابع الهجوم على إيران، أو أيٍّ من جيرانها المسلمين قائلاً إن إجراءات طهران لن تقتصر على الطابع الدفاعي. وقال صالحي إن إجراءات إيران لن تنحصر في الدفاع أمام أي عدوان، وستلحق الندم بكل من تسوّل له نفسه الاعتداء عليها مشيراً إلى الأوامر التي أصدرها المرشد الأعلى علي خامنئي، حال مهاجمة أمريكا لعدة دول مجاورة لإيران. مؤكدا أنه أصدر أوامره بدراسة أبعاد هذه العمليات العسكرية وأكد صالحي استعداد القوات المسلحة في الوقت الراهن لمواجهة أي عدوان أجنبي محتمل ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ نظرا لقوتها الرادعة ومشدداً على أن خامنئي أمر هذه القوات بدراسة مختلف أبعاد الاعتداءات؛ من أجل مواجهة العدوان الأجنبي المحتمل .

وترى إيران أن الدول المجاورة، لن تشكل أي تهديد لها أبداً ولذا، فإنها سترد الصاع صاعين للمعتدين الأجانب فقط، وتحذرهم من مغبة التعرض لها ولجيرانها حيث إن الدفاع عن المسلمين يشكل المبدأ الرئيسي للنظام في إيران حسب وصف اللواء عطاء الله صالحى المسئول الإيرانى والأعداء باتوا يدركون حقيقة أن إيران بلغت مرحلةً ليست دفاعية فحسب، بل إنها سوف تحقق النصر أيضا وهذا ما يعرفه الأعداء الذين شعروا بأن المبادئ الإسلامية جعلت بلوغ الشعب الإيراني هذه المرحلة من التطور.

**ماذا لو ضربت أمريكا إيران ؟**

حول إمكانية ضرب الولايات المتحدة لإيران في الوقت الذي تغرق فيه في مستنقعي العراق وأفغانستان: بقدر ما قد يبدو ضرب إيران الآن سلوكاً غير عقلاني، من الناحية السياسية الصرف، فإن من يرون ذلك لا يأخذون بعين الاعتبار العامل النفسي، أو الاجتماعي-السياسي، في عقل شرائح واسعة من الشعب الأمريكي، وليس فقط النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة.

مثلاً، شكل ضرب برجي التجارة العالميين جرحاً نرجسياً للكبرياء القومي الأمريكي المغرق في العليائية والتفوق، وكان لا بد من رد ما يعيد لذلك الكبرياء شيئاً من التوازن ولكن، من قال أن سياسات الأمم تنبع دوماً وبالضبط من فوهة الحسابات الإستراتيجية؟! ومن قال أن الحسابات الباردة تكفي لفهم سياسات الأمم؟! فمعركة ستالينجراد مثلاً وصمود تلك المدينة الأسطوري في وجه قوات هتلر الزاحفة تحت الحصار لا يفهم من زاوية القرار الاستراتيجي فحسب، بل من زاوية الكبرياء القومي،ولكنها كانت معركة قلبت الحسابات الإستراتيجية النازية وكسرتها على صخرة الكبرياء القومي ومقاومة بلجيكا للزحف النازي في بداية الحرب العالمية الثانية يفهم أيضاً من زاوية الكبرياء القومي.

بالرغم من أنه لم يقوَ على قلب الحسابات الإستراتيجية الألمانية أما صمود المقاومة العراقية الأسطوري في وجه أكبر قوة عظمى في العالم فيفهم أولاً من زاوية الكبرياء القومي، ثم من زاوية الحسابات الإستراتيجية، وقد نجح ذلك الصمود بقلب ميزان القوى على صعيد عالمي، ولكن أنى للذين لا يملكون كبرياءً قومياً أن يفهموا عظمة ذلك الكبرياء القومي العربي والولايات المتحدة الأمريكية نمر جريح بالفعل كما قال رافسنجاني، ولذلك فهي بحاجة ماسة لتلقين أحداً ما درساً ما على الأقل لأنها تظن أن أي سلوكٍ غير هذا سوف يشجع بقية الأمم عليها وعلى جبروتها، وعلى الأقل لأن هذا أحد اتجاهين رئيسيين في الإدارة الأمريكية اليوم، أحدهما يرى تقليل الخسائر، وأحدهما يحركه الخوف على نظام القطب الواحد وفي هذه الحالة يتضارب الكبرياء القومي الأمريكي مع المصلحة الإستراتيجية الأمريكية.

ضرب إيران محتمل، ولو لم يكن مؤكد، وهي تتأرجح بين قوتين تتنازعان المجتمع، وليس فقط النخبة الحاكمة الأمريكية فماذا يجب أن يكون موقفنا لو ضربت الولايات المتحدة إيران،وبدأنا نشاهد صور القتل والدمار في إيران ؟! قبل الإجابة، لا بد من التأكيد على أمرين بديهيين يحب أن يتجاوزهما المطبلون والمزمرون لإيران اليوم:الأمر الأول هو أن الموقف من إيران لا ينسحب على الموقف من الشيعة العرب، فالموقف القومي يعتبر الشيعة العرب جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية ،كغيرهم من الطوائف والفئات التي تكون الأمة العربية والموقف القومي لا يمكن أن يكون مع الفتنة والتفتيت.

الأمر الثاني هو أن الموقف من إيران لا يجوز أن ينسحب على الموقف من حلفاء إيران العرب، خاصة عندما يكون أولئك الحلفاء في الموقع المناهض لموقع الطرف الأمريكي-الصهيوني ولا يمكن أن يقبل قومي عربي على نفسه أن يصطف مع القوى الموالية لأمريكا أو الليكود في لبنان أو فلسطين

إذن الحديث يدور بالضبط حول الموقف من إيران، وليس حول الموقف من حلفاء إيران العرب، أو الشيعة العرب، خاصة عندما يكون حلفاء إيران أو الشيعة العرب في موقع الدفاع عن المصلحة القومية العربية وعن الكبرياء القومي العربي في آنٍ معاً، كما هم في لبنان وفلسطين وسوريا وفي الموقف من إيران ما هي طبيعة الصراع ؟ هل هو صراع بين قوى التحرر وقوى الإمبريالية مثلاً؟ أم أنه صراع ضارٍ على حقول النفوذ والمجال الحيوي بين مشروعي هيمنة لا يختلفان من حيث المضمون؟

لو كان الإيرانيون يحملون مشروعاً تحررياً كفنزويلا شافيز في أمريكا اللاتينية مثلاً،ولو كانوا يطبقون برنامجاً قائماً على تحرر الشعوب الإيرانية، ولو كان الإيرانيون يطرحون مشروعاً لتحرر الشعوب من الإمبريالية بدلاً من استبدال هيمنة بأخرى، ولو كانوا يحملون مشروعاً تحررياً بأي مقياس، سياسي أو اجتماعي أو ثقافي، بدلاً من فرض هيمنة صاعدة بدلاً من هيمنة سائدة، ولو كان انتصارهم لو انتصروا مفيداً للأمة العربية موضوعياً، حتى لو كانوا معادين للعروبة بشكل صريح لأنها تناقض شروط هيمنتهم على الإقليم، لحق علينا أن ندعمهم في مواجهة الولايات المتحدة ولكنهم لم يتركوا لنا عملياً أي وسيلة لتأييدهم، لأنهم يطرحون عملياً التبعية للفرس مقابل التبعية للروم وليكن واضحاً أن المشروع الإيراني لو كان يحوي أي مضمون تحرري، ولو عن طريق الاصطفاف مع المستضعفين في الأرض، لكان التحليل مختلفاً بالضرورة، ولكن المشكلة مع الإيرانيين هى المشروع الإيراني في الإقليم وهو مشروع هيمنة وتفكيك يعود بنا إلى ما قبل التاريخ مقابل مشروع هيمنة وتفكيك لصالح لإسرائيل وأمريكا ويرى دكتور إبراهيم علوش أننا لن نقف يوماً مع الطرف الأمريكي-الصهيوني العدو الرئيس للأمة العربية والمسلمين وشعوب العالم الثالث، وليس معنى ذلك أن نقف مع الإيرانيين لأننا لو وقفنا مع الإيرانيين الآن فإن ذلك لن يخدم مصلحة الأمة العربية ولا المسلمين ولا شعوب العالم الثالث

فلأول مرة في تاريخنا المعاصر، يشكل لعب دور المتفرج موقفاً سليماً من الناحية المبدئية وبصراحة كاملة، من مصلحتنا في هذه اللحظة أن يستنزف الطرفان بعضهما، وليس من مصلحتنا أن نقدم دعماً لأيٍ من الطرفين، فهذه معركة بين الفرس والروم لا ناقة لنا فيها ولا جمل ويمكن أن نقسم المواقف في العالم العربي إزاء الصراع الأمريكي - الإيراني إلى فريقين الفريق الأول: يرى أنه يجب مساندة كل من يعادي الولايات المتحدة لأن الولايات المتحدة أساءت للعرب والمسلمين ومزقت العراق وتعرّض لبنان للخطر وتساند إسرائيل مساندة تامة ، كما أنها تهدف إلى السيطرة الكاملة على العالم العربي ضمن مشروعها الإمبراطوري للسيطرة على العالم، فيشعر العالم العربي بالإذلال وامتهان القضايا العربية وتقزيم هذه المنطقة واستغلال ثرواتها بشكل فاضح .

هذا الفريق يشترك مع قطاعات كبيرة على امتداد العالم ممن يرون نفس الرأي في الولايات المتحدة وخاصة اليسار الدولي الجديد الذي يريد أن يوقف عجلة العولمة وتداعياتها الجهنمية على الدول الصغيرة والطبقات الفقيرة التي تقودها الولايات المتحدة بنفس الشراسة التي تحدثها العولمة .

الفريق الثاني: في العالم العربي يرى أن مهاجمة الولايات المتحدة لإيران يجب أن تكون حاسمة حتى تسقط القوة الإيرانية التي صعدت على حساب الفراغ السياسي في العالم العربي والتي عبرت الخليج إلى الضفة العربية وارتكبت الكثير من الحماقات في وقت تشعر فيه الدول العربية بالعجز تجاه إيران والهوان تجاه الولايات المتحدة وتشعر فيه النظم العربية بالإفلاس تجاه شعوبها ولا تستطيع أن توفي بما تطالب به هذه الشعوب من بعث للقوة العربية في مواجهة كل من إيران والولايات المتحدة .

## الكوارث المحتملة:

إن التهديد باستعمال القوة ضد تخصيب اليورانيوم في المفاعل الإيراني، يتخطى الخطوط الحمر عند أمريكا، بينما أوروبا والأمم المتحدة تريدان معالجة الموضوع بحدوده الدبلوماسية حيث أن ضرب إيران سيكون كارثة إذا ما جاء الرد عنيفاً في ضرب مواقع النفط الرئيسية بدول الخليج، والعراق، وهنا قد يدخل العالم في موقف لا نعرف تبعاته، ولو افترضنا أن التهديد نوع من الضغط السياسي، فإنه أيضاً قد يترجم إلى موقف يصعد بأسعار النفط إلى حدود جنونية، وهنا تكون أمريكا قد ساهمت بخلق مشكلتين، أمنية، واقتصادية، ويمكن فهم الأمر على أن كل الحلول قد تتعاكس بخلق أزمات أكبر مخالفة كل القياسات والتصورات .

فهل يمكن أن تصبح الأكثرية الشيعية في العراق جبهة محايدة، أو صامتة في حال تعرضت إيران لضربة ما؟ وإذا كان النقيض هو المفترض فإن لهب الحرب سينتقل إلى تلك الجبهة ليضع المنطقة في حالة سعير يبدأ من إيران ويتخطى لبنان لو فتح حزب الله النار على الحدود الإسرائيلية، تبعاً لمبدأ تحالف المذهب والاستراتيجية الواحدة، وهنا فقط قد تدرك أمريكا الخطأ، لكنها لن تعالجه بوسائلها العسكرية ولا الدبلوماسية، عند فوات الأمر، وخروجه من يدها وحلفائها فالجميع ضد انتشار الأسلحة النووية، ودول الخليج قد تكون الأكثر حساسية على أمنها حين تمتلك إيران هذا السلاح، لكنها لا تستطيع المجازفة باختراع ظروف حرب مدمرة، في وقت لا تزال المعالجات الدبلوماسية ممكنة، والوصول إلى حدود مقبولة للتفاهم بين أمريكا وإيران وإذا كانت أمريكا تعتقد أنها تقاوم مبدأ التسلح الإيراني، حتى لو اقتضى الأمر استعمال القوة،فإيران أيضاً ترى قضية التهديد مسألة كرامة قومية، وفي هذا التنازع بين مَنْ يريد الحفاظ على أمنه القومي ومصالحه كما تدعي أمريكا، وبين مَنْ يريد الدفاع عن كيانه وفقاً لحروب الأمس القريب،وفي منطقة ملتهبة على حدوده في أفغانستان، والعراق، وبعض دول آسيا

فالقضية تحتكم لمنطق كل طرف يدَّعي الحق في وجهة نظره، وهذا مخالف للواقع وفق الآثار اللاحقة، لا النظرة التوافقية بين صانعي السياسة، كما حدث في غزو العراق الذي يتحمل تبعاته كل من خطَّط ونفَّذ تلك العملية وأوروبا قد لا تكون على الحياد، لأن أي تصرّف خاطئ في لحظة التوتر الراهنة، سوف يكلفها خسائر كبيرة، وإذا كانت معنية بخلق فهم يؤدي إلى تهدئة الأمور، وإخراجها من نذر الحرب، فإن مسئولياتها تتساوى مع كل ما ينشأ من خطر على دول المنطقة، والتي قد تصبح ميدان المعارك الكبرى إقليمياً ودولياً وحذرت إيران من عواقب ما وصفته بعمل أحمق ضد برنامجها النووي، متوعدة برد عسكري حاسم على أي هجوم قد تتعرض له إيران من جانب الولايات المتحدة، أو أي من حلفائها الغربيين، أو إسرائيل حسب الـ (CNN)

### هل المواجهة حتمية؟

لقد ظهر كثير من المعطيات التي تشير وربما تؤكد أن الضربة الإسرائيلية قادمة لا محالة وأن المواجهة حتمية لا بد منها وذلك بالرجوع لما يلي:

أ- تبريد إسرائيل لملفاتها الساخنة في المنطقة، مع حزب الله في موضوع الأسرى واستعدادها للرحيل عن مزارع شبعا،والتهدئة مع حماس وحوارها حول شاليط،ومحادثات السلام مع سوريا وهذا الكرم الإسرائيلي المفاجئ حول إعادة الجولان والوعود الإسرائيلية لإقامة الدولة الفلسطينية.

ب- الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية الموسعة من نظم الدفاع وطائرات التجسس والمناورات المحمومة التي أشارت صراحة حول إيران وكيفية تهيئة الجبهة الداخلية لحرب غير تقليدية.

ج- تصريحات قادة إسرائيل السياسيين والعسكريين وآخرهم رئيس الموساد السابق الذي أعطى مهلة أقصاها سنة واحدة لضرب إيران، فإما زوال إسرائيل على يد إيران أو توجيه ضربة حاسمة لإيران تنهي التهديد وخطر الزوال.

د- تصريحات بيريز على وجه الخصوص التي أكدت على أن مواجهة إيران ضرورة وإلا سوف نواجه محرقة جديدة من السماء على يد إيران.
هـ- الجهود الإسرائيلية المحمومة في واشنطن من أجل الحصول على إذن أمريكي لضرب إيران.

و- دراسات العقل الصهيوني التي أوجدت إسرائيل والمنهج العسكري والاستخباري للقادة الإسرائيليين التي تؤكد أن إسرائيل لم تصبر يوما على تهديد وجودها أو خطر بقاء كيانها وأنها تسارع فورا إلى ضربة استباقية تنهي الخصم وتوقف التهديد والخطر عليها ولو كان في العمل مخاطرة أو مغامرة،وهي بالتالي لن تصبر طويلا دون توجيه ضربة استباقية مؤثرة وقد تكون شاملة ونووية تحقق ثلاثة أهداف هي:

- منع وإلجام الردّ الإيراني على الضربة الإسرائيلية لإيران أو إضعاف أي رد قوي وحاسم من قبل إيران على إسرائيل.

- تدمير المواقع النووية أو تعطيل القدرات النووية الإيرانية لسنوات طويلة قادمة.

- تحطيم القوة العسكرية أو شلّ القدرات العسكرية الإيرانية إن استطاعت إلى ذلك سبيلا ولأن إيران (وهنا محور الفعل والقرار) في التقييمات الأمريكية والدراسات الغربية وتقدير الموقف العسكري الإسرائيلي تشكل خطرا حقيقيا على وجود إسرائيل وبقائها من خلال ما يتحدثون عنه على النحو التالي- التطور الكبير والتقدم المذهل والمستمر في التقنيات والقدرات العسكرية الإيرانية.

- الإصرار الحثيث علي التخصيب وإنتاج السلاح النووي رغم نفي الإيرانيين ذلك- كل ذلك يرتبط باستراتيجية عقائدية دينية وثورية وتاريخية متأصلة في الفكر والأثر ومصلحة ترتبط بالمشروع والدور الإقليمي وهي ظاهرة، ولا يخفيها الإيرانيون بإزالة دولة إسرائيل والذي ظهر جليا لهم من خلال تصريحات الرئيس الإيراني وحسن نصر الله وقادة إيرانيين آخرين حول زوال إسرائيل من الوجود.

إن إيران قادرة على تنفيذ تهديدها بإغلاق مضيق هرمز في وجه الملاحة الدولية، حسبما اعتقد خبراء فى القضايا الدولية معتبرين أن استخفاف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدرات الإيرانية يدل على أنها لم تدرك بعد قوة إيران في المنطقة كما أن المواجهة العسكرية بين طهران وواشنطن حتمية وإن اكتفت العاصمتان الآن بتبادل التهديدات،متوقعين أن تكون لهذه الحرب المرتقبة نتائج كارثية على المنطقة برمتها.

كما أن إيران لا تملك حاليًا سوى إرادة الصمود وشعب رائع معاد لأمريكا وحلفائها في المنطقة الأمر الذي سيساعدها على فرض شروطها، كما أن الإيرانيين يتمتعون بطول النفس فقد دامت الحرب بينهم وبين تركيا لمدة أربعين عامًا ولم يملوا من ذلك وقدرات إيران في المنطقة تفوق القدرات الأمريكية، فأمريكا تعتمد على عملائها في المنطقة وحلفاء إسرائيل من الدول العربية، مؤكدًا أن أمريكا تخشى من أن تنفذ إيران تهديدها لكون ثلثي كمية النفط التي تحصل عليها أمريكا وأوروبا تمر عبر هذا المضيق وبين أن احتمالات نشوب حرب بين إيران وأمريكا أو أداتها في المنطقة إسرائيل كبيرة وبين الخبير في الشئون الأمنية هاني البسوس أن تهديد إيران بإغلاق مضيق هرمز يندرج في سياق أزمة دبلوماسية تدور الآن بين إيران وأمريكا خاصة بعد تهديد الأخيرة بفرض عقوبات اقتصادية على إيران استجابة لطلب إسرائيل

إن الحقائق على الأرض تؤكد يوما بعد آخر على وجوب التفاهم والتفاوض الأمريكي مع دول الجوار وإن كانت إيران وسوريا من ضمنها يقول هنري كيسنجر في مقال بصحيفة انترناشونال هيرالد تريبيون، من الواضح أن الحرب في العراق تقترب من ذروتها ذاتياً فإدراك الرأي العام لأوهامها وتحرره منها بات ملموسا، ومن المؤكد أن الكونجرس سيضغط من أجل التعجيل بسحب القوات الأمريكية من هناك غير أن الاندفاع لتنفيذ مثل هذا الانسحاب يمكن أن ينطوي على كارثة، فهو لن ينهي الحرب بل سيحولها إلى أماكن أخرى مثل: لبنان، الأردن، أو المملكة العربية السعودية كما ستزداد الحرب اشتعالا بين الفصائل العراقية المختلفة ويقول كيسنجر ربما يعتقد الزعماء الإيرانيون أن الرياح تجري لصالحهم، وأن اللحظة الراهنة ملائمة بشكل فريد لتحقيق الأحلام القديمة في إقامة الإمبراطورية الفارسية لكن لو توفر لإيران زعماء يتسمون بالتعقل والحصافة لرأوا أن من الأفضل لهم الاستفادة من الظروف المواتية كورقة مساومة في التفاوض بدلا من المجازفة بها في سباق للهيمنة على المنطقة، إذ ليس بوسع أي رئيس أمريكي في النهاية، أن يتغاضى عن إيران عندما تصبح عواقب سيطرتها على المنطقة واضحة ويضيف كيسنجر، إن لروسيا أسبابها الخاصة أيضا لرفض الهيمنة الإيرانية والإسلام الراديكالي على الخليج بسبب انعكاسات ذلك على الأقلية الإسلامية في روسيا ولو أضفنا هذا للجدل الدولي القائم حول برنامج أسلحة إيران النووية سيجد الزعماء الإيرانيون إن أخطار التحدي الماثل أمامهم أصبحت غير مقبولة وفى الوقت الذي يتحدث فيه العالم عن سيناريوهات ضربة عسكرية أمريكية محتملة ضد إيران، يؤكد المحللون أن النفط سيشكل عاملاً حاسمًا في لجم اندفاع الأمريكيين إلى الخيار العسكري، مشيرين إلى أن إيران قادرة على تعطيل نقل النفط عن طريق مضيق هرمز الذي يمر عبره أكثر من نصف إنتاج الخليج من النفط، إذ أن إغلاقه سيؤدى إلى رفع أسعار النفط إلى أكثر من ٢٠٠ دولار للبرميل.

مما يضع ضغوطًا هائلة على الاقتصاديات العالمية، وهو ما يمكن أن يحول دون توجيه ضربة إلى إيران وهكذا ما بين رؤى مختلفة يرى بعضها حتمية المواجهة ويسرد سيناريوهات لها ونتائج قد تجر العالم إلى الحرب الثالثة وبين من يرى أن القادة فى الدولتين أعقل من جر العالم إلى ويلات نووية.

وبعيداً عن السياسة وما يشوبها من استعراض عضلات واستنفار همم قد يكونان عجيج بلا طحين للتخويف ولفرض الرأى بلا حرب ومن منظور دينى بحت يستند إلى القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم نجد دلالات على واقع الحال وما ينبئ عن المستقبل فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان لديه قارئاً يقرأ الآيات الكريمة هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (١) فسأله سائل من أولئك يا رسول الله ؟ فقال قوم هذا قوم هذا قوم هذا ويربت على فخذ رجل على يمينه وكان هذا هو سلمان الفارسى ومعروف أن إيران هى وريثة مجد فارس سابقاً ومعنى هذا انكم يا أهل القرآن والسنة سيظلكم زمان تتركون فيه الجهاد وتلقون راية الدعوة فيلتقطها قوم سيؤازرهم الله وقوله ثم لا يكونوا أمثالكم ربما تحمل معنى أنهم شيعة وأنتم أهل سنة أو أنهم لا يطأطأون الرؤوس وأنتم تفعلون أو أنهم يسعون لاستعادة أمجادهم وأنتم لا تفعلون أو لا يهابون الموت وأنتم تهابون

الاحتمالات كثيرة ولكن المراد هو الإشارة إلى أنهم أصحاب الراية الجدد ولقد استشكل هذا الكلام عندى مع قوله سبحانه (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (١) حيث كان تساؤلى كيف يحب الله الشيعة فى الثانية وكيف ينصرهم ويؤازرهم فى الأولى عوضاً عنا ووصلت إلى ما رواه الحاكم

حيث قال قال صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري أى أن معنى الآية الثانية صرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى موسى الأشعرى ونسله وما جعلنى أرى فى هذه الآيات ما يخالف ما رآه بعض المفسرين أنهم قالوا فيمن يستبدلهم الحق فى قوله ثم لا يكونوا أمثالكم أنهم قالوا ذلك أنهم سوف يطيعون الله ورسوله ويتبعون ما أمرا به وهذا غير وارد عند الشيعة الذين يسبون أشرف الصحابة ويتهمون من أعلمهم النبى صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة بالكفر ومفاد ذلك جميعه أن قوى الشر الحالية المتمثلة فى أمريكا وأذنابها ( جميع دول حلف الناتو التى تقتل أبناءها فى حروب لا طائل من وراءها إلا ثراء الشعب الأمريكى ومجد أمريكا )سوف تصطدم بالقوى الفارسية.

حتماً وها هى مقدمات الاصطدام تتراءى أمام الأعين ولكن متى يكون الصدام وأين ؟ الله أعلم

## المصادر والمراجع

مجموعة مقالات لكل من نواف الزرو-محمد علي الشهاري- جواد ظريف- أولبرايت – د - مدحت أحمد محمد-د٠محمد مورو-علاء عبد الوهاب – السفير عبد الله الأشعل-د.محمد العبيدى وآخرين.

اللغز الفارسى –الصراع بين أمريكا وإيران – كنيث بولاك.

التحالف الغادر بين إيران وأمريكا –تريتا بارس.

التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة – ميشال مراد

أعداد متفرقة من صحيفة معاريف الإسرائيلية.

أعداد متفرقة من صحيفة هآرتس الإسرائيلية.

أعداد متفرقة من صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية.

أعداد متفرقة من صحيفة إسرائيل اليوم.

أعداد متفرقة من مجلة الحياة اللندنية.

أعداد متفرقة من جريدة الشرق الأوسط اللندنية.

أعداد متفرقة من الصحف المصرية الأهرام والأخبار والجمهورية

أعداد متفرقة من جريدة النهار اللبنانية.

أعداد متفرقة من جريدة الاتحاد الإماراتية.

أعداد متفرقة من مجلة مختارات إيرانية.

عدة إصدارات لمركز الخليج للدراسات الاستراتيجية الصهيونية فكراً وعملاً – إسرائيل شاحاك.

إسرائيل استراتيجية توسعية مغلفة بالسلام – إسرائيل شاحاك.

دراسة البعد الاستراتيجى للصراع العربى الاسرائيلى – د٠هيثم كيلانى.

# فهرس الكتاب